الجامعـــــة الاسـلامية – غزة
عمادة الدراســـــــات العليـــا
كلية الآداب– قسم اللغة العربية
تخصـــــص الأدب والنقـــد

صورة المرأة في شعر حرب الفرقان

(حرب غزة 2008-2009م)

"دراسة نقدية"

إعداد الطالبة

أنسام محمد جميل دردونة

إشراف الأستاذ الدكتور

نبيل خالد رباح أبو علي

أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية – غزة

نائب رئيس مجمع اللغة العربية الفلسطيني– غزة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الأدب والنقد

1433هـ - 2012م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾

[سورة طه: 25-28]

الإهداء

إلى أبي الحاني وأمي الغالية أدام الله عزّهما

إلى النعمة التي مَنَّ الله عليَّ بها

أولادي أسود العرين: محمد وأحمد وبسام

وبناتي القناديل المضيئة: منار ورنا ورانيا

إلى زوجي . . . حفظه الله

إلى أعظم وشائج القربى: إخوتي وأخواتي

إلى كل فلسطيني وفلسطينية هام بحبّ فلسطين وحمل أعباء القضية

إليهم جميعاً أهدي هذا البحث

تقدير عالم

لما كان العلماء ورثة الأنبياء فمن الإجحاف أن ننكر فضلهم علينا

لذا كان لزماً عليَّ أن أتقدم بوافر الشكر والامتنان لعالمنا الجليل

الأستاذ الدكتور/**نبيل خالد أبو علي.**

الذي تفضل بقبول الاشراف على هذه الرسالة، فكان معطاءً سخياً ولم يبخل عليَّ بما وهبه الله من علم فهذا دأبه ودأبنا يَرِدُهُ طلاب العلم ظمأى فيرتون ماءً معيناً زلالا .

فجزاه الله عنّا خير الجزاء

ونفع بعلمه الإسلام والمسلمين

الحمدُ لله ربِ العالمين والصلاةُ والسلامُ على النبي المصطفى صادقِ الوعدِ الأمين، و على آلهِ وصحابتهِ الغُرِ الميامين وتابعيهم وتابعي تابعيهم إلى يوم الدين. اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنتَ العليمُ الحكيم، اللهم علمنا ما ينفُعنا وانفعْنا بما علمتنا وزدنا علماً، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واحشرنا برحمتك يا ربنا في عبادك الصالحين.

يقول الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: " رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ".(النمل ، من آية:19).

أحمدُه سبحانه على جزيل نعمه، وفيضِ عطاياه، وما غمرني به من فضلٍ وتوفيق، و ما منحني من صبرٍ ومثابرة، إلى أن وفقني لإتمامِ هذا الجهد المتواضع. أسأل الله أن يُنتفعَ به ويكون عوناً لي على طاعته.

وانطلاقاً من حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم" لا يشكر الله من لا يشكر الناس " فإني أجد لزاماً عليَّ أن أتقدم بالشكر والتقدير لعضوي لجنة المناقشة على تفضلهما بقبول الإشراف على مناقشة هذه الرسالة وهما:

الأستاذ الدكتور: ماجد النعامي أستاذ الأدب والنقد المشارك في الجامعة الإسلامية.

والأستاذ الدكتور: عبد الجليل صرصور أستاذ الأدب والنقد في جامعة الأقصى.

كما وأتقدم بالشكر والامتنان إلى كل من ساعدني ووقف إلى جانبي من عائلتي حفظها الله.

وأخص بالشكر مكتبة وزارة الأوقاف مركز المخطوطات والآثار لما قدَّموا لي من مساعدة في توفير الكتب.

كما وأخص بالشكر خنساء فلسطين الشاعرة رحاب كنعان التي تشرفت بمعرفتها.

والشكر وموصول إلى الجامعة الإسلامية والعاملين فيها ممثلة بعمادة الدراسات العليا لما قدموه لنا من خدمات.

فلهم مني جميعاً جزيل الشكر والعرفان

مقدمة

إن الحمد لله أحمده و أستعينه، وأستغفره، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله محمد بن عبد الله النبي الأمي الذي أُوتَي جوامع الكلم، وبعد...

الشعب الفلسطيني وما يحمل من أعباء وطنه السليب، لازال يعاني من جرائم العصابات الصهيونية المارقة، وقد كانت أبشع هذه الجرائم الهجوم الذي شنته إسرائيل على قطاع غزة المحاصر في نهاية عام 2008م وبداية عام 2009م، هذه الهجمة التي عبر الصهاينة عن بشاعتها بوسمها باسم (الرصاص المصبوب) وأطلق عليها الفلسطينيون (الفرقان) تيمناً بمعارك المسلمين في بدر وأحد حيث أن الله يكتب النصر للمؤمنين ولو بعد حين.

فقد صمد الشعب أمام بطش آلة القتل والتدمير الإسرائيلية، ولما كانت المرأة نصف المجتمع كما قيل فهي في حرب الفرقان الركيزة الأساسية لشعب يتلقى الضربات بصدرٍ عارٍ وقلب حديد، فهي الأم والزوجة والابنة والأخت وكل وشائج القربى تنبثق من راحتيها؛ لذا فقد رأيت أن أقف في دراستي هذه على صورتها في هذه المواقع الاجتماعية المتنوعة وهي في أتون هذه الحرب، أطلع عليها إنسانة تصب عليها المصائب صباً، أرصد صورتها وألوان مشاعرها تجاه هذه الحرب وما خلفته من مصائب، كما أرصد ردود أفعالها ومواقعها بين الجزع والصمود.

ولأن الشعر ديوان العرب، وسجل معارفهم وتاريخهم ومعاركهم، ولأنه المصور لمشاعرهم ترحاً وفرحاً، يأساً وصموداً، واستبشاراً، رأيت أن ألتمس صورة المرأة في الشعر الذي تعاطى مع حرب الفرقان؛ وذلك لأن هذه الدراسة لم يسبق أن تعاطى معها الباحثون باستثناء بعض البحوث والمقالات...

وقد رأيت أن المنهج التكاملي هو أنسب المناهج للوصول إلى الغايات المنشودة، كما رأيت أن تتوزع الدراسة على أربعة فصول بعد تمهيد يتحدث عن ملابسات حرب الفرقان، أما الفصل الأول فقد تناولت فيه صورة المرأة المناضلة وكيف كان لها دور في التعبئة والتثوير والزج بالمجاهدين إلى حياض المعركة، وكيف صمدت أمام قوى البغي العاتية بصلادةٍ منقطعة النظير؛ فسقطت شهيدةً وتناثرت أشلاؤها الطاهرة على أرض غزة الأبية، ويتناول الفصل الثاني صورة المرأة الثكلى التي فقدت أغلى ما تملك من أقربائها وفلذات أكبادها فبكتهم بكاءً مراً، وكيف عانت من ألوان الثكل حينما نسف منزلها ففقدت المأوى واستظلت بالسماء وافترشت الأرض بساطاً وكانت ثكلى الأحلام التي حرمها منها الاحتلال فحرمها سعادتها، ويتناول الفصل الثالث صورة المرأة الرمز التي كانت رمزاً للتضحية والفداء بما رسمته من بطولاتٍ نادرة وكانت رمزاً للأرض التي التصق بها الإنسان الفلسطيني وهام بها عشقاً وكانت رمزاً للسكن والطمأنينة التي يلجأ إليها من حولها، ويهتم الفصل الأخير بالدراسة الفنية حيث

وقفت على الظواهر اللغوية البارزة التي ظهرت جليّة في شعر حرب الفرقان، كما يهتم بدراسة الصورة الشعرية والوقوف على أركانها وأنماطها في شعر حرب غزة، ثم أتبعتها بخاتمةٍ رصدت فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها، وثبت بمصادر الدراسة ومراجعها.

والله ولي التوفيق

تمهيد

تمهيد

فلسطين أرض اللبن والعسل، أرض الميعاد، هي أرض كنعان؛ نسبة إلى القبائل العربية التي استوطنت السهول، والأودية، والجبال الفلسطينية حتى صحراء النقب.

وقد اعترفت الكتابات الإسرائيلية بأن الكنعانيين هم سكان البلاد الأصليون، وبلاد كنعان تمتد من أوغاريت حتى غزه، إلا أن مدوني التوراة تعمدوا إقصاء الكنعانيين؛ لعداء اليهود الشديد لهم. فالكنعانيون والفلسطينيون هما الجنسان اللذان سكنا فلسطين وما عداهما لا يمت لفلسطين بصلة.[1]

إن صلة العرب لفلسطين لم تنقطع منذ أن كانت تعرف بأرض كنعان وقويت هذه العلاقة لقيام دول الأنباط وتدمر والغساسنة وجميعهم من العرب الذين فرضوا قدرا من السيطرة السياسية العربية على فلسطين في فترات متقطعة قبل الفتح الإسلامي.

إن العراقة العربية الأصيلة موغلة في التاريخ، ولكن من الخطأ النظر إلى اليهود على أنهم عرق أو جنس؛ لأن حياة التشتت الطويل جعلت اليهود خليطاً عرقياً متنافرًا، فليس هناك وحدة لليهود رغم الطابع التقوقعي والقبلي للديانة اليهودية، حيث فقدوا اللغة المشتركة (العبرية) فأخذوا يتكلمون لغات ولهجات مختلفة حسب الموقع الجغرافي الذي يقطنونه[2].

ما إن أشرقت شمس الإسلام، حتى توحدت القبائل العربية تحت راية التوحيد فكان المسجد الأقصى هو القبلة الأولى حتى نزل قوله تعالى: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [3] والمسجد الأقصى مسرى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾[4].

دخلها عمر بن الخطاب فاتحا؛ فانهارت دولة الرومان ورحب أهلها بالفاتحين؛ لما رأوا من روح التسامح والعدل وحقن الدماء، ونعم المسيحيون واليهود بالاحترام وحرية العبادة.

---

[1] ينظر، أسامة محمد أبو نحل، تاريخ فلسطين القديم، ط/3: (1422هـ)-(2001م)، ص 52-53 بتصرف.

[2] ينظر: عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ط/9: 1985م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ص 17-18 بتصرف.

[3] البقرة: آية (144).

[4] الإسراء: آية (1).

ومما لا شك فيه أن موقع فلسطين الجغرافي وسواحلها الممتدة؛ جعلها محط أنظار الغزاة، وقد تبلور ذلك خلال الحملات الصليبية عليها، " ولقد استعاد الغرب اهتمامه بالمنطقة العربية في أعقاب احتلال بريطانيا للهند في القرن السابع عشر، كما أيقظت حملة **(نابليون بونابرت)** على مصر وفلسطين في أواخر القرن الثامن عشر أطماع بريطانيا ورغبتها في السيطرة على المنطقة بشكل أكثر مباشرة، نظرا لما انطوت عليه حملة **(نابليون)** من تهديد خطير لمصالح بريطانيا في الهند" [1].

ظهرت الحركة الصهيونية ونادت بأفكار العودة إلى فلسطين واستيطانها فهي الخلاص من القهر والظلم والتشتت وحملت أفكارا استعمارية تنادي بإقامة دولة يهودية في فلسطين، " وكذلك فإن الاستعمار عند الصهيونية كان أداة لخلق القومية، والدولة القومية، وليس لقومية قائمة ومتحققة بالفعل.

وفي الوقت الذي كان فيه المستوطنون الأوروبيون يتعايشون مع السكان الأصليين، كان هدف الصهيونية إجلاء عرب فلسطين لإقامة دوله يهودية صرف "[2].

أيدت الدول الاستعمارية الحركة الصهيونية وباركتها؛ لمآرب تخدم مصالحها، " فهناك العوامل الدينية، والعاطفية الناتجة من تأثر الغرب المسيحي بالعهد القديم في التوراة و الشعور بالذنب إزاء اضطهاد اليهود على أيدي اللاساميين، ناهيك بالرغبة في تحويل الهجرة اليهودية من أوروبا الشرقية إلى خارج أوروبا"[3].

تقاسمت الدول الاستعمارية الدول العربية وكان الانتداب البريطاني على فلسطين بعد اتفاقية **(سايكس بيكو)** السرية بين فرنسا وبريطانيا في السادس عشر من مايو عام ألف وتسعمائة و ستة عشر.

قاوم الفلسطينيون المحتل الإنجليزي بشراسة، و قاد الشيخ المجاهد **(عز الدين القسام)** الثورة، " ولقد أقام القسام تنظيمه الثوري ووضع برنامجه ونفذه منطلقا من إيمانه بأن الجهاد المسلح وحده هو الذي يستطيع أن يمنع بريطانيا من إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين.

---

[1] عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 22.

[2] السابق، ص30.

[3] السابق، ص 32.

وفي مقابل هذا الإيمان الذي كان جوهره حركه القسام وتنظيمه الثوري، لم تكن الأحزاب والقيادات الفلسطينية العاملة في الحركة الوطنية يوم ذاك تؤمن بأن وقت الثورة المسلحة قد حان، وبأن الشروط أصبحت متوافرة للعمل الثوري المسلح"[1].

كل هذا لم يثن بريطانيا عن تأييدها لليهود وتعاطفها معهم، وتمخض عن الدعم البريطاني للحركة الصهيونية في الثاني من نوفمبر عام ألف وتسعمائة وسبعه عشر إعلان بلفور المشئوم، حيث أصدرت بريطانيا وعد بلفور الذي يدعو إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

" فقد وجدت بريطانيا أنه إذا ما أرادت الاحتفاظ بفلسطين دون تأزيم علاقاتها بفرنسا فلا بد لها من إيجاد المبرر الكافي لإسقاط اعتراضات فرنسا على ضم فلسطين إلى نطاق سيطرتها، وكان صدور إعلان بلفور– بعد أن شارفت حملة فلسطين على نهايتها – هو ذلك المبرر"[2].

لم يكن في نص إعلان بلفور أي كلمة **(دولة)** إنما هي كلمة بيت قومي لليهود، وفسر على أن لليهود حق الإقامة والتنقل في فلسطين، ويكونون أحرارا في تطوير ثقافتهم العبرية، وهم خاضعون كغيرهم من السكان للسيادة البريطانية.

وتتوالى الأحداث، وفجأه تعلن بريطانيا العظمى في شباط ألف وتسعمائة وسبعة وأربعين أنها ستنسحب من فلسطين، وتتخلى للأمم المتحدة عن مسؤوليتها بخصوص مستقبل البلاد، وفي التاسع والعشرين من تشرين الثاني تصوت الهيئة العامة للأمم المتحدة بالموافقة على قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية وفلسطينية.

رحب الصهاينة بالقرار حيث حصلوا بموجبه على(55%) من مساحة فلسطين، وعددهم أقل من ثلث السكان، بينما قوبل القرار بالجزع من قبل الفلسطينيين.

احتدم القتال بين الفلسطينيين والصهاينة حيث افتقر الفلسطينيون إلى السلاح الكافي والتنظيم الجيد، ويدخل فلسطين متطوعون عرب؛ للمشاركة في القتال، وتستمر الحرب طول العام تنتهي بانتصار إسرائيل وتوسيع رقعة الأراضي التي تحتلها، وتدمير قرى كثيرة لتحل محلها مستوطنات إسرائيلية و وتضم إسرائيل إليها الأراضي التي غاب عنها مالكوها الفلسطينيون، ويكون

---

[1] الموسوعة الفلسطينية، القسم العام في أربع مجلدات، المجلد الأول (1–ث)، إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق، ط/1: 1984 م، ص 622.

[2] سلافه حجاوي، في التاريخ السياسي الفلسطيني، ط/1: (2000 م)، ج/1، ص 8.

هناك ما يقرب من مليون لاجئ فلسطيني. وعرفت أحداث عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين باسم (النكبة).[1]

تجسدت النكبة في أبشع صورها، وضربت المخيمات أوتادها في ربوع الوطن وخارجه، ولم يتوقف نهم إسرائيل في التوسع، والتهام المزيد من الأراضي، وتوافقت رغبتها هذه مع مصالح الدول الاستعمارية، ففي التاسع والعشرين من تشرين الأول عام ألف وتسعمائة وستة وخمسين شنت إسرائيل حرباً على مصر أعقبه الهجوم البريطاني الفرنسي وهو ما عرف بالعدوان الثلاثي.

" وقد قصدت إسرائيل من وراء عدوانها تثبيت كيانها اقتصادياً، وكسر طوق الحصار الاقتصادي العربي، وتوسيع حدودها الجغرافية في سيناء وخليج العقبة". [2]لم تحقق الحرب أهدافها، وانسحبت إسرائيل من الأراضي التي احتلتها من سيناء وغزة و طابا.

لكن أطماع إسرائيل لم تقف عند هذا الحد، ففي حزيران عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين عاودت إسرائيل الكره مرة أخرى بحرب احتلت بها سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية ومرتفعات الجولان، وأعلنت عن ضم القدس القديمة إليها.

" ومساحة هذه المناطق ستة آلاف كيلو متر مربع، أي (2،22) % من مساحة فلسطين التي بقيت تحت حكم الإدارتين الأردنية والمصرية خلال الفترة من ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين حتى ألف وتسعمائة وسبعة وستين "[3].

منذ قيامها وإسرائيل تنتهج سياسة البطش، والقمع والتوسع مخالفة بذلك القوانين والشرائع الدولية، وقد استخدمت إسرائيل سياسة جائرة وهي سياسة الإبعاد أو النفي الإجباري للفرد عن وطنه؛ لتفريغ الأراضي من ساكنيها، "ويعتبر الإبعاد من أشد أشكال العقاب قسوة لأنه يؤدي إلى الفصل الإجباري بين المبعد وعائلته، ومجتمعه، وفيما يتعلق بالفلسطينيين تحديداً فإن هذه العقوبة تكتسي قسوة خاصة كونها تشكل خطوة من قبل سلطات الاحتلال لاقتلاع أكبر نسبة ممكنة من

---

[1] ينظر: سلمى الخضراء الجيوسي، موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، ط/1: 1997، ص/26 بتصرف.

[2] جواد محمد ومجموعة من المؤلفين، المدخل الى القضية الفلسطينية، مركز دراسات الشرق الأوسط،عمان، الاردن، ط/1: 1997 م، ص 280.

[3] نخبة من الكتاب والباحثين، القضية الفلسطينية في نصف قرن، منشورات فلسطين المسلمة، لندن، ط/1: 1999 م، ص/55.

المواطنين الفلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة بهدف تسهيل عملية الضم في النهاية المتجسدة بتوسيع حركة الاستيطان " [1].

وكانت أكبر عملية إبعاد جماعي قامت بها إسرائيل في السادس عشر من ديسمبر عام ألف وتسعمائة واثنين وتسعين حيث قامت بإبعاد مائة وثلاثة وستين فلسطينيا من قطاع غزة إلى مرج الزهور في جنوب لبنان، فكانت تجسيداً لسياسة العقاب الجماعي ضد الفلسطينيين.

إن معاهدة السلام وقيام السلطة الفلسطينية في غزة والضفة لم يمنع إسرائيل من التمادي في عدوانها، ولم تغب غزة عن قادة إسرائيل، وكذا الحيز الجغرافي الذي أمدها بالقوة والصلابة جعلها فريسة للنهم الصهيوني حيث، " تقع مدينة غزة على خط عرض(3، 31) شمال خط الاستواء، وعلى طول (34) شرقا، بعيدة عن الساحل ثلاثة كيلو مترات ونصف (3،5) إلى الغرب منه تماما، كما حدد بعدها هذا **(هيرودوتس)** أيام الاسكندر الأكبر في القرن الرابع قبل الميلاد" [2].

وقطاع غزه شريط ممتد من الأراضي على ساحل البحر المتوسط، مساحته ثلاثمائة وخمسة وستين كيلو متراً مربعاً، تحده الأراضي المصرية من الجنوب الغربي،

وقطاع غزة مقسم إلى خمس محافظات تحوي سبع عشرة مدينة، وثماني قرى، وثمانية مخيمات تقع ضمن الحدود الإدارية للمدن.

يقطن به ما يربو على المليون ونصف المليون نسمة وهي أكبر كثافة سكانية في العالم بالنسبة لمساحة الأرض.

وبالرغم من انقشاع الاحتلال عن قطاع غزه إلا أنه ظل عرضة لهجمات متكررة من إسرائيل وجيشها من خلال اجتياحات بالدبابات، أو قصف بالطائرات، يزلزل البلاد والعباد، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد بل ضرب على قطاع غزة حصاراً جائراً صُمّت له الآذان، وكممت إزاءه الأفواه.

حصار على السلع والمحروقات والأدوية وكذا المعابر التي أحكم إغلاقها؛ ليعيش أهل غزة في سجن لا يرحم، وبطالة قاتلة؛ فانتشر الفقر وتفشى، والمرض ولم تمطر السماء ذهباً ولا فضة، ولم ينزل للجياع من السماء منٌ ولا سلوى.

---

[1] عدنان عبد الرحمن أبو عامر، الانتفاضة الفلسطينية الكبرى في قطاع غزة (1987 – 1993 م)، المركز العربي للبحوث والدراسات، غزة، فلسطين، 1426 هـ – 2005 م، ص/129.

[2] سليم المبيض، غزه وقطاعها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987 م، ص23.

أشرقت شمس السابع والعشرين من كانون أول (ديسمبر) عام ألفين وثمانية، وهي تبعث الحياة مع الضياء، لقد كان يوماً مميزاً، مفعماً بالحيوية، لم لا ؟ وهو بداية امتحانات نهاية العام الدراسي.

إنها عقارب الساعة تشير إلى الحادية عشرة والنصف، والطلاب على موائد الامتحانات، والناس في بيوتهم، وشوارعهم، وأسواقهم، وأعمالهم، فجأة تغير الحال إلى ما هو محال، إنه الغدر والمباغتة، عشرات الغارات الفجائية متزامنة في أن واحد تدك غزة، إنها غارات عمياء وصماء لا دين لها، وآلاف من الحمم البركانية يلقيها الطيران الإسرائيلي على غزة لتبدأ إسرائيل عدوانها الغاشم وتمارس الإرهاب، وترتكب المجازر بحق المدنيين على مرآى ومسمع من العالم أجمع، وتبث الفضائيات أبشع حرب عرفها العصر الحديث، وأول حرب علنية بين الفلسطينيين وإسرائيل.

اتسمت تلك الحرب بالدموية، واللاإنسانية، فقد نسفت البيوت على ساكنيها، واقتلعت الأشجار من جذورها، واستحالت الأجساد أشلاء.

" استخدم الجيش الإسرائيلي في حربه على غزة مجموعة من الأسلحة، قد يكون منها ما يجرب لأول مرة؛ وذلك لقياس مدى فعاليتها، أو تم استخدامها في حروب سابقة مثل حرب الخليج الثانية، والثالثة، وحرب تموز على لبنان صيف (2006م) "[1].

إنها خلاصة ما توصلت إليه التكنولوجيا الحديثة من قدرة هائلة على التدمير، وأن تسمع غير أن ترى وتتذوق، فهي تجعل القلوب لدى الحناجر – إن بقيت قلوب – لقد " أثبتت التقارير الطبية الصادرة عن هيئات طبية محلية وأجنبية، وتقارير المنظمات الحقوقية المحلية والدولية، والتقارير الصحفية بما لا يدع مجالاً للشك استخدام إسرائيل لنسخ تجريبية لأسلحة حديثة، تستخدم لأول مرة في قطاع غزة، وذخائر محرمة دولياً بالإضافة إلى الاستخدام المفرط للأسلحة التقليدية، وأدى هذا الاستخدام لحدوث تشوهات، وحروق بليغة لدى الأشخاص الذين تعرضوا لهذه الأسلحة"[2].

عقول تبدع ما تقهر به الشعوب، ويترعرع به سرطان الاحتلال الصهيوني لفلسطين، ومن تلك الأسلحة التي استخدمتها إسرائيل في حرب الفرقان على غزة: [3]

---

[1] حاتم أبو زايدة، الحرب على غزة (2008/12/27م – 2009/1/18 م)، كانون ثاني، 2010 م، ص 148.

[2] سعاد الدعالسة وأخريات، أسلحة الاحتلال الإسرائيلي خلال العدوان على غزه (2008–2009م)، اللجنة المركزية للتوثيق " توثيق"، ص 18.

[3] ينظر: حاتم أبو زايده، الحرب على غزة، ص 149– 150 بتصرف.

- متفجرات المعدن الكثيف الخامل (DIME) ووصفت بأنها القنابل القبيحة جداً تدمر الجسم البشري بطريقة لا يمكن وصفها إلا بالشيطانية.
- القنابل متعددة الأغراض (MK80)، لضرب المناطق المفتوحة بالطائرات ومناطق الأنفاق.
- الآبام (ABAM)، وتحتوي على ثلاث آلاف شظية وتنفجر ستة انفجارات متتالية، وتنشطر ستة أقسام عند اقترابها من الهدف، وكل قسم يتحول إلى خمس ألاف شظية.
- صاروخ النمرود، إسرائيلي الصنع، طوله يزيد على المترين ووزنه مائه كيلو جرام، يوجه بالليزر، ويحوي خمس آلاف شظية.
- الفسفور الأبيض، مادة شمعية، شفافة، بيضاء تميل إلى الاصفرار، وله رائحة كالثوم، ويعد وسيلة تدمير حربية شديدة الفتك بالإنسان والبيئة.

استخدمت إسرائيل هذه الأسلحة دون توقف، وبصورة عشوائية، استهدفت خلالها المصانع والمؤسسات والمدارس والمستشفيات، ومباني الهيئة الدولية (الأونروا).

ومن تلك الأسلحة ما يسمى بقذائف السهام الخارقة وهي " نوع من أنواع الأسلحة المضادة للأفراد، ذو رأس معدني مدبب من الأمام طوله أربعة أمتار، وله أربع فراشات في الذيل وبحسب المصادر العسكرية الإسرائيلية فقد حصلت إسرائيل على ألف من هذه القنابل من الولايات المتحدة الأمريكية في العام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين "[1].

انبعثت رائحة الموت من كل حدب وصوب، وعم الدمار وسيطرت الطائرات، والدبابات، والجرافات، وكاسحات الألغام، وامتدت الحرب إلى اثنين وعشرين يوما، سقط خلالها مئات الشهداء، وآلاف الجرحى والمعاقين.

تجاوز الشهداء ألف وأربعمائة شهيدا من الرجال والنساء والأطفال.

أما الجرحى فقد سجل عددهم خمسه ألاف وثلاثمائة وثلاثة جريح وكانت الإصابات بالغة في كثير من الأحيان نظراً لوجود الكثير من الرضوخ المعقدة الناجمة عن انفجار الأسلحة، وسقوط المباني، أما من بترت أعضاؤهم فحدث ولا حرج، وكذا من أصيبوا بالعجز المستديم وإصابات الدماغ والنخاع الشوكي واعتلالات السمع ومشكلات الصحة النفسية. [2]

---

[1] سعاد الدعالسة وأخريات، أسلحة الاحتلال الإسرائيلي على غزة، ص 52.

[2] ينظر تقييم الأثر البيئي للعدوان على غزة، سلطة جودة البيئة، غزة، فلسطين، ديسمبر 2009، ص 52 بتصرف.

رسم الغزيون لوحه مشرفة للشجاعة، والتحدي شيباً وشباناً، رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً.

وقد تكبد قطاع غزة خسائر جمة في الاقتصاد، والبنية التحتية، تقدر بما يربو على المليار دولار " وأظهر تقرير الجهاز المركزي تدمير العدوان أربعة آلاف ومائة مسكن بشكل كامل"[1].

أما إسرائيل فبرغم آلة البطش الهائلة التي استخدمتها إلا أنها تكبدت خسائر كثيرة، " اعترفت إسرائيل بسقوط حوالي أربعة عشر قتيلاً، وبضع عشرات من الجرحى، فيما أعلنت المقاومة عن قتل عشرات الجنود الإسرائيليين بما يقارب المائة، وتدمير وإعطاب حوالي خمسين دبابة وجرافة واحدة، وإسقاط طائرة مسيرة، وإصابة أربع مروحيات." [2]

وتتجلى صورة المرأة شامخة، فهي تضم تحت جناحيها كل أسرتها، إنها البوتقة اللامة، إنها كل المجتمع لا نصف المجتمع كما قيل.

"وينبغي على المرء أن يبين دور المرأة، ليس فقط تطعم الأولاد، وتقوم بالتنظيف... إنها هي من يحول الأطفال حديثي الولادة من مجرد كائنات حية إلى كائنات بشرية مثقفة؛ بتعليمهم الآداب السلوكية، والطرق المناسبة للتصرف؛ ليصبحوا أعضاء ثقافية ناضجين، وعلى أساس وظائفها في التنشئة الاجتماعية وحدها فلا يمكن أن تكون ممثلة للثقافة أكثر من ذلك "[3].

المرأة التي حار في أمرها الفلاسفة والمفكرون قديماً، والتي سلبها اليونان الحرية، فقد عاشت في مجتمع يحمل العداء والكراهية للمرأة؛ فليس لها الحق في ممارسة حياتها كإنسانة راشدة، إنما ترزخ تحت وصاية الرجل، وأما المهر " كانت تنقله معها إلى بيت الزوجية في شكل جهاز أو ثروة عقارية، وهي أو أهلها من يدفعه، وتأخذه إلى زوجها ". [4]

هذا الوضع المزري للمرأة عند اليونان ساواها بالعبيد، فالعبد يزوِّد الأسرة بما تحتاج إليه والمرأة تزود الأسرة بالأبناء، " ولم يكن للابنة في القانون اليوناني حق في أن ترث والدها، إنما يرثه فقط ابن ذكر "[5].

---

[1] العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، 2008/12/27 م – 2009/1/18 م، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، قسم الأرشيف والمعلومات، بيروت، لبنان 2009 م – 1430 هـ، ص 17.

[2] السابق، ص 41.

[3] ويندي كيه كولمار وفرانسيس بارتكوفيسكي، النظرية السنوية، ترجمة: عماد إبراهيم، الأهلية للنشر، عمان، الأردن، ط/1: 2010 م، ص 203.

[4] إمام عبد الفتاح إمام، أفلاطون والمرأة، مكتبة مدبولي، ط/3، 1996 م، ص 100.

[5] السابق، 101.

وكانت الحرة تغطي وجهها أما الإماء فهن سافرات ومما أكده فلاسفة اليونان كأفلاطون وأرسطو سيطرة الرجل الكاملة عليها، " فإن أرسطو يستبعد المرأة تماما من ميدان الثقافة، والسياسة، والحياة الفكرية بصفة عامة؛ ليجعل وظيفتها مقتصرة على الإنجاب "[1].

ولو عدنا إلى المجتمع الجاهلي حيث البداوة و الترحال، وانعدام الدولة، وما ساد من وأد للبنات درأ للعار الذي يخيم شبحه حول الخيام، نجده أرحم من اليونان بكثير فقد " كان زيد ابن عمرو بن نفيل يحيي الموءودة، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها، أنا أكفيك مؤنتها، فيأخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها إن شئت دفعتها إليك، إن شئت كفيتك مؤنتها. والإحياء هنا مجاز، والمراد بإحيائها إبقائها" [2].

ومما امتازت به المرأة في الجاهلية جعلها أكثر تحضرا من المجتمع اليوناني، فقد " كانت سافرة وتختلط بالرجال، وتسافر وحدها، وتركب الخيل، وقد كان لها موقع في الحياة الثقافية، وتملك حق الطلاق" [3].

وحظيت المرأة في الجاهلية بقدر رفيع من الاحترام، فتفاخر العربي بنسبه إلى أمه، واعتز بهذا الشرف العظيم؛ " ولهذا وجدنا ظاهرة النسبة إلى الأم، والتكني بها فكان الكثير من رجالات العرب، وشعرائهم يتكنون بأسماء أمهاتهم، فالمناذرة نسبوا إلى أمهم **(ماء السماء)**، وعمرو بن المنذر ملك الحيرة كان يقال له **(عمرو بن هند)**، ولا نشك في أن لكل من أمهاتهم شخصيتها الفذة، ومواقفها الحميدة التي أدت إلى الافتخار بها والانتساب إليها "[4].

ومع ذلك كان لهذا المجتمع سلبياته فقد حرمت المرأة من حق الإرث، ولم يكن لها أي دور مرموق إلى جانب الرجل.

أشرقت شمس الإسلام، فبزغ نجم المرأة ساطعاً، فرفعها من المهانة، وجعل لها منزلة سامقة، ولها حقوق كما أن عليها واجبات، **قال تعالى:** ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [5]. وساوى

---

[1] إمام عبد الفتاح إمام، أرسطو والمرأة، مكتبة مدبولي، ط/3، 1996 م، ص71.

[2] محمد حور، تربية الأبناء، في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي، مكتبة المكتبة، أبو ظبي 1980م، ص69.

[3] فتحي سلامة، المرأة والتنمية، بين الواقع المتاح والمستقبل المأمول، مكتبة الأسرة، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، ص45.

[4] واجده مجيد عبد الله الأطرقجي، المرأة في أدب العصر العباسي، مركز زيدان للتراث والتاريخ، ط/1: 1423 هـ – 2002 م، ص 28.

[5] البقرة: آية 228.

بينها وبين الرجل في الجزاء والعقاب. **قال تعالى:** ﴿ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى ﴾ [1]. إنها العظمة التي منحها الله عز وجل للمرأة، حينما تترفع عن الدنايا، فقد شرف القرآن الكريم عيسى عليه السلام بنسبه إلى أمه البتول، **قال تعالى:** ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾[2].

وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم لنا مثلاً رائعاً للزوج، والأب، والمربي الحاني.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"... واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خلقن من ضلع أعوج، إن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وان تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً "[3]. أخرجه مسلم.

لقد نعمت المرأة في ظل الإسلام بحياة لم تنلها امرأة قط، " وأعظم من جميع الحقوق الشرعية التي كسبتها المرأة من القرآن لأول مره أنه رفع عنها لعنة الخطيئة الأبدية، ووصمة الجسد المرذول، فكل من الزوجين قد وسوس له الشيطان واستحق الغفران، بالتوبة والندم "[4].

قال تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾[5].

وقد كان للمرأة دورها في مساندة الرسالة النبوية، فكانت إلى جانب الرجل تسانده، وتشد أزره بالوقوف في وجه الكفر والطغيان.

" وكذلك الحال بالنسبة للشواعر، فبعد أن كن يحثثن على الانتقام، والأخذ بالثأر، تحولن بشعرهن إلى نصرة المجاهدين في ميادين الحرب، وشد أزرهم"[6].

اتسعت رقعة الإسلام، واحتدم الصراع بين قوى الخير والشر، ولم تغب المرأة عن المشهد، فكانت تسعف الجرحى، وتسقي الجنود، ففي الحديث الشريف: حدثنا عبد السلام بن مطهر حدثنا

---

[1] آل عمران: آية 195.

[2] مريم: آية 34.

[3] الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت 256 هـ، صحيح البخاري، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر، 1419 هـ – 1998 م، كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، ص 1026.

[4] عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن، إشراف داليا محمد إبراهيم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، أغسطس، 2003 م، ص 53.

[5] البقرة: آية 36.

[6] أ. د. نبيل خالد أبو على، شاعرات عصر الإسلام الأول، دار الحرم للتراث، القاهرة، 2001 م، ص 140.

جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم،يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار؛ ليسقين الماء ويداوين الجرحى " [1].

وممن غزون مع الرسول صلى الله عليه وسلم نسيبة بنت الحارث الأنصارية **(أم عطية)** التي أسلمت وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم، وكذا **(الشفاء بنت عبد الله)** القرشية، الأخصائية في علاج القرحات الجلدية **(النملة)**، " فلقد أفلحت الشفاء بنت عبد الله عندما استعملت الدواء، وذكرت اسم الله قبل استعماله في معالجة الجلدية، ونالت رضا الله ورسوله عندما أعلنت إسلامها قبل الهجرة "[2].

برز دور المرأة الفلسطينية المناضلة في مقاومة الاحتلال حيث أوقدت نار الثورة بالتوجيه، والتظاهرات، والاعتصامات، وحملت على كاهلها هموم القضية فنزلت إلى معترك الحياة السياسية والنضالية، فحرضت الرجال لصد المعتدين، هذه المرأة التي رسمها الشعراء بأبهى ما يكون فالشاعر إبراهيم طوقان في تصويره للمرأة،" يقتصر على مشاهد معاناتها، سواء أكانت صابرة على البلاء وما حل بالأهل والأبناء، أم مولولة من هول المصائب وأثارها، أم منكوبة تعاني التشرد والضياع "[3].

ويكفي في هذا المقام قول **(محيي الدين الصفدي)**:

عودي لخدرك يا أخت المها الذي يرينا كيف خرجت المرأة مغضبة ثائرة في وجه المجرم الصهيوني في ثورة عام ألف وتسعمائة وستة وثلاثين.

حيث نظمت هذه القصيدة في نابلس إثر مظاهرة اشترك فيها فريق من نساء المدينة وطالبات المدارس يقول فيها[4]:

---

[1] أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (202 هـ- 275 هـ)، سنن أبي داود، حكم على أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة دار المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط/1: 1988 م، ص 384، ح(2531).

[2] عبد الله عبد الرزاق مسعود السعيد، الطب ورائداته المسلمات، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط/1: 1405 هـ - 1985 م، ص 92.

[3] أ. د. نبيل أبو علي، في نقد الأدب الفلسطيني، دار المقداد للطباعة ط/1: غزة 2001 م - ص31.

[4] محيي الدين الصفدي، من فلسطين وإليها، حلب، ط/1: 1975 م، ص 31-32.

وينظر: زكي العيلة، المرأة في الرواية الفلسطينية، مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة، ط/1: 2003م، ص 15.

عودي لخدرك يا أخت المها عودي

في الحي ما شئت من شُوسٍ ومن صيد

تبارك الله إذا أقبلت مغضبة

والحسن يشرق من طرف ومن جيد

فكفكفي الدمع من عينيك واطرحي

عنك الأسى لتواسي قلب معمود

ودونك الحي جري في مسارحه

ذيل المفاخر بين الخرد الغيد

أما رأيت ليوث الحي قد برزوا

حمر المناصر فوق الضمر القود

غادين للموت لا يلوون أو يصلوا

إلى سبيل من العلياء محمود

فتيان قومك كم خفوا لنائبة

في كل يوم من الأيام مشهود

الفصل الأول
المرأة المناضلة

المبحث الأول: التعبئة والتثوير.

المبحث الثاني: الصمود والمقاومة.

المبحث الثالث: مصابة وشهيدة.

المبحث الأول: التعبئة والتثوير

المرأة صانعة الرجال، في أحشائها نبض الأنبياء، والعظماء، والزعماء، والقادة، حملتهم أجنة، وربتهم صغاراً؛ فنهموا من دماها عزةً وإباء، وغذتهم من قوتها، ورباطة جأشها صموداً وإصراراً.

أوقدت لهم شعلة المجد لا على نار هادئة، بل براكين تقذف بحمم وشواظ في وجه الباغين أيا كانوا.

هي في مملكتها المتواضعة (منزلها) تصنع المعجزات؛ بما تذكيه في النفوس من المؤازرة، فما أعظم أن يجد المرء من يسانده، ويثبت أقدامه، " فالتشجيع لازم للمرء لزوم الوقود للمحرك، إنه هو الذي يسيره، ويشحذ ذهنه، ويمد روحه بالطاقة، بل انه هو الذي يحيل الفشل نجاحا والهزيمة نصرا في كثر من الأحيان"[1].

وقد مارست المرأة دورها التثويري التعبوي بصورة جلية في المجتمع الجاهلي، حيث الغزو والصراع الدائمين.

وفي هذا المضمار يتراءى أمامنا قول (هند بنت عتبة) ورفيقاتها يحرضن الرجال على القتال بقولهن[2]:

إن تقبلوا نعانقْ

أو تدبروا نفارقْ

فراق غير وامقْ

(وعمرو بن كلثوم) يطلعنا على حقيقة المرأة في الحروب، ويسمعنا صدى صوتها التثويري في معلقته حيث يقول[3]:

---

[1] رويدا عماد البربري، نساء في حياة الأنبياء والرسل، دار الكتاب العربي، دمشق، سوريا، ط/1: 1412 هـ-1991م، ص23.

[2] أحمد سيد محمد، دراسات في الأدب العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/1: 1986 م، ص22.

وينظر: أ. د. نبيل أبو علي، شاعرات عصر الإسلام الأول، ص 29.

وينظر رجا سمرين، شعر المرأة العربية المعاصر (1945-1970م)، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص 507.

[3] أحمد بن الأمين الشنقيطي (اعتنى به وصححه)، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص106.

علـــــى آثارنـــــا بـــــيضٌ حســـــانٌ تُحـــــاذرُ أن تُقسَّـــــم أو تهونـــــا

أخـــــذْنَ علـــــى بعـــــولتهنَّ عهـــــداً إذا لاقـــــوا كتائـــــبَ مُعْلمينـــــا

لتســـــتلبُنَّ أفراســـــاً وبيضـــــاً وأســـــرى فـــــي الحديـــــد مُقرنينـــــا

يَقُـــــتْنَ جيادنـــــا ويقُلْـــــنَ لســـــتمْ بعولتنـــــا إذا لـــــم تمنعونـــــا

أما القرآن الكريم، فلم ينكر عظمة المرأة في السياسة والتعبئة والتثوير، فحدثنا عن بلقيس ومملكتها، وحكمها بالشورى، وكيف حارت في أمرها إلا أنها قادت قومها إلى طريق التوحيد، قال تعالى: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

" فقد كانت ثرية الذهن، جبارة التفكير، ولا ريب في أنها كانت شخصية قوية، مرهوبة الجانب، وإلا ما كان لها أن تحكم مملكة عظيمة في سبأ "[2].

ومن الصراع القبلي إلى الجهاد، حيث لم تتخل المرأة عن دورها التثويري، فقد خرجت النساء في المعارك.

" أخرج أبو داود من طريق حشرج بن زياد عن جدته رضي الله عنها، أنهن خرجن مع النبي صلى الله عليه وسلم في حنين وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهن عن ذلك فقلن: خرجنا نغزل الشعر ونعين في سبيل الله ونداوي الجرحى ونناول السهام، ونسقي السويق"[3].

وما أن تلاشت جحافل الكفر، واندثرت حتى استعرت نيران الاستعمار، وازداد نهم الدول العظمى في السيطرة على الشعوب وسحقها ونهب خيراتها، والأمة العربية كغيرها عانت من ذلك؛ فهبت الشعوب ثائرة؛ لتنتزع حريتها انتزاعاً، وشاركت المرأة في النضال، واتخذ الشعراء من المرأة وقوداً، لاستنهاض الهمم والتصدي للمحتلين؛ وذلك عندما صوروا ما يؤول إليه حالها، ومحاولة النيل من عرضها،" ولا مراء في أن هذه الحالة المزرية تفجر عواطف الثورة والانتقام للشرف المدوس في نفس الإنسان العربي، وأنها ستكون دافعه القوي نحو المشاركة الفعالة في عملية التحرير " [4].

---

[1] سورة النمل: أية 23.

[2] رويدا عماد البربري، نساء في حياة الأنبياء والرسل، ص 74.

[3] الحافظ بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر، ج/6 (كتاب الجهاد والسير)، باب (غزو النساء وقتالهن مع الرجال، ص 171.

[4] عبد الرحمن حوطش، شعر الثورة في الأدب العربي المعاصر، مكتبة المعارف للنشر، ص 136.

وهذا ما أشار إليه الشاعر عمر أبو ريشة في قوله: [1]

كـم حـرة لـم تـدر عـين الشـمس مـا فـي خـدرها أغضـت بطـرف كـاره

وبناتهـا وجلـى تضـج أمامهـا والـرجس يـدفعها إلـى أوكـاره

تحررت الشعوب وظلت فلسطين جريحة؛ فانطلقت المرأة إلى ساحات الوغى والتثوير، " ويسجل أول نشاط سياسي ملحوظ للنساء عام ألف وثمانمائة وثلاثة وتسعين في العفولة والذي خرجت النساء فيه في مظاهرة احتجاجية على إنشاء أول مستوطنة يهودية في ذلك الوقت "[2].

والأم الفلسطينية ترضع أطفالها العزة والكرامة والشموخ حتى إذا شبَّوا عن الطوق، غَدَوْا رجالاً صناديد، يقول هارون هاشم رشيد :[3]

هي أمه من أرضعته رجولةْ

وبطولةً وبهِ تتيهُ وتسعدْ

تدري بأن طريقهُ ملغومةْ

وأذكت المرأة الفلسطينية نيران الثورة من خلال عملها؛ فوقفت تؤدي رسالتها الوطنية على أكمل وجه، " لقد أسهمت المرأة المتعلمة في غرس روح العزة، وأوقدت مشاعر الإيمان بالحق، تضيء درب الأطفال في مدارسهم وتمدهم بسلاح العلم " [4]؛ولهذا لم يبالغ من اعتبر المرأة الفلسطينية صمام الأمان اللوجستيكي في الانتفاضة فهي التي جعلت من نفسها جسرا يمر به كل بطل و مقاوم.

" والأديب الفرنسي الكبير **(جان جينيه)** انتبه إلى هذا و أكد في كتاباته بعد أن زار قواعد الفدائيين عام 1970 م، وعاش معهم، فكتب عنهم وعن أهلهم وخص نساءهم بأقوال خالدة "[5] . وأشار إلى دور المرأة معلناً، " في كل ثورة المرأة هي دائماً الأكثر جذرية، وفي الثورة الفلسطينية يبدو ذلك في غاية الوضوح " [6].

---

[1] عمر أبو ريشة، الديوان، دار العودة، بيروت، لبنان، 1996 م، ص 18.

[2] هداية شمعون، النساء والمشاركة السياسية بين المعوقات والإمكانات المتاحة، مركز شؤون المرأة، غزة، فلسطين، 2006 م، ص 23.

[3] هارون هاشم رشيد، وردة على جبين القدس، دار الشروق، القاهرة، ط/1: 1998 م، ص 24.

[4] محمد شحادة عليان، الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط/1: 1987 م، ص 179.

[5] دور المرأة في الانتفاضة، مطبوعات الإعلام الموحد، مطبعة تونس قرطاج، تونس، 1989 م، ص 48.

[6] السابق، ص 50.

فالمرأة الفلسطينية بدورها في التعبئة والتثوير ضد الاحتلال تعد التنور الذي ينضج قوت الحياة، فترمي بشررٍ كالقصر وجوه الغاصبين، يقول عبد الكريم السبعاوي:[1]

تقول له الأم

جف على فمك الثدي

فارضع حليب الزلزال

والمرأة الفلسطينية التي " اعتصرت الدم الفلسطيني فخلقت منه خرائط و ورداً وأنموذجاً للوحات فنية نالت إعجاب العالم وتقديره، كما علَّمت الابن تاريخ القرية التي دمرها العدو، ولغة الوطن وغرست في نفسه إيمانا لا يتزحزح بحقه في أرضه ووطنه "[2].

وقد بين الشاعر عمر خليل عمر دور المرأة الفلسطينية في حث أبنائها على النضال بقوله:[3]

لكن لم يكن الأطفال بهذا العرس الوطني وحيدين

كانت أم الطفل تشدُّ على أيديهْ

والوالد من نور الحكمة والوعي يُغذيهْ

وفي حرب غزة **(الفرقان)** رأى العالم أجمع وسمع المرأة الفلسطينية بقوتها الهائلة، وكلماتها التي تشعل براكين الغضب والثورة على العدو، فكانت تلقي بقذائفها الكلامية ما يزلزل العدو في حصونه؛ فتقذف في قلوبهم رعباً أعتى من صواريخ حربهم، ورأى ذلك الشعراء بأم أعينهم؛ فجادت قريحتهم بكلمات تحمل عبق التاريخ النضالي للشعب الفلسطيني.

" إن من الشعراء من يهزون الرماح، ويشهرون السيوف، ويمتطون صهوات جياد الحرب... ولكنهم يقرعون أبواب العصر والمستقبل بصلابة وعزم لا يكل، ويرتادون عوالم لم تكتشف بعد"[4].

---

[1] عبد الكريم السبعاوي، ديوان: متى ترك القطا، (قصيدة لا وقت للحزن)، دارالنورس للنشر،غزة، فلسطين، ط/1: 1969 م، ص 94.

[2] بثينة شعبان، المرأة العربية في القرن العشرين، دار الثقافة للنشر، سوريا، دمشق، ط/1:/2000م، ص79.

[3] عمر خليل عمر، مرثية الشرف العربي، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، ط/1: أغسطس 2001م، ص59.

[4] موقع شبكة فلسطين للحوار، بحث عن المعاني الواردة في شعر معركة الفرقان. مقال: م./محمود الرنتيسي www.Palldf.Net/showthread.php

وقد استنهض **(أيمن العتوم)** همم العرب لنجدة غزة الجريحة في قصيدة **(أحقا إنكم عرب؟)**،فهو يعيرهم بشبع أبنائهم، وشربهم الحليب في حين تجف صدور الأمهات في غزة بسبب الحرب والحصار، حيث يقول:[1]

ولا تنسوا.. إذا شربوا حليباً طازجاً

صبحاً..مساءً.. وارتوى البدنُ

بأنَّ الأمهاتِ صدورها جفَّتْ

وأنَّ عروقنا يبستْ

وأن صغارنا انطفأتْ

وجَنْدلَ روحها الوهن

أما **(جميل عزيز محفوض)** فقد عنون قصيدته بـ **(أجِّج دماءك)** التي تحمل التثوير وتوهج أتون المعركة، لوقوع ألف شهيدة بغزة، قتلها إجرام، حيث يقول:[2]

قـــم مـــن ركامـــك وانـــتفض يـــا هـــامُ حتَّـــام تبقـــى فـــي الـــونى وتـــلامُ
هـــذا عـــدوك منـــذ ألـــف شـــهيدةٍ ســـقطت بغـــزةَ قتلهـــا إجـــرامُ
هـــذي جراحـــك والـــدماء تنـــاثرت وصـــداها مـــن وجـــع الأنـــين كـــلامُ
أجـــج دمـــاءك فـــي الأتـــون توهُّجـــاً قـــد يستضـــيء علـــى ســـناها ظـــلامُ
قـــم عـــز غـــزة فالـــدماء عزيـــزةٌ إلا عليهـــا حميِّـــةٌ وحـــرامُ
هـــذا العـــدوُّ إلـــى دمائـــك ظـــامئٌ فاتْرَعْـــهُ علقـــم مـــن يـــديك يســـامُ

والفلسطينية تذكِّر أولادها بالماضي التليد، والخيمة العنقاء في صحراء العز والمجد العربي في غابر العصور؛ لتثير في نفوسهم الانتماء للوطن؛ فيحفزهم ذلك على قتال العدو الذي دنس الأقصى.

صوّر(سعد الدين شاهين) ذلك في قصيدة(في خاطري وطن وإبريق وماء)، يقول:[3]

وامرأة ترضِّعُ بالبنين بكاءها

---

[1] ديوان لأجلك غزة، جمع وإعداد: موسى إبراهيم أبو دقه، منشورات منتدى أمجاد الثقافي، غزة، ط/1: 2009 م، ص 84.

[2] السابق، ص 112.

[3] ديوان لأجلك غزة، ص 207.

وتصيح

قم يا سليل الخيمة العنقاء في

صحرائنا

قبِّل يد الأقصى وحيداً

ثم هات من السماء إذا

عرجت

طقوس موتي في الفراش

من أين أبدأ..؟

باحتطاب للندى

كي أسقي الافلاج جائعةً

بحقلي..؟

أم بالدعاء

وقد حفظتُ جميع أوراد

الأوائل

أما الشاعر عبد الرحمن العشماوي في قصيدة **(حصار غزة)** فهو يرى دمعة الأم تتسامى حين يودعها طفلها، هذا الوداع الذي اتخذ نمطاً مغايراً للعادة، لم تودعه حتى يحرز النصر في الملعب مثل الآخرين الغارقين في اللهو والترف، إنما هو وداع شرف؛ ليستشهد، فقد امتطى فيه جواد الشجاعة حينما فقد الشجعان، يقول فيها: [1]

ورأوا دمعـــــــــةَ أمٍّ تتســـــــــامى حينمـــا ودَّعهـــا الطفـــل الملـــثمُ

لـــم تودِّعـــه إلـــى الملعـــب حتـــى يحـــرز الفـــوز وبالكـــأس يكـــرمُ

إنمـــا ودَّعـــت الطفـــل ليلقـــى ربَّـــه فـــي ســـاحة المـــوت ويغـــنمُ

روَّض الأحـــداث متنـــاً وامتطاهـــا حـــين لـــم يُبْصـــر شـــجاعاً يتقـــدمُ

لقد رأى الشعراء المرأة الفلسطينية نموذجا يحتذى في الصبر والثبات على الشدائد، رغم شراسة الهجمة الصهيونية؛ لذلك رأينا بعضهم يأخذ على عاتقه مهمة إثارة النخوة العربية، ومن

---

[1] لأجلك غزة، ص 288.

هؤلاء نذكر الشاعر **(يحيى بشير حاج يحيى)** الذي يخاطب كل صاحب نخوة لما حدث في غزة من قصف مجنون وحصار جائر، في قصيدة (فلسطينية تحت الأنقاض) يقول فيها: [1]

لا تتركوني للحصار فلكل مخلوق على البلوى اقتدارْ

قُتِلَ الرجالْ

نُفِيَ الكبارْ

وأنا أُصبِّرُ إخوتي ! قد طال وقتُ الانتظارْ

أو ليس فيكم من يُلَبِّي صرختي ؟

وأنا أُقَلَّبُ فوق نارْ

فالقصفُ مجنونٌ يجيء لنا بأنواع الدمارْ

لم نرتكب جرماً وما جئنا بإثمٍ أو شنارْ

وفي مشهد آخر يصور لنا الشاعر نفسه، المرأة الفلسطينية التي تستحث أبناء أمتها، وتحفزهم على اتخاذ القرار لخوض معركة التحرير، فهي تقتات بعض الفتات مع انعدام الماء، الذي إن وجد فهو مر المذاق تتجرعه ولا تكاد تصيغه، إنها في قبرها الدنيوي، محصورة لا يزورها أحد ومنعت هي من الزيارة. يتجلى ذلك واضحاً في القصيدة السابقة يقول فيها: [2]

أنا هنا

أقتاتُ بعض فتاتكمْ

وإذا وجدتُ الماءَ، أين الماء ؟

أصبح طعمُهُ طعمَ المرارْ

أنا ها هنا في قبريَ المحصورْ

لم أبصر– وحقِّ الله – وجهاً للنهار فعلامَ – يا أبناءَ أمتنا – نضارْ؟

وعلامَ نبقى ميتين فلا نزورُ ولا نُزارْ؟ !

فمتى ؟ ومن منكم سيتخذُ القرارْ ؟ !

---

[1] موقع أدباء الشام. يحيى بشير حاج يحيي. عضو رابطة أدباء الشامYahyahaj@hotmail.com .

[2] السابق.

هيا إلى منازلة الأعداء، بكل شراسة، فأين البطولة ؟وقد نكبت النساء في غزة. هاهو الشاعر يستنهض همم الرجال متسائلاً عن الحميِّة والأوطان نادبةٌ باكية، فالشاعر(**فيصل مفتاح الحداد**) في قصيدته (**إلى أبطال غزة**)، يقول فيها: [1]

نـــــازل عـــــدوك والأيـــــام شـــــاهدةٌ والله يكلـــــــؤكُمْ بالرِّفـــــــدِ والصـــــــفدِ

أيـــــن البطولـــــة و الأعـــــداءُ مقبلـــــةٌ ونســـــوةٌ نُكِبَـــتْ باتـــت علـــى ضَـــمدِ

أيـــــن الحميـــــة والأوطـــــان نادبـــــة تبكـــــي مولولـــــة مـــــن شـــــدة الرَّمـــــدِ

وفي عملية التنشئة، تمارس الأم الفلسطينية دورها في تنشئة أبنائها على عشق الفداء، فهي تقوم بدور التعبئة والتثوير في مرحلة مبكرة من الحياة فهي ترضعهم مع الحليب الشموخ والعزة و الإباء، **فالشاعر (عبد الرحمن بارود) يقول:**[2]

ازرعي في البنين عشق الفداءْ

وركوب العواصف الهوجاءْ

أرضعيهم مع الحليب رحيقاً

من شموخ وعزة وإباءْ

عوذيهم بالله من كل مرعى

فيه حمض مقطع الأمعاءْ

ورغم شراسة القصف والحصار، إلا أن الأم الفلسطينية لم تهن عزيمتها، ولم تترك مهمتها التثويرية الأم في غزة استجرحت، وصرخت في وجه العالم، متسائلةً عن النخوة، وعن الرجال ليهبوا كما فعل(المعتصم) بجيشه الجرار؛ لنجدة امرأة مستغيثة، دوَّتْ صرختها (واااااااااه معتصماه !)، وفي قصيدة (غزة وحدائق الوجع المذبوح) الشاعر (محمد علي الحايك) يقول[3]:

أمـــــي ب (غـــــزة) قالـــــت: أيـــــن نخـــــوتكم؟

أيـــــن الرجـــــال ؟ أمـــــا فـــــي الـــــدار معتصـــــمُ

صـــــــبراً ل (غـــــزة) صـــــــيحاتٌ تُمزِّقُنـــــــي

---

[1] لأجلك غزة، ص 386.

[2] مجلة اشراقات فلسطينية، رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين، العدد: صفر، رمضان 1432 هـ-أغسطس آب 2011م، ص 44.

[3] أسامة جمعة الأشقر، ديوان الفرقان، قصائد مقاتلة أطلقتها مدافع الشعراء في ملحمة غزة (2009 م)، الناشر: دار مؤسسة فلسطين للثقافة، دمشق، سوريا، ط/1: 1430 هـ -2009 م، ص 254.

عنـــد الحصـــار تســـاوى البخـــلُ والكـــرمُ

أمـــاه: معتصـــمٌ قـــد مـــات مـــن زمـــنٍ

ولـــن يعـــود إذا لـــم ترتـــقِ الهمـــمُ

ليـــلُ الفجيعـــة إشـــراقٌ بـــأزمنتي

كـــالفجرِ بعـــد ظـــلام الليـــل يرتســـمُ

ليست الأمهات فقط من يقمن بدور التعبئة والتثوير، إن العذارى يطلقن صرخات الاستنجاد التي تحمل في ثناياها غليان الدم العربي، والنخوة الإسلامية، فهي تنذرهم بضياع عرضها؛ لأن أخاها قتيل، وأباها شيخ يُلْطَّم؛ لذا فهي تطلب من أخيها العربي الفدائي أن يتقدم ولا يخاف الموت الذي حمحم ودمدم. ففي قصيدة **(هكذا تحيا غزة)**،الشاعر**(محمد محمود الحسين)** يقول:[1]

حمحـــــم المـــــوت ودمـــــدم	**لا تخـــــف منـــــه تقـــــدمْ**
.....	.....
صـــــاحت العـــــذراء تبكـــــي	**هُتـــــك الســـــتر المكـــــرمْ**
وأخـــــي أمســـــى قتـــــيلاً	**وأبـــــي شـــــيخٌ يُلَطَّـــــمْ**
يـــــا أخـــــا العـــــرب تقـــــدَّمْ	**عربـــــد البغـــــي و أجـــــرمْ**
حمحـــــم المـــــوتُ ودمـــــدمْ	**لا تخـــــف منـــــه تقـــــدمْ**

إذا لم يحرك – منظر الدمار الشامل حيث اللحم.. والدم.. والعظم.. والكفن –في العروبة ساكناً فلا أمل فيهم يرجى فهي القيامة بأهوالها ماثلة في غزة فالحرائر والثكالى يستصرخن أسماعكم، لكنكم لم تألموا، فلو كنتم أحياء لاستشاط بكم الدم. فأي خذلان أعظم من هذا؟ فلو رأى المعتصم لانتظر زحفكم كصنيعه الذي خلده التاريخ يقول الشاعر **(هاشم صالح سلامة)** في قصيدة **(بلغ الدم الزبى)**:[2]

لحـــــمٌ دمٌ..لحـــــمٌ دمٌ..كفـــــنٌ دمٌ	**أ قيامـــــةٌ أم أن تلـــــك جهـــــنَّمُ**
.....	.....
هـــذي الـــدماء بغـــزة مـــا حرَّكـــت	**لـــو بعـــضَ وجـــدانٍ وقلـــب فـــيكُمُ**
هـــذي الحرائـــرُ والثكـــالى استصـــرخت	**أســـماعكم لكـــنكم لـــم تـــألموا**
نـــادت فـــلا حـــيٌّ أجـــاب نـــداءها	**لـــو كـــان حيّـــاً لاستشـــاط بـــه الـــدم**
قـــد كـــان معتصـــمٌ يُؤمـــل زحفكـــم	**لكـــن معتصـــم الرشـــيد خـــذلْتُمُوا**

---

[1] ديوان الفرقان، ص 275.

[2] السابق، ص 281.

إن دموع الأم الفلسطينية سلاح يذكي الكرامة؛ فينتفض له كل حر؛ لينهض شامخا في وجه العدو بصبر وشموخ فهذه شرعة الكفر ديدنها المجازر والبواح. ففي قصيدة (أماه عذرك فالعروس هي الجنان) يقول (حسام إبراهيم هرشه): [1]

في روضِ الجراح

أمي وأُمُّكَ دمعُها

أذكى الكرامةَ

فانتفضتُ

وكلُّ حرٍ

سوفَ ينهضُ

طَوْدُ صبرٍ شامخاً

في وجه صحراء المجازر

شِرْعَةُ الكفر البواح

فلا يحلم الغاصب بأن يستسلم الشعب الفلسطيني، أو يبيع نفسه، كيف يحدث ذلك وقد أرضعت الأمهات الكرامة وعدم الخنوع للرضيع؟ فدماءٌ تغذتْ بهذه الطريقة سوف تسحق جهابذة الخضوع، تقول **(إيمان بدران)** في قصيدتها **(وهج الدماء)**: [2]

لا تحلموا أبداً بأنا قد نُسلِّم أو نبيع

لا تحـــــلموا...

فالأمهاتُ بأرضنا تسقي الكرامة للرضيع

لا تجزعوا فدماؤنا لعناتها سحقت جهابذةَ الخضوع

لا للركـــــوع

---

[1] ديوان الفرقان، ص541.

[2] السابق، ص567.

المبحث الثاني: الصمود والمقاومة

عرف عن المرأة رقتها ونعومتها، فهي مخلوق مفعم بالإحساس، لكن هذا المخلوق وهبه الله تعالى – إلى جانب ذلك – من القوة ما تذهل له العقول، ومن التجلد والصمود ما يفوق كثيراً من الرجال.

وشواهد التاريخ كثيرة، فتلك**(زنوبيا)** ملكة تدمر، "التي حكمت مملكة مترامية الأطراف امتدت حتى آسيا الصغرى، وبلاد ما بين النهرين ومصر، وكانت هذه المرأة ذات رأي وحكمة، وذات بأس وشدة وبعد نظر" [1].

وممن اشتركن في المعارك وحملن السيوف **(خولة بنت الأزور)**، فقد "كانت تفوق الرجال في الفروسية والبسالة، ولها وقائع خلدها التاريخ"[2].

وفي وقعة **(أجنادين)** كان **(خالد بن الوليد)** في طليعة من جنده يقاتلون الروم، فإذا بفارس ملثم لا يبين منه إلا الحدق، يقذف بنفسه ولا يلوي ما وراءه، فقال خالد: ليت شعري من هذا الفارس؟

أتدري من يكون؟ إنها خوله بنت الأزور، حتى انقلب الروم على أعقابهم خاسرين، وقائلهم يقول: إن أمة تلك نساؤها لن تغلب. [3]

لقد بزغ نجم المرأة ساطعاً في عصر النبوة؛ لما أبدته من صمود في مقاومة الكفر وأذياله حيث جاء في الحديث الشريف:

" حدثنا مسدد حدثنا بشر بن المفضل، عن خالد بن ذكوان عن الرُّبيِّع بنت معوذ قالت: كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم، فنسقي القوم ونخدمهم، ونرد الجرحى،والقتلى إلى المدينة"[4].

ولم يقف دور المرأة عند ذلك فقد خاضت غمار المعارك وأثخنت في قتل الأعداء كما الرجال الصناديد مقبلة غير مدبرة، وما كان من أسماء بنت يزيد بن السكن يوم اليرموك وقتلها تسعة من الروم.

---

[1] سهام عبد الوهاب الفريح، المرأة العربية والإبداع الشعري، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط/1:(1431هـ – 2010م)، ص11.

[2] أ. د. نبيل أبو علي، شاعرات عصر الإسلام الأول، ص96.

[3] ينظر: ابن الهاشمي، تصدير محمد الغزالي، الداعية زينب الغزالي، مسيرة جهاد وحديث من الذكريات من خلال كتاباتها، دار الاعتصام،(1409 هـ – 1988م)، ص181، بتصرف.

[4] صحيح البخاري، بعناية: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط/1: 1422 هـ، باب: فضل الجهاد والسير، ص 34.

" حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي حدثنا أبي، حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن مهاجر وعمر بن مهاجر عن أبيهما، أن أسماء بنت يزيد بنت السكن عم معاذ بن جبل قتلت يوم اليرموك تسعة من الروم بعمود فسطاطها" [1].

أما المرأة الفلسطينية فقد قاومت المحتل الصهيوني، وصمدت في وجه العواصف الهوجاء، فخرجت إلى الشارع معلنة عن غضبها "ومن التظاهرات التي قامت بها المرأة التظاهرة التي جرت في القدس، والتي اشتركت بها مئات السيدات في العام (1929م)،حيث توجهن في مسيرة بالسيارات إلى مقر المندوب السامي في القدس وطالبن بإلغاء وعد بلفور ووقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين"[2].

وقد صور الشاعر **(إبراهيم طوقان)** تلبية المرأة لصرخة الوطن والإضراب الذي عم أنحاء فلسطين بمناسبة تصريح بلفور المشؤوم الكئيب في قصيدة **(البلد الكئيب):**[3]

بشراك يا وطني فقد نهضت بك الغيد الأوانس

حيَّت جموع الغانيات عيون نرجسك النواعس

.....

وطني ظفرت إذا النساء هتفن باسمك في المجالس

وقد شاركت المرأة الفلسطينية في التنظيمات والأحزاب، " فلم تتوان المرأة الفلسطينية في استغلال أية فرصة لإثبات انتمائها وعطائها لشعبها وقضيته العادلة" [4].

وقد جسد الشاعر **(سليم الزعنون)** وقوف المرأة الفلسطينية جنباً إلى جنب مع الرجل في ساحات الوغى، حيث يقول[5].

وعطلتمـــو زحـــف الحديـــد بفتيـــةٍ بأجســـادهم صـــدوا مـــع الفتيـــات

---

[1] الطبراني، المعجم الكبير، حققه: حمدي عبد الحميد السلفي، دار إحياء التراث العربي، ط/2:1404هـ -1984 م، ج 24، ص 157.

[2] غازي الخليلي، المرأة الفلسطينية والثورة، ص 78.

[3] إحسان عباس، إبراهيم طوقان (الأعمال الشعرية الكاملة)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط/2، 1993 م، ص 120.ومحمد شحادة عليان، الجانب الاجتماعي في السعر الفلسطيني الحديث، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط/1: 1987 م، ص 129.

[4] محمد يوسف الحافي، المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة (1994م-2006م)، رسالة ماجستير إشراف د. مخيمر أبو سعده، 1430 هـ -2009 م، ص 46.

[5] سليم الزعنون، ديوان وهكذا نطق الجحر، ط/2001م، عمان، الأردن، ص 260.

حرائـــر شـــعبي كالرجـــال تـــدافعت وتقضـــي انتصـــار فـــي ربيـــع حيـــاة

وقاومت المرأة بشعرها أيضاً فظهرت الثورة والقومية والتحفيز على القتال في أشعار ثرية المعاني ومنهن مي صايغ و فدوى طوقان.

فقد دوى صوت الحرية الذي حفرته فدوى طوقان في كل مرتفع ومنحدر وهتف به كل مسلم ومسيحي في قصيدة (حرية الشعب)، تقول:[1]

حريتي حريتي حريتي

سأظل أحفر اسمها وأنا أناضل

في الأرض في الجدران في شرف

المـنـازل

في هيكل العذراء في المحراب في طرق المزارع

إن المقاومة والصمود تتجلى بوضوح في الانتفاضة، فقد رشقت جنود العدو بالحجارة، وألقت الزجاجات الحارقة؛ مما عرضها للضرب والاعتقال والتعذيب على أيدي الجنود الإسرائيليين، "ومما كتبته الدكتورة (لويز كنيكر) تحت عنوان رحلتي إلى فلسطين والذي يوضح دور المرأة الفلسطينية في الانتفاضة تقول:"تشترك النساء في الانتفاضة اشتراكاً كاملاً، سواء بصنع الأعلام الفلسطينية من قطع القماش أم بالتظاهر حسب خطط القيادة وقد ابتكرت طرقاً لحماية المتظاهرين من الضرب والاعتقال.

فعندما يبدأ الجنود بضرب أحد الصبيان يتجمعن حول الجنود ويهجمن عليهم، وتدعي كل منهن أن الصبي هو ابنها" [2].

عرف الاحتلال دور المرأة النضالي؛ فلم يرحمها، وزج بها في أتون السجون وغياهب المعتقلات وقام الجيش الإسرائيلي بحملات اعتقال في صفوف النساء.

" إن معاناة المرأة الأسيرة تتعدى الوصف، فهي الأم التي أنجبت أطفالها داخل السجن، وهي المرأة التي صبرت سنوات طويلة حيث قضت الأسيرات مُدداً تزيد عن العشر سنوات "[3].

---

[1] فدوى طوقان، ديوان الليل والفرسان، دار العودة، بيروت، لبنان، 1988 م، ص 554.

وينظر: رجا سمرين، شعر المرأة العربية المعاصر، ص 478.

[2] أكرم أبو سمرة، المرأة الفلسطينية، درس في الانتفاضة، مطبوعات الإعلام الموحد، تونس ط/1: 1989م، ص 34.

[3] عوني محمد العلوي وعبد الحميد جمال الفراني، أعلام النساء الفلسطينيات، بحث غير منشور، ص532.

ومن أسيرات عام **(1969م) (سارة إبراهيم بركات)** حيث "ساقوها إلى محكمة عسكرية موجهين إليها عدد من التهم منها:

تنظيم المظاهرات وتوزيع المنشورات وحض الشعب على كره الاحتلال والحض على الإضراب وتسميم الرأي العام"[1].

وعن صمود المرأة الفلسطينية ومقاومتها الاحتلال يقول الشاعر (معين بسيو): [2]

أمـــاه إن عـــاد أبطـــال الكفـــاح علـــى مـــوج الكفـــاح الـــذي يعلـــو ولـــم نعـــدِ
ويســـأل الشـــارع الولهـــان: أيـــن مضـــوا؟ مـــا بـــين مختطـــف لـــيلا ومفتقـــدِ
أمـــاه مهمـــا احتـــواني القيـــد منفـــرداً فـــإنني بنضـــالي غيـــر منفـــردِ

ولم تخل سجون الاحتلال من النساء فقد أسر ما يقارب من عشرة آلاف امرأة فلسطينية منهن الكبيرات في السن والأمهات وكذا الصغيرات في عمر الزهور. "ويبلغ حاليا عدد الأسيرات عشر معتقلات...ويتواجدن في سجن النساء في الرملة وفي مراكز التوقيف في ظروف صعبة حيث تم وضعهن في قسم السجينات الجنائيات ويتعرضن لاستفزازات يومية"[3].

إن المجتمع الذي أعطى المرأة قدسية لحقيق أن يدحض مزاعم المنكرين على المرأة خروجها لساحة النضال وتقوقعها في غياهب المنزل و" إن أسوأ جناية على الأمة أولا وعلى المرأة ثانيا في العصر الحاضر أن نوهمها بالدونية ومن ثم نحرمها من الدفاع عن نهجها السياسي وغايات أمتها العليا"[4].

وفي مخيم جنين استخدم الجنود المرأة الفلسطينية دروعا بشرية " فهناك لطيفة أبو زيد وعمرها خمس وستون عاما التي أجبرت مرتين على مرافقة جنود الاحتلال؛ لفتح الأبواب وتفقد المنازل، وفي المرة الثانية تركها الجنود على سطح أحد المنازل الذي أجبروها على الدخول إليه قبلهم عبر فتحة أحدثوها في جداره"[5].

---

[1] أوراق عارف العارف، المجموعة الثانية، المعذبون في السجون الإسرائيلية من أبناء فلسطين 1967م-1972م، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ص254.

[2] معين بسيسو، قصائد مختارة، منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية، ص45.

[3] عوني العلوي وعبد الحميد الفراني، أعلام النساء الفلسطينيات، ص533.

[4] أسماء محمد أحمد زيادة، دور المرأة السياسي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، دار السلام للطباعة، ط/1: 1412 هـ - 2001م، ص270.

[5] أمين المبيض، جنين غراد، الاجتياح الإسرائيلي ومجزرة المخيم، نيسان، 2002م، ص166.

وفي حرب الفرقان ضربت المرأة الفلسطينية مثلا حي للصمود إذ استخدمت أيضا كدروع بشرية، وتصف لنا امراة فلسطينية المعاناة والقهر الذي تعرّت له في حرب غزة وفيه:[1].

يتعرى الجنود الصهاينة من عباءة الأخلاق ويمارسون السادية والنازية وهم قابعون في دباباتهم يقول الشاعر **(سعد الغامدي)** في قصيدة **(صمود غزة):** [2]

القـــــابعين وراء جُـــــدْر حصـــــونهم القـــــاتلين طفولـــــةً ونســـــاءَ
الســـــاقطين ديانـــــةً وخلائقـــــاً الشـــــاربين قـــــذارةً ودمـــــاءَ
الخـــــائنين الخـــــاذلين نبـــــيهم الســـــافكين مكارمـــــاً وإخـــــاءَ

ويفاخر الشاعر **(لواسع السقاف)** بنساء غزة، فهن كالكواسر لو أتيح لهن حمل السلاح في قصيدة **(متى تغضب؟)** يقول فيها[3]:

نســـــاؤك يستشـــــطن الآن غيظـــــاً وتصـــــطفُّ النســـــاءُ وأنـــــت خـــــائر
ولـــــو مُكِّـــــن مـــــن حمـــــل الســـــلاح لَكُـــــنَّ بـــــأرض غـــــزة كالكواســـــر
أرى لا فخـــــر فـــــي رجـــــلٍ ضـــــعيفٍ ولكـــــن فـــــي النســـــاءِ أنـــــا أفـــــاخر

والأم الفلسطينية صامدة فهي أقوى من الريح، بل أقوى من جحفل لجب، فهي تغزل الأكفان في وَلَهٍ، وتستقبل شهداء الوطن في طرب يقول **(محمد براح)** في قصيدة **(شد الزناد):**[4]

أجـــلُّ حـــرفٍ أنـــا قـــد صـــرتُ أكتبـــهُ صـــمود غـــزة فـــي شـــعري وفـــي أدبـــي
صـــــمودُ أمٍّ لهـــــا دمـــــع تؤجلـــــه فالطفـــــل ســـــاءلها يـــــا أمُّ أيـــــن أبـــــي؟
يـــــا أمُّ أعيـــــاد مـــــيلاد بطـــــائرة غطـــــت علـــــى دميتـــــي واســـــتهدفت لعبـــــي
يـــــا أمُّ أيـــــن هـــــدايانا وحلوتنـــــا قـــومي اســمعي الصـوت يـا أمـاه عـن كثـبِ
وزغـــردت تغـــزل الأكفـــان فـــي ولـــه واســـتقبلت شـــهداء المجـــد فـــي طـــربِ
قلـــــي بربـــــك أمٌّ تلـــــك أم جبـــــل؟ أقـــوى مـــن الـــريح بـــل مـــن جحفـــل لُجُـــبِ

---

[1] ينظر : راوية البورنو، الحرب على غزة، دار فادي للنشر، عما، 1/6: 2009م، ص37. والمرأة هي أسمهان علي النجار، (41) عاماً متزوجة ولها (7) أطفال وما حدث معها كان في 2009/1/13، وقد طلب منها جنود الاحتلال التعري وخلع ملابسها لكنها رفضت وحاولت استفزاز الجنود لقتلها.

[2] لأجلك غزة، ص213.

[3] السابق، ص332.

[4] السابق، ص434.

إن الصبر على عتمة الأسر والتجويع والقهر، وفقد الأحبة يعكس صورة مشرقة لصمود المرأة الغزية خلال الحرب، فهذه الجدة الطاعنة في السن تحث على الصبر بعد أن تجرعته، فهي تُقيتُ منْ حولها بالماء والتمر، يقول **(محمد أبو دية)** [1]:

واذكـــــر ألوفـــاً مـــن أحبتنـــا وبناتِنـــا فـــي عتمـــةِ الأســـرِ
كـــم حـــرَّةٍ فقـــدت أحبتهـــا صـــبرت علـــى التجويـــع والقهـــرِ
كـــم جـــدَّةٍ شـــابت ذوائبهـــا صـــبرتْ وتـــدعونا إلـــى الصـــبرِ
حـــدبت علـــى الأيـــام تحرســـها وتُقِيُـــتهُمْ بالمـــاء والتمـــرِ

إن القلوب أضناها السكات والعين تهزها قلوب الصامدات الصابرات، فقد ارتدى في غزة رداء المقاومة كل من الطفل والشيخ، والأمهات تعتنق الردى؛ فالكرامة في المقاومة، ففي قصيدة **(قاوم)** للشاعر **(رائد عبد اللطيف)** يقول فيها: [2]

قـــاومْ

فإن القلب أضناه السُّكاتْ

والعين هزَّتها قلوبُ الصامدات الصابراتْ

قـــاومْ

فأنت الطفل.. أنت الشيخُ

أنت الأم تعتنق الردى

أنت كرامة

لم تلقَ فينا سيدا

إن البوارج والطائرات الحربية التي دكت غزة لن تَفُتَّ من صمود النساء الفلسطينيات، فسلاحهن أقوى من سلاح العدو، فالعدو يقتل والفلسطينية تنجب الأطفال وتكثرهم وتصمد على ضنك العيش فتطعمهم من لحمها وتسقيهم من روحها.

ففي قصيدة **(ديوان غزة..من الفسفور إلى الزاجل)** للشاعر **(عيسى الرومي)** يقول فيها:[3]

لا. لن تميلَ خيوطَ ردائيَ البوارجُ والطائراتُ

---

[1] لأجلك غزة، ص405.

[2] ديوان الفرقان، ص561.

[3] السابق، ص416.

أنا منْ تُعَدِّل بوصلةَ الأمةِ المائلةْ

لغزةَ أطفالُها

ونساءٌ يُكثِّرنهم

ويُطعمنهمْ لحمهُنَّ

ويسقينهم روحهنَّ

ويحدثنا **(منير الركراكي)** عن صمود الأم في غزة وهي تحكي قصة استشهاد بناتها، فأخجله ما سمع من الأبية، وأذهله صمودها وصبرها وهي ترتل آية الذكر الحكيم فيسهل الخطب، وكم نساء دأبهن الشجاعة والصمود، في حين يفتقد كثير من الرجال الحزم، في قصيدة جعل عنوانها الصبر والاعتذار، **(صبراً غزة وعذراً)** يقول فيها:[1]

وأسمعُ صوتَ الأمِّ يا لَصمودها ... تُكفكف دمع العين والقلب مِرجلُ

وأسمعها تحكي لنا عن بناتها ... قَضَيْنَ كما تدوي الزهورُ وتذبلُ

ولا مَنْ يعي هول المعاناة غيرُها ... وفي قولها آيُ الكتاب يرتلُ

فلا تهنوا جبنا ولا تحزنوا أسى ... إذا رضي الرحمنُ فالخطبُ يسهلُ

خجلتُ وفي قول الأبيَّة ما يشي ... بأن خيار الموتِ أولى وأطولُ

وكم من نساءٍ دأبهن رجولةً ... وكم ذكرا في الحزم لا يترجلُ

هاهو الشعب أوقد جمر المعركة، فهبت النسوة أسوداً تزأر، لا تتخاذل ولا تلين والكل أقسم اليمين على الجهاد والتصدي للعدو بكل عنفوان وصبر. ففي قصيدة **(قسما)** للشاعر **(صبحي ياسين)** يقول فيها:[2]

الشعب أوقد جمرها يا معشرُ ... والنسوةُ انطلقت أسوداً تزأرُ

قد أقسمَ الشعبُ اليمين مجاهداً ... اللهُ فوقَ الظالمين وأكبرُ

كُلُّ المساجد والمآذنِ أقسمت ... حتي الحجارة رددت والمنبرُ

قسماً ونور الحق في جبهاتِنا ... وبكلِّ باكيةٍ تئنُّ وتزفرُ

---

[1] ديوان الفرقان، ص 226.

[2] السابق، ص 152.

نعم أعلنتها المرأة الفلسطينية صرخة مدوية اهتزت لها الأرض، فهي قادمة وبعزيمتها للشر هازمة وهي تثق بأن السيل يجرف من أنهك عزيمتهم الجبن والخور يقول **(عبد الله جدي)** في قصيدته **(أعلنتها صرخة يا أم فانتفضي)**: [1]

أعلنتهـــا صـــرخة يـــا أمُّ فانتفضـــي فـــالأرض مالـــت وتلـــك القـــوم تنتظـــرُ
وأنـــــت قادمـــــةٌ للشـــــر هازمـــــة ويجـــرفُ الســـيل مـــن فـــي عـــزمهم خـــور

إن **(جميلة الرجوي)** في قصيدتها **(يا بنت غزة)** تبين صمود المرأة الغزية في الحرب، وتصفها بأناها الفخار لكل من يقود النضال إذ ترتسم فوق محياها العزيمة والصمود فالنصر لا محالة واقع كما وعد الله تعالى، فهي تقول:[2]

أنـــتِ الفخـــارُ لمـــن يقـــودُ نضـــالنا ويطهِّـــر الأجـــواءَ مـــن نخاســـنا

....

الله أودع فـــــي المـــــآقي عـــــزَّةً تزهـــو بهـــا فـــي رفعـــة هاماتنـــا
فـــوق المحيـــا تســـتريحُ عـــزائمٌ ويثغـــركِ البسَّـــام يشـــرق فجرُنـــا
يـــا بنـــتَ غـــزةَ يـــا رحيـــقَ قلوبنـــا والنصـــرُ وعـــدُ الله يبـــدأ مـــن هنـــا

المرأة الفلسطينية صامدة عصية على الانكسار، فهي رغم القصف الهمجي لن ترفع راية الاستسلام وترفض الإسار وفي قصيدة **(فلسطينية تحت الأنقاض)** يقول الشاعر **(بشير حاج يحيي)**:[3]

إن تدركوني تدركوا

بعض البقايا من ذِمارْ

وحميَّةً تأبى برغم القصفِ

ذل الانكسار

لم أرفع الرايات بيضاءً

ولم أرضَ الإسارْ

---

[1] ديوان الفرقان، ص 150.

[2] لأجلك غزة، ص602.

[3] موقع أدباء الشام، بشير حاج يحيي.Yahyahaj@hotmail.com.

المبحث الثالث: مصابة وشهيدة

إن مشاركة المرأة في المعارك لم يكن بدعا أو أمرا مستحدثا، فقد شاركت المرأة في القتال في الجاهلية؛ لتقي نفسها جحيم السبي، وتأثر لقومها.

أما في الإسلام وقد توحدت الرايات، وأصبح الهدف نبيلاً مقدساً ولتكون كلمة الله هي العليا، " لقد خرجت المرأة مجاهدة على عين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبمباركته لهذا الخروج، وبدعائه للمرأة الصحابية بالجهاد، بل والشهادة التي هي الثمرة العظمى المطلوبة في الغزو"[1].

وممن شاركن في الغزوات الرُّميصاء **(أم سُلَيم)**، الطاعنة بالخناجر في الوقائع، أما نسيبة بنت كعب **(أُمُّ عمارة)** فقد " شهدت أحداً هي وابنها وزوجها، وشهدت بيعة الرضوان واليمامة، وقطعت يدها فيها " [2].

والمرأة الفلسطينية كما جداتها الأوائل على طريق الحق يتساقطن كحبات اللؤلؤ شهيدات تعانق أجسادهن التراب المقدس في أرض الرباط فالشهيدة (**فاطمة خليل غزال)** وهي بطلة إسبرطية فقد استشهدت في معركة **(وادي عزون)** حيث اشترك فيها ثلاثمائة جندي بريطاني، وأصاب الثوار طائرة في محركاتها فسقطت في مطار اللد[3].

أما الشهيدة **(مريم الهيصة)**[4] فهي أبية ذات شجاعة نادرة، " رأت جندياً يضرب أحد الشبان الفلسطينيين، فألقت الخبز على الأرض وهجمت على الجندي فلطمته، وأبعدته عن الشاب فأطلق الجنود النار عليها فاستشهدت"[5].

ومن الشهيدات العسكريات **(شادية أبو غزالة)** [6] فقد قامت بعملية فدائية، وهي "نسف باص إسرائيلي تابع لشركة إيجد وقد كانت في البيت تعد قنبلة؛ لتفجيرها في عمارة إسرائيلية في تل

---

[1] أسماء زيادة، دور المرأة السياسي، ص 270.

[2] إبراهيم محمد الجمل، حياة المرأة المسلمة (منهاج شامل لحياة النساء في الدنيا والآخرة) دار الجيل، بيروت، لبنان، ط/1: 1417 هـ - 1997 م، ص 24.

وينظر: السابق ص 229.

[3] ينظر: وفيقة حمدي الشاعر، كفاح المرأة (على الصعيدين) العالمي والعربي الفلسطيني، منشورات إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي لجيش التحرير الفلسطيني، ط/1:

1973 م، دمشق، سوريا، من ص 122 - ص 125، بتصرف.

[4] من غزة، وكان عمرها (30) عاما، وكانت عائدة من الفرن تحمل طبق الخبز على رأسها حين حدث ذلك.

[5] ميسون العطاونة الوحيدي، المرأة الفلسطينية والاحتلال الإسرائيلي، جمعية الدراسات العربية، القدس، فلسطين، 1986 م، ص137.

[6] من نابلس، ولدت عام (1949 م)، واستشهدت في 28 تشرين الثاني عام 1968م.

أبيب، ولكنها انفجرت بين يديها واستشهدت "[1].

ولم يشف استشهادها غليل الاحتلال بل،" قام الصهاينة بنسف منزل أسرتها بعد استشهادها"[2].

وسطر لنا حلمي الزواتي ملاحم البطولة لهؤلاء المناضلات، وصنوف التعذيب الذي لقينه من الأعداء فكتب قصيدته **(لبوءات الفدا)** يقول فيها: [3]

وكذا فاطمة قضت

ذا من جديد

قد خضَّبت سفح الجبال بدمها

نور أشع وزهرة العمر البعيد

قد جدلت فوق الحمى

برصـاصـة

فهوت تقبل تربة الحق

التـلــيـد

وكذا فشادية قضت في دربها

أما التي كانت بصمة مميزة في تاريخ الجهاد الفلسطيني وهي (وفاء علي خليل إدريس)[4] التي كان لها فضل السبق لتكون أول استشهادية تفتح أفاق الاستشهاد النسائي على مصراعيه، "فقد أمسكت بعبوتها الناسفة التي احتوتها إحدى حقائبها، ودخلت أحد المحال التجارية الصهيونية بكل هدوء وسكينة وإصرار، ورباطة جأش؛ ليدوي بعدها الانفجار الذي هز المنطقة بأسرها وحول حياة الصهاينة إلى هلع كبير"[5].

---

[1] ميسون العطاونة الوحيدي ، ص 138.

[2] الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، صور من نضال المرأة الفلسطينية، بيروت، لبنان، 1975 م، ص 63.

[3] حلمي الزواتي، عبير الدماء، مكتبة الخلود الكبرى، ط/1: 1973 م و ط/2:1976 م، ص 107.

[4] استشهدت يوم الأحد الموافق 27 كانون ثاني 2002 م، في القدس في شارع يافا.

[5] غسان دوعر، خنساء من فلسطين، مركز الإعلام العربي، الجيزة، مصر، ط/1: 1429 هـ - 2008 م، ج/1، ص 55.

وقد أهدى الشاعر صالح فروانة قصيدة (لا يلام السنونو) إلى روح وفاء، يقول فيها:[1]

(وفاءً) مقدسياً

طلعت من بينهم

كطلوع القدر المحتوم

أو الزلزال

أما**(ريم صالح الرياشي)** فقد نفذت عمليتها في معبر بيت حانون**(إيرز)**، " وقدمت نموذجاً فريداً، أنصف المرأة وأثبت كفاءتها وقدرتها، وأهليتها لتحقق بذلك حزمة أهداف بضربة واحدة"[2].

إن فكرة الاستشهاديات راودت كل ذات حس وطني جريء حيث انصرف الذهن عن اللهو، وغرام الشباب وأهوائه الطائشة إلى ما هو أرقى من ذلك.

وفي حرب إسرائيل المسعورة على غزة **(الرصاص المصبوب)** كما أطلقت عليها إسرائيل فقد قتلت خلالها مائتين وإحدى عشرة شهيدة، وجرحت ألف ومائتين وسبعة وسبعين من الإناث، أي بنسبة (15.5%) من عدد الشهداء، و(24.22%) من عدد الجرحى[3].

هذه الجرائم التي هزت مشاعر العالم بشكل عام والوطن العربي بشكل خاص فقد ذكَّر **(عبد الرحمن العشماوي)** العرب بأمجادهم في غابر الزمان وفاخر بالمرأة الفلسطينية التي بلغت ما لم يبلغه الرجال؛ فقد دفعها القهر والظلم إلى أن حزمت بالنار والبارود جسدها لتثأر من الباغي يقول في قصيدته **(حصار غزة)**:[4]

ورأوا بنتَ ربيع العمر أقوى ... من رجال آثروا الصمتَ وأكرمْ
أعلنت أشلاؤها فينا بياناً ... واضحاً أسمى من القول وأعظمْ
بلغت ما لم يدانيه رجالٌ ... سيفهم في نصرة الحق مُلَثَّمْ
حزمت بالنار والبارود جسماً ... هزَّت الباغي به والله يرحمْ

---

[1] صالح عمر فروانة، مفردات فلسطينية، إصدارات رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين، 2011 م، ج/2 (انتفاضة الأقصى)، ص 73.

[2] إسماعيل عبد اللطيف الأشقر و مؤمن محمد غازي بسيسو، المرأة الفلسطينية في دائرة الاستهداف الصهيوني، المركز العربي للبحوث والدراسات، 1425 هـ - 2004م، ص 19.

[3] ينظر: سعاد الدعالسة وأخريات، التوثيق الإحصائي لجرائم الحرب الإسرائيلي على غزة ص14- ص15، بتصرف.

[4] لأجلك غزة، ص289.

إنَّـــــه القهـــــرُ رماهـــــا فاســـــتحالتْ جِـــــذوةً تعصـــــفُ بـــــالقول المُـــــرجَّمْ

المجرم القاسي الذي سدد رصاص الغدر في صدر الطفلة؛ ظناً منه أن يستريح بالخلاص منها فحرمها المجرم الجبان أن تلهو بأمان وانتهك براءتها وقد بيَّن ذلك عبد الجبار دية في قصيدته **(بأي ذنبٍ قتلت)** إذ يقول فيها:[1]

سدد الغاصب في الصدر

رصــاصـةْ

ظنَّ في إزهاقها يلقى

خــلاصــهْ !

يا له من مجرمٍ قاسٍ جبانْ

حرم الطفلةَ تلهو بأمان

وجهها.. يحكي البراءةْ

ملءُ عينيها.. ذكاءْ

وعلى الثغر سؤالٌ.. وإباءْ

إنها من أرض غزةْ

إنها من نسلِ عِزّةْ

لا تصدق أنها اليومَ قتيلةْ

هي والله شــهيدة

هي والله شــهيدة

امتازت حرب الفرقان بالدموية والنازية، والقتل الجماعي المتعمد لعائلات بأكملها، منها مجزرة عائلة **(عبد ربه)** حيث استشهدت السيدة **(رندا جمال عبد ربه)**، وابنها وسبعة من أفراد عائلتها.

وكذا قضت صواريخ البغي على عائلة كاملة ارتقى أفرادها فارتقَوْا إلى العلا شهداء وجلُّهم

---

[1] لأجلك غزة، ص277، 278.

من النساء. [1]

إنها الجثث والأشلاء التي تناثرت، فالنساء مزَّق أجسادهُنَ القصف، فتلك يد مقبوضة تحت الثرى فيها بقايا مسفع وخمار إنها ليلةٌ حالكة السواد، خاويةٌ إلا من الآلام والأكدار، ففي قصيدة **لا تيأسي يا غزة** أظهر لنا **(عبد الرحمن عشماوي)** تلك الصورة المأساوية إذ يقول:[2]

أيــــن النســـاءُ ؟ روى الـــدَّمارُ حكايـــةً ... عـــــن معصـــــمٍ وحقيبـــــةٍ وسِـــــوارِ
عـــن راحـــةٍ مقبوضـــةٍ تحـــت الثـــرى ... فيهـــــا بقايـــــا مِسْـــــفَعٍ وخمـــــارِ
يـــا ليلـــةً ســـوداءَ أقفـــرَ صـــمتُها ... إلا مـــــــــن الآلام والأكـــــــــدارِ
....
مـــن أيِّ بحـــرٍ يســـتقي الليـــلُ الـــدُّجى ... ومتـــــى تســـــيرُ مراكـــــبُ الإبحـــــارِ؟
وبـــأيِّ ثغـــرٍ تنطـــقُ الـــدار التـــي ... فُجِعـــتْ بمـــوتِ جميـــعِ أهـــلِ الـــدارِ؟

ولم تترك يد البغي المرأة الفلسطينية وتواصلت عمليات القتل البشعة، فحوَّل صاروخ حاقد أربع زهرات[3] في مقتبل العمر وكذا طفل إلى أشلاء، يقول الأب :" كنت برفقة ابنتي وفي طريقنا إلى المنزل، التقتا بصديقتيهما من عائلة **(معروف)**، وكان برفقتهما طفل صغير، فابتعدت قليلا عنهن، وفي تلك الأثناء حدث القصف؛ فاهتزت بنا الأرض ولم أعِ ما يدور حولي وبعدها أفقت فرأيت جثثَ بناتي مقطعةً إلى أشلاء وبالقرب منهما أشلاء الطفل والفتاتين"[4].

القصف متواصل والأم مصابة، جرحها نازف والأخت يداس عفافها والعرب يغضون الطرف فهم نيام، هذه **(هند سالم باخشوين)** في قصيدتها **(ألا ثُمَّ ؟؟؟)** تقول فيها: [5]

فغزة تقصفْ

وأمـي تنزفْ

---

[1] هي عائلة عطا الرُّميلات والشهيدات هن: الطفلة الرضيعة أريج عطا الرميلات (2) شهر وأختها صابرين (14) عاما والأم أمل عيد اشتيوي (28) عاما وجدتهن عائشة الرميلات (65) عاما ومعهن الطفل براء الرميلات عام واحد.

[2] لأجلك غزة، ص 290.

[3] هو أحمد غبن والشهيدات هن: الشقيقتان سحر أحمد غبن (17) عاما وخوله أحمد غبن (15) عاما والصديقتان: مها ياسر معروف (17) عاما وابنه عمها فاطمة محمد معروف (14) عاما والطفل هو هيثم ياسر معروف (11) عاما.

[4] هبة حمدان وأخريات، الاستهداف الصهيوني للعائلات الفلسطينية في حرب الفرقان 2009 م، مركز نساء من أجل فلسطين، ط/1:1413 هـ-2010م، ص163.

[5] ديوان الفرقان، ص 420.

وأختي عفاف العفافِ

تـــــداسْ

وقـــومي

نـــــيامٌ

نـــــيامْ

نـــــيام

إن الحقد الإسرائيلي لم يمهل الأم لتضع وليدها؛ لذا لاحقه قبل أن يرى الحياة، وسال لعابه لقتل الأم ورؤية الجنين قتيلاً أيضاً، فهذا القتل لا شفقة فيه، ومارسه هؤلاء الصهاينة الرعاع إذ بقروا بطون الحوامل بشكل متواصل، فنحن في غزه أمام آلاف من الشهداء هم ضحايا العنف والحقد الدفين.

قصيدة **(بشائر النصر الغزي)** لـ **(جميل الكنعاني)** جاء فيها: [1]

فكـــم شـــبلٍ خســـرتَ وكـــم رضـــيعٍ لفقـــدِ الأمِّ أغـــرَقَ فـــي الأنـــينِ
غـــزا الهمـــج الرعـــاع ديـــار قـــومي وقـــد بقـــروا البطـــون مـــع الجنـــينِ
وآلافٌ مـــــن الشـــــهداءِ بـــــاتوا ضـــحايا العنـــفِ والحقـــدِ الـــدفينِ
لهـــم عـــدنٌ مـــن الغفـــار مـــأوىً بجنـــات الخلـــود مـــع الأمـــينِ

وذات المشهد يكرره لنا **(أحمد حسين مفلح)** فالحرب لم تثنِ الأمَّ عن إرضاع وليدها فاستشهدت وقد تشبث رضيعها بإزارها وجيوبها فقد تقطع الرضيع أسى وهو يئن على صدر أمه ففي قصيدة **(غزة تنتصر على المحرقة)** حيث يقول: [2]

بـــراعمُ يـــا فـــداك أبـــي وأمـــي كـــأوراق الخريـــف علـــى الـــدروبِ
أمـــدُّ يـــدي لمدرســـةٍ تهـــاوت لمئذنـــةٍ تـــنخُّ علـــى الكثيـــبِ
لأمٍّ فارقـــتْ ولهـــا رضـــيعٌ تشـــبثَ بـــالإزار وبـــالجيوبِ
لأيـــامٍ خلـــت مـــازالَ حيـــاً يلـــوبُ أســـىً علـــى الصـــدر الحبيـــب

---

[1] ديوان الفرقان ، ص 314.

[2] السابق، ص 56.

إنها الصورة القبيحة للحرب؛ حيث نساء بلا أرجل، نساء معاقات تشجي القلوب، فما من عذر للمسلم يبرر به تخاذله وتقاعسَه عن نجدة أهل غزة، إنها الحسرة، فكأن الشموس انطفأت وغيض الماء في بئر زمزم. في قصيدة **(صمودا فداكم دمي)** إذ يقول**(مكي النزال)**: [1]

جميلـــــةُ باتـــــت بـــــلا أرجُـــــل كـــــ(سالي) وشـــــيماء وال (مـــــنعمِ)

فيـــــا حـــــرَّ قلبـــــاهُ مـــــاذا أرى؟ ومـــــا العـــــذر يـــــا قـــــومُ للمســـــلمِ؟

لعمـــــري كـــــأن الشـــــموس انطفـــــتْ وبـــــانَ الجفـــــافُ علـــــى زمـــــزمِ

[1] لأجلك غزة، ص532.

الفصل الثاني

المرأة الثكلى

المبحث الأول: هدم المنزل أو تجريف الأرض

المبحث الثاني: استشهاد الابن أو الزوج أو أحد الأقارب

المبحث الثالث: صور أخرى للمرأة الثكلى

المبحث الأول: هدم المنزل أو تجريف الأرض

هدم المنزل:

منذ قيامها وإسرائيل – بكيانها السرطاني– تمارس سياسة تجريد الأرض من سكانها الأصليين، فهي تطبق مقولتها الباطلة عن فلسطين **(أرض بلا شعب لشعب بلا أرض)**، فالنفي للفلسطيني مع هدم بيته مبتغى إسرائيل وغايتها، والبيت "هو المكان الذي يأوي إليه الإنسان، سواء أكان مبنياً من حجر أو من لبن وطين، أو من الإسمنت العادي أو المُسلَّح بالحديد، وسواء أكان مؤلفاً من طابقٍ واحدٍ أو طابقين أو غرفة واحدة أو غرفتين وسواء أكان يسكنه شخصٌ واحد أو أسرة بكامل أعضائها" وليس، يعنيني أن يكون المجرمون قد هدموه، هدما بالفأس والمعول أو جرفوه جرفاً، وكثيراً ما يستعمل الإسرائيليون الجرافات الكبيرة المعروفة بـ **(البلدوزر)** أو نسفوه نسفا بالبارود والنار "[1].

فهدم المنازل وضياع الدار **(المأوى)**، هو اعتداء سافر على المرأة الفلسطينية في عقر دارها، ومصادرةً لأحلامها، وتجريدها من واقعها،

ومن بيتها الآمن المستقر الذي تعشش فيه على صغارها، وتسهر على راحة زوجها، وتعود بذكرياتها لذلك البيت الجميل فتردد في أعماقها:[2].

مـــــا أجملَـــــهُ كـــــان المـــــأوى يأوينـــــا مـــــن شـــــرِّ الحـــــرِّ

ويقينـــــا البـــــردَ بكـــــانون مـــــا أجملـــــه بيـــــتُ العمـــــرِ

لذا فقد ناشد الشاعر **محمد صيام** الأم الفلسطينية بألا تبكي على هذا الدمار؛ لأن الخصم يطربه بكاؤها، يقول: [3]

هدم المنازل من جرائم هؤلاء الأشقياءْ

والضرب حتى الموت في حقد وظلم وافتراءْ

و ملاحقاتٍ في الصباح لأهلنا أو في المساءْ

---

[1] أوراق عارف العارف، (المجموعة الثالثة) الدور التي هدمها الإسرائيليون، غزة نافذة على الجحيم، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ص 469.

[2] لجنة شؤون المرأة، الخنساء أم الشهداء، نقابة الصيادلة، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، الأردن، ط/1: 1990 م، ص15.

[3] محمد صيام، ملحمة الانتفاضة، مركز الراية العربية للنشر و التوزيع، الكويت، ط/1: رمضان، 1410هـ-1990م، ص60.

لم ينجُ من هذا الصغارُ ولا الكهولُ ولا النساءْ

أماهُ لا تبكي فإنَّ الخصمَ يطربُهُ البكاءْ

دمرت إسرائيل منازل المواطنين الأمنيين، فلجأوا إلى مخيمات ضربت أوتادها في الداخل والشتات، وانتهكت إسرائيل الحرمات، ولم يحرك ذلك في العالم ساكناً ففي قصيدة **(نداء طفل الحجارة)** للشاعر فارس مشتهى التي يقول فيها: [1]

ونَـــزْعُ الســـتَّرِ عـــن رأسِ العـــذارى يُجَابـــهُ بـــالجفونِ الصـــامتاتِ

وهـــدمُ البيـــتِ فـــوقَ الأهـــلِ ظلمـــاً بـــدا فعـــلا رتيبـــاً مـــن طُغـــاةِ

وقتـــلُ الـــنفسِ لـــم يـــوقظ بـــأهلي مشـــاعر مـــن هـــوى قـــوى الجفـــاةِ

وغاية إسرائيل من نسف المنازل ما هو إلا طمسٌ للوجود الفلسطيني بصورة قسرية، فهذه سياسة قديمة حديثة يعرفها العدو نفسه، "ذكرت جريدة يديعوت العبرية استنادا إلى مصادر أمنية أنه منذ عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين تم هدم ألف ومائتين وثمانية وخمسين منزلاً في الضفة الغربية وقطاع غزة لأسباب أمنية " [2].

ولم تسلم مدينة القدس من تلك العمليات الإجرامية ففي، " التاسع والعشرين من يونيو عام ألف وتسعمائة و واحد و ثمانين هدم منزل الأرملة زهيرة عبد الرازق السلايمة، (60) عاما، من القدس والحكم عليها بالسجن أربعة أشهر وبغرامة مالية مقدارها ستون ألف شيكلا بحجة عدم حصولها على رخصة بناء منزلها " [3].

كم هو مؤلم أن ترى نفسك في العراء، تفترش الأرض، وتلتحف السماء، بلا مأوى إلا من خيام تقتلعها السيول ففي قصيدة**(السيول)**، يقول الشاعر **معين بسيسو**: [4]

إن جئـــتَ تســـألُ عـــن أطفالِهـــا صـــرختْ وقَهْقَـــه الســـيل لـــم تحبـــلْ ولـــم تلـــدِ

يـــا مَـــنْ نصـــبتَ لهـــم ســـودَ الخيـــامِ علـــى صُـــفْرِ الرِّمـــالِ لقـــد غاصـــت إلـــى الأبـــدِ

---

[1] فارس مشتهى، نبضات قلب من أرض الرباط، مكتبة ومطبعة دار الأرقم، غزة، فلسطين، 1425هـ -2004م، ص25.

[2] غازي السعدي و نواف الزرو وغسان كمال، توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة (1981م)،الكتاب السنوي، هيئة الرصد والتحرير، المؤسسة العربية، دار الجيل للنشر، عمان، ط/2:1 198م، ص 358.

[3] السابق، ص359.

[4] معين بسيسو، قصائد مختارة، ص 17.

ولإعطاء فكرة عن طريق نسف تلك القوات للمنازل ما صرحت به الفلسطينية **نزهة خليل حسن زيادة** [1]، إذ هالهم صوت انفجار هز المنزل برمته، فتبينوا أن الإسرائيليين نسفوا المدخل واقتحموا عليهم باقي المنزل واقتادوهم مع أخ زوجها إلى غرفة واحدة، كانوا اثنين وعشرين شخصاً في حالة مزرية تشمُّهم كلاب الأثر، وقد أُصيبوا بحالة من الخوف والهلع، ثم أخرجوهم من الغرفة إلى بيت جيران لهم وقاموا بتفجير المنزل بشكل كامل و اعتقلوا زوجها.[2]

المنزل الذي ملكته **نزهة (أم سهيل)** تحول إلى ركام وأكوام من الحجارة.

إن تضحيتها " فاقت كل الحدود وكل منطق وعقل؛ فهي تجلس في خيمتها ترسل النظرات الممزوجة بالألم، والحزن تجاه حطام منزلها".[3] تتأجج نيران قلبها، ولسان حالها يقول لهم:[4]

دَمِّروا بيتي حرِّقوا كبدي

أمطرونا بوابلٍ من حرابِ

لن تنالوا من عزتي وإبائي

لن تعيشوا في تلتي وهضابي

لقد ضربت إسرائيل باتفاقية جنيف وبنودها عرض الحائط، وخصوصاً ما جاء في مادتها الثالثة والخمسين والتي تنص على أنه " يحظر على دولة الاحتلال أن تدمر أي ممتلكات خاصة ثابتة أو منقولة تتعلق بأفراد أو جماعات "[5].

واستمرت إسرائيل في نهجها السادي ضد الفلسطينيين وممتلكاتهم، فقامت بمباغتتهم بنسف منازلهم، دون منحهم فرصة لإخلائها أو الخروج منها، "وصعَّدت عمليات نسف المنازل بالمتفجرات؛ ما ألحق أضراراً كبيرةً تجاوزت في آثارها التدميرية المنازل المستهدفة؛ لتحدث أضراراً كبيرة في عشرات المنازل المجاورة للمنزل المستهدف ".[6]

---

[1] عمرها(55) عاما من جباليا ونسف منزلها فجر الخميس الساعة(3) الموافق 2003/3/5 م.

[2] ينظر: مركز الميزان لحقوق الإنسان، تقرير دوري يغطي الفترة من 2003/1/1 م-2003/3/31م، ص12، بتصرف.

[3] غسان دوعر، خنساء في فلسطين، ج/2، ص 94.

[4] لجنة شؤون المرأة، الخنساء أم الشهداء، ص 15.

[5] مركز الميزان لحقوق الإنسان، تقرير حول جرائم قوات الاحتلال الإسرائيلي بحق السكان المدنيين وممتلكاتهم في الأراضي الفلسطينية المحتلة، غزة، 2003 م، ص 11.

[6] السابق، ص 12 .

وهدم الدار أبشع صور الثكل الذي تعانيه المرأة الفلسطينية، إنه الثكل المر، فكم وكم أقيم بيت عزاء يَرِدُهُ المعزُّون والمواسون في بيتٍ هُدم، وانهارت أسقفه وجدرانه واستحالت حياة أهله إلى جحيم محقق، فبكت النساء بيوتهن المنسوفة كما يبكين فلذات أكبادهن بكاء جيَّاشاً يحرق القلوب، وينم عن عظم الكارثة التي ابتليت بها المرأة من العدو.

ورغم آلاف المنازل التي نسفتها إسرائيل ظلماً وعدواناً طوال سِني احتلالها لفلسطين، إلا أنَّ حربها على غزة **(الفرقان)** كانت أشرس هجمة يتصورها العقل. وأيُّ صورة أبلغ مما صوره الشاعر **عبد الفتاح أبو زايدة** وقد أرخ ذلك اليوم المشؤوم؛ ليبقى في ذاكرة التاريخ شاهداً على إرهاب إسرائيل، فالمنازل الشامخة غدت كثيباً مهيلاً كأنها ساجدة لله ولم تغب عنه صورة المرأة العجوز تبتلع الدخان وهي تداري دمعة على خدها حيث يقول:[1]

في اليوم السابع والعشرين

طارت في الجو الغربان

ونعيق البوم يسير على الطرقات

.....

سجدت أبنية لله تحتضن الأرض

هاجمت مدينتي حرائق الغربان

والتف السوادُ رأس الزمان

والقلب يجأرُ بالدعاء

صاحت عجوز وهي تبتلعُ الدخان

الشــمس تسكن وجهها

تداري دمعة في خدها

إن نسف الدور ممارسة تُشْبِعُ بها إسرائيل غرائزها؛ لتزعزع استقرار وأمن الأسرة الفلسطينية، بل القضاء عليها نهائياً قاصدة من طرف خفي المرأة نواة هذه الدار، فلو بغيتها الرجال لقتلتهم وسجنتهم.

---

[1] عبد الفتاح أبو زايدة، دموع بلا عيون، ص75.

إنَّ الشاعر عطا سليمان رمّوني وضح لنا أن إرادة الشعوب تقف سداً منيعاً في وجه المحتل، لتبني ألف بيت بدل البيت المدمَّر، وأن الاحتلال لا محالة زائل بعون الله. في قصيدة **(كيان تعود هدم البيوت)** يقول:[1]

كيـــــانٌ تعـــــوَّد هـــــدم البيـــــوت ونحـــــن ســـــنبني ألفـــــا بديلـــــةْ
فمـــــا ســـــلم الطـــــين مـــــنهم شـــــروراً ومـــــا الأرض باتـــــت تفـــــادي غليلـــــهْ
فمهمـــــا تجبـــــرت لـــــن تـــــثن عزمـــــاً لشـــــــعبٍ أراد الجهـــــاد ســـــــبيلهْ
....
فمهمـــــا هـــــدمت ومهمـــــا نســـــفت كيـــــانٌ تيقّنـــــتُ أنِّـــــي مُزيلـــــةْ
بعـــــونِ الـــــذي مـــــدَّ عونـــــاً لعبـــــدٍ دعـــــا الله نصـــــراً فـــــأعطى ســـــئيلهْ

لقد أحدثت إسرائيل تدميراً واسع النطاق خلال عدوانها على غزة طال المباني السكنية والمؤسسات المختلفة، " بلغ عدد الوحدات السكنية المتضررة خمسين ألف وستمائة وثلاث وخمسين وحدة سكنية"[2].

وظلت المرأة الفلسطينية زيتونة صامدة لا تثنيها الضربات المتتالية من الاحتلال فهي تؤمن بأن الضربة التي لا تميتني تزيدني قوة؛ لذا فهي تتولى " الربط بين الأبناء و الوطن والبندقية، فهي الجسر الذي يربط بينهم، وعلى عاتقها تقع مسؤولية زرع بذور المقاومة والكفاح في وجدان ابنها، هذه البذور ستنمو في مرحلة لاحقة؛ لتتحول إلى فعل سياسي عسكري منظم وواع".[3]

فلا تراجع ولا استسلام في التصدي للعدوان، فالشاعر خالد البيطار في قصيدته **(يا أهل غزة)** يبين الحقد الدفين الذي يهدم الإسرائيليون بسببه البيوت والمشافي والمداس لكن الرجال يسددون سلاحهم وكذا النساء كأنهن رجال في التصدي للعدو، يقول:[4]

فمضـــى لهـــدم بيـــوتهم كـــي يـــذعنوا خســـئ العـــدو المجـــرم الختَّـــالُ
أعلـــى البيـــوت وأهلهـــا ودرويهـــا وعلـــى المســـاجد كيـــده ينهـــالُ؟؟
وعلـــى والمشـــافي والمـــدارس هـــل لهـــا ســـيفٌ يقاتـــل أو يـــدٌ تغتـــالُ؟؟
الطـــائرات تحـــوم تقـــذف بـــاللظى يـــا ويحهـــم مـــاذا جنـــى الأطفـــالُ؟؟

---

[1] موقع www.palissu. Com عطا سليمان رموني، كيان تعود هدم البيوت.

[2] التوثيق الإحصائي لجرائم الحرب الإسرائيلية خلال عدوانها على غزة، 2008 م – 2009 م، ص 26.

[3] حسان رشاد الشامي، المرأة في الرواية الفلسطينية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، مكتبة الأسد الوطنية، دمشق، 1998م، ص97.

[4] ديوان لأجلك غزة، ص 146، 147.

لكنـــه الحقـــدُ الـــدفينُ وقـــد بـــدا حتـــى لمـــن عشـــقوا الســـلام وغـــالوا

....

فـــإذا الرجـــال يســـددون ســـلاحهم وإذا النســـــاء كـــــأنهن رجـــــالُ

فالمرأة الفلسطينية لابد لها من الصبر على بيتها الذي غدا كسفا؛ فتفتت كبدها حزنا على أنقاضه هذا ما صوره الشاعر محمد عبد المطلب جاد في قصيدته (صباح الصبر يا غزة) يقول فيها:[1]

على آلاف شهدانا وصرخة أُمْ

فلا خطرٌ كما أملاه (سامُ) العمْ

صباح الصبر يا بيتا غدا كسفا

وفي أنقاضه كبدي وما كشفَ

وما كفَّى الذي أبدى وما وَصَفَ

إنها الصورة البشعة للحرب والدمار، حيث المساجد متهدمة والقصف لا يُبقي ولا يذر والعدو لا يرحم نسوة ولا كهولا، بالإضافة إلى الجوع والقهر والحصار، نجد ذلك جليا في قصيدة **(نداء غزة للعرب والمسلمين)** يقول فيها:[2]

أفمـــا رأيـــتم مســـجداً متهـــدماً أفمـــا ســـمعتم صـــارخا مـــذهولا

....

هـــلا علمـــتم أرض غـــزة مـــا بهـــا هـــلا رحمـــتم نســـوة وكهـــولا

القصـــف لـــم يتـــرك بهـــا مـــن موقـــعٍ إلاَّ وقتَّـــل أهلهـــا تقتـــيلا

كيـــف البيـــوت بأهلهـــا قـــد دمـــرت والقصـــف طـــال مزارعـــاً وحقـــولا

قهـــرٌ وجـــوعٌ والحصـــارُ مـــلازمٌ النـــورُ غـــابَ فـــلا تـــرى قنـــديلا

إن الجرائم التي ارتكبها الصهاينة في غزة تحصد الأطفال، وتحرق أمهاتهم، وتهدم بيوتهم فوق رؤوسهم شططا؛ فتتساقط النساء شهيدات هذا ما أشار إليه سعد عطية الغامدي في قصيدة **(مجازر غزة وحصارها)**:[3]

جرائم تحصد الأطفال

---

[1] ديوان لأجلك غزة ، ص 472 .

[2] السابق، ص 41، ص42.

[3] السابق، ص217.

فـي غـزة

وتحرق أمهـاتهم

ويـهـدم فوقـهم

شطـطـاً

منازلهم.. فيزهق روح (رادينا)

وتصـحبـها (هنا)

لقد حولت الحرب حياة الناس في غزة إلى ألم لا ينتهي، وجحيم محقق، فالمشهد ذات المشهد بيوت تهدم وأهلها نيام، والمرأة هي من يدفع الثمن، فالأمهات دموعها لا تنجلي، وأكفهن على الخدود تلطَّم. إنها صورة حية التقطها عصري مفارحة في قصيدة **(مأساة غزة)**:[1]

ألـــمٌ علـــى ألـــمٍ علـــى ألـــمٍ وهـــل ... يرضـــى بـــذلِّ العـــيش مـــن يتـــألمُ

أمـــــاه لا تبكـــــي علـــــيَّ إذا لقـــــي ... تُ منيتـــــي إنَّ المنيـــــة أرحـــــمُ

إن كـــان هـــذا العـــيش ذلٌّ كلـــه ... فـــالموتُ نِعْـــمَ المـــوتُ إن هـــو أســـلمُ

....

هـــدموا المنـــازل فوقنـــا فتبعثـــرت ... وضـــح النهـــار ونحـــن فيهـــا نُـــوَّمُ

....

والأمهـــات دموعهـــا لا تنجلـــي ... وأَكُفُّهـــنَّ علـــى الخـــدودِ تلطَّـــمُ

هـــذي حيـــاة الشـــعب صـــعبٌ وَصـــفها ... وإذا صـــدقتُ الوصـــفَ فهـــي جهـــنمُ

وقد استصرخت النساء وهن يبكين على أطلال بيوتهن المنسوفة، ودوت صرخاتهن في أرجاء المعمورة، وكم امرأة استنجدت بالرؤساء العرب،" ربما لم تسمع هذه المرأة بالمعتصم أو عمورية، ولم تقرأ عنهما، بل هي ربما لا تقرأ ولا تكتب ولكنها تعلم بالفطرة قبل الوعي أنها عربية، وأن ذلك يرتب لها حقوقا على أهلها العرب".[2]

---

[1] ديوان لأجلك غزة ، ص351.

[2] عبد الله حوراني، لماذا نكتب ولمن ؟ (رؤية للوضع الفلسطيني)، منشورات المركز القومي الدراسات والتوثيق، ط/1: 2010 م، ص 247.

انظر إلى البيوت الشامخة كيف استحالت إلى حجارة، ولا تسخر من الحجر إنه رمز لمقاومة شعب أعزل عشق الجهاد؛ فاتخذ من الحجر سلاحاً يقذف به وجوه المعتدين وهو تلكم الحبلى بآلاف الضحايا والعبر يقول الشاعر:[1]

لا تقلْ إنيِّ حجرْ

أنا ذلك البيت الذي هدموه

ليدفنوني تحته

فاحتضنتُ البيت

وبنيت البيت في جرحي وطن

هذي هديتكم إليَّ

صارت سلاحاً في يديَّ

.....

لا تقلْ إنيِّ حجرْ

أنا تلكم الحبلى

بالآلف الضحايا والعبر

لقد بكت المرأة الفلسطينية دماً لا دموعاً، وتمزق كبدها إرباً؛ حزناً على بيتها، فأخذت تُقَبِّلُ حجارته، وتطوف حول أنقاضه كما الحاج في كعبته.

إنها تدفع حياتها ثمن الصمود في بيتها فقد نسفوه بكل قصد فتناثرت أشلاء الصغار والشيوخ والنساء بلا عدد، يقول الشاعر محمد عبد اللطيف المطلب جاد:[2]

نسفوا المساجدَ والمقا ... برَ والبيوتَ بكلِّ قصدْ

أشلاؤنا تحت التراب ... وكم بها طفل رقدْ

....

ومن الصِّغار إلى الشُّيوخ ... إلى النساء بلا عددْ

---

[1] عبد الفتاح أبو زايدة، دموع بلا عيون، قصيدة صرخة الحجر، ص 103.

[2] لأجلك غزة، قصيدة يا رب غزة، ص 474، 475.

يطالب الشاعر الأم الفلسطينية ألا تحزن بما فعل الجبان من هدم البيوت متوعداً ببناء آلاف البيوت في فضاء العز والمجد، فمهما ذبحوا من النساء وحرقوا من الأطفال هناك إصرار على البقاء حيث يولد الأطفال أبطالا يتحدون العدو، يقول **عبد الفتاح أبو زايدة:**[1]

لا تحزني يا أمُّ ما فعل الجبانْ

إن يهدموا بــيتي

فلسوف نبني في فضاء العزِّ آلاف البيوت

إن يقتلوا شــيخاً

أو يحرقوا طــفلاً

أو يذبحوا امــرأةً

كلُّ النجومِ ستنجبُ الأطفالَ أبطالاً

ها هي الأمهات على طرقات النفير، تلوِّح لأبنائهن، فيتحدث البيت مباهياً بما كان فيه من أسوار وقلاع، وزهر الفل لكن يد الجنود كالظلام جعلت السماء معلقة من ظفائرها تتدلى في السقف؛ دليل الدَّمارِ الذي حلّ جراء الحرب هذا ما صوره **إبراهيم نصر الله** بقوله:[2]

وتلويحةَ الأمهات لأبنائهن على طرقات النفير

وكلَّ المقابرِ كلَّ الأكاليل

.....

قـال لـي البيت

سوري عالٍ وكلُّ جدارٍ هنا قلعة

والنوافذُ تحرسُ سرَّ المكان

وتحرسُ ضوءَ الهلالِ الطريِّ على زهرةِ الفُلِّ

.....

وظلُّ الجنود كظلِّ الرياح: بقايا الرِّمال

فنمْ جيداً – قال لـي البيتِ

---

[1] دموع بلا عيون، قصيدة غزة عرس فلسطين، ص 122.

[2] لأجلك غزة، قصيدة زيتونة تشتهي أن تعيش، ص 28، 29، 30، 31.

لا ترتعد إن رأيتَ سماءً معلَّقةً من ضفائرها

تتدلى من السقف

- **تجريف الأرض:**

من أبشع أنواع التنكيل بالفلسطينيين تجريف أراضيهم الزراعية؛ لتسهيل مهمة الاستيلاء على الأرض بعد تصحيرها بطرق شتى.

"فقد أصدر الحاكم العسكري الإسرائيلي للقطاع العديد من الأوامر التي كان من أهمها الأمر الذي يلزم كل من يقوم بغرس أشتال أن يقدم تفاصيل عنها، كمساحة الأغراس بالدونمات وأنواعها وعددها وتاريخ غرسها"[1].

هذا بالإضافة إلى ما قام به المستوطنون من تخريب وحرق لمزارع الفلسطينيين، وأساليب الغدر والخيانة، كإعطاء المزارعين الفلسطينيين بذوراً فاسدة، مستغلين إغلاق الأسواق أمامهم في الدول المجاورة، والأدوية الزراعية المنتهية صلاحيتها؛ لتدمير البنية الزراعية،

وقد سارعت منظمات ومراكز حقوق الإنسان بالاحتجاج على طرد المزارعين الفلسطينيين من أراضيهم ومنعهم جني محاصيلهم الزراعية.

" ويوفر القطاع الزراعي وظائف دائمة ومؤقتة لأكثر من أربعين ألف مواطن في غزة، ويوفر الغذاء والحياة المعيشية لربع سكان القطاع"[2].

إن إسرائيل في حربها الرصاص المصبوب على غزة دمرت القطاع الزراعي كباقي القطاعات الأخرى؛ لقطع أسباب الحياة وبث اليأس في نفوس الغزيين، وجعل المرأة في دائرة الاستهداف وزجَّ بها في حرب لا هوادة فيها، لكن المرأة الفلسطينية كالمارد الذي يقف في وجه الإعصار، فلم يثنها تجريف أرضها عن تحمل أعباء قضيتها.

تقول **ابتسام صايمة:**[3]

والحقلُ.. كان الحقل يزخر بالسنابل شامخات!!

هل حرقوه وحرقوا الأحياء كي يخفوا الجريمة؟

---

[1] جهاد شعبان البطش، الاستيطان الصهيوني في قطاع غزة، مكتبة اليازجي، غزة، فلسطين، ط/1: 1423 – 2003 م، ص 235.

[2] تقرير معلومات، معاناة قطاع غزة تحت الحصار الإسرائيلي، مركز الزيتونة للدراسات، بيروت، لبنان، ط/1: 1429 – 2008 م، ص 12.

[3] لأجلك غزة، (قصيدة إلى غزة.. لا تصمتي)، ص 597.

لا تصمتي

قولي ولا تترددي

احكي لهم قصص الدمار

وقد أدرك العدو اعتماد المرأة الفلسطينية على الزيت و الزيتون لإطعام أسرتها ونمو صغارها؛ فالمثل الفلسطيني يقول: **الزيت عماد البيت؛** فحارب العدو المرأة بتجويع أسرتها وضربها في الصميم، فعمد إلى أشجار الزيتون فاجتثها من جذورها، بيد حاقدة، وقلبٍ قاسٍ.

يقول الشاعر **عبد المطلب جاد:**[1]

صباحُ الصبرِ يا زيتونةً جفَّتْ

تردَّت في يمين الحقد واجْتُثَّتْ

ولوَّحها لهيبُ الظلم فانسحقتْ

على أثمارها كم أسرة طعمتْ

وكم أعطت وكم نمَّت وكم ربتْ

وللتجويع جازوها بما فعلتْ

قساة القلب أبشع أمَّةٍ خلقتْ

لقد وقفت المرأة الفلسطينية إلى جانب زوجها تسانده وتشد أزره، وتلازمه في بستانه، وتحمل الفأس والمنجل، هي كما الطيور في البكور، فإذا انبلج الفجر حملت معولها، وباشرت الفِلاحة في أرضها، فهي تحنو عليها كما تحنو على أطفالها، وهي أكثر التصاقا بشجرة الزيتون؛ لما لها من دلالات دينية، وأهمية اقتصادية، وهي تباهي بأشجار زيتونها؛ لذا فإن الإسرائيليين يناصبون تلك الأشجار العداء، فيسعون إلى اقتلاعها وطمسها من الوجود.

ويبادل شجر الزيتون الفلسطينية الغرام فوقف إلى جانبها يقاوم العدو المشترك كما يقاوم الشيخ والأطفال وكذا العذارى يقول الشاعر **إبراهيم محمد سويد:**[2]

يقـــــاومُ فـــــي غـــــزة الســـــنديا نُ يقـــــاومُ زيتونهـــــا الأكـــــرمُ

يقـــــاوم أطفالهـــــا الصـــــابرو ن يقـــــاوم وجـــــدانها الملهـــــمُ

يقـــــاوم شـــــيخٌ تقـــــاوم أمٌّ تقـــــاوم طغيـــــانهم مـــــريمُ

---

[1] ديوان لأجلك غزة ، قصيدة (صباح الصبر يا غزة)، ص 473.

[2] السابق، قصيدة (صبرك الانتصار)، ص 17.

المبحث الثاني: استشهاد الابن أو الزوج أو أحد الأقارب

أبناؤنا فلذات أكبادنا تمشي على الأرض، نحترق كما الشموع؛ لنضيء لهم ظلمات الحياة، ونوصلهم إلى شاطئ الأمان، ونتمنى أن يكونوا أحسن حظاً منّا في الحياة، وعندما نفقدهم نفقد الحياة، ويغمرنا الحزن، ويعلو الأسى محيانا، " قيل لأعرابية مات ابنها ما أحسن عزاءكِ؟

قالت إن فقدي إياه آمانني كل فقد سواه، وإن مصيبتي به هونت عليَّ المصائب بعده، ثم أنشأت تقول:[1]

كنـــــتَ الســـــوادَ لنـــــاظري ... فعمـــــى عليـــــك النـــــاظرُ
مَـــنْ شـــاءَ بعـــدكَ فليمـــتْ ... فعليـــكَ كنـــتُ أُحـــاذرُ
ليـــت المنـــازلَ والـــديا ... رَ حفـــائرٌ ومقـــابرُ
إنِّـــي وغيـــري لا محالـــةَ ... حيـــثُ صـــرتَ لصـــائرُ

وأنشد **المفضَّل الضُّبي** لامرأة من العرب ترثي ابناً لها:[2]

ربيتـــه دهـــرا أُفتِّقـــهُ ... فـــي اليســـر أغـــذوه وفـــي العســـرِ
فمضـــى وأيُّ فتـــىً فُجِعْـــتُ بـــهِ ... جلَّـــت مصـــيبتهُ عـــن القـــدْرِ
لـــو قيـــلَ تفديـــه بـــذلتُ لـــه ... مـــالي ومـــا جمعـــتُ مـــن وَفْـــرِ
أو كنـــتُ مقتـــدراً علـــى عُمْـــري ... آثرتـــه بالشَّـــطر مـــن عُمـــري

استباحت إسرائيل الدم الفلسطيني فأراقته؛ ليخضب تراب فلسطين؛ لذا كان لزاما على المرأة أن تربي أبناءها على عشق الجهاد فالأمهات مفخرةٌ للدنيا كلها، وكم أمٍّ فقدت وحيدها على يد العدو الغادر، فقد نسج **سليم الزعنون** قصة أم فقدت وحيدها في معركة **(1948م)**، وقد انتشحت بالسواد، حيث يقول:[3]

ثكلـتُ فتـىً لـم يعـدْ عشـرين حجـةً ... وشـــهماً علـــى حُـــبِّ المكـــارمِ قـــدْ شَـــبَا
ترعـــرعَ فـــي ظلِّـــي أُهـــذِّبُ خُلقَـــهُ ... فســـادَ الـــورى خلقـــاً وجـــاز العلـــى وثبـــا
وأنَّـــتْ فلســـطينُ التـــي ضـــاعَ حقُّهـــا و ... أضـــحى الثـــرى القدســـيُّ مـــن أرضـــها سـلِبا
فهـــبَّ ولـــم يرضـــخْ لنصـــحي مـــردداً ... ســـأرجعُ للأوطـــانِ حقـــاً غـــدا صـــعبا

---

[1] شاعرات عصر الإسلام الأول، ص 118، و طبائع النساء، ص 203.

[2] إبراهيم الحصر القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل للنشر، بيروت، لبنان، ط/4: 1972، ج1، ص 460.

[3] سليم الزعنون، ديوان يا أمة القدس، المؤسسة العربية للدراسات، ط/1:1995 م،ص 195.

أم الشهيد إذا نظرت إلى وجهها أمدتك بالقوة مرسوم على ملامحها الهموم، وأعباء القضية، تمدك بزاد من الصبر وتسقيك فجر الحرية الذي هو ضالتك، أمهات الشهداء الأبرار، " نساء شامخات أعمارهن تبدأ من الأربعين فما فوق، ليست لهن علاقة بالتنظير والأدلجة، إلا أنهن ينطقن بالسهل الممتنع، لسن ساحرات ولا شاعرات إلا أن كلامهن يدق حتى تخاله سحرا، تحملن الحياة بكامل قساوتها وجمور ثابتها الاجتماعي ورغم العيش في ظروف بين سهلة إلا أنهن لا يتأخرن عن تلبية الواجب الوطني".[1]

الاجتياحات متواصلة، والشعب المرابط يودع قوافل الشهداء، والثكالى كثر. وفي ليلة ظلماء بدأت أرتال الدبابات بالتوغل صوب قطاع غزة في عملية عسكرية سمَّتها إسرائيل أيام الندم [2]، بينما أطلقت عليها المقاومة الفلسطينية أيام الغضب، قدَّم فيها الشعب الفلسطيني ما يزيد عن مائة وعشرين شهيداً، ومئات الجرحى [3].

أما حرب الفرقان فقد رأينا صوراً جديدة للثكالى، إنه الموت الجماعي لعائلات بأكملها، كما حدث مع عائلة **السموني** إذ استشهد منها ثمانية وأربعين شخصا في يوم واحد.

ويعدد لنا **زهير هدلة** الثكالى وهُنَّ، أم الشهيد وأخت الشهيد وابنته الشهيد، ويطالبنا بإعداد عرس يليق بهن: [4]

أعـــــدوا

لغزة عرساً يليقُ بأمِّ الشهيدْ

وأخت الشهيد وبنت الشهيدْ

لتأتِ الزعاماتُ والغانياتْ

.....

أعـــــدوا

لغزة موكب عرس يليق

يليق بكلِّ الذين استماتوا فداءً

---

[1] أكرم أبو سمرة، المرأة الفلسطينية، درس في الانتفاضة، ص 22.

[2] بدأت العملية يوم الثلاثاء الموافق 2004/9/29 الساعة 9 ليلا واستمرت 17 يوما.

[3] ينظر: مصطفى حسني الصواف وآخرون، شهداء أيام الغضب، إصدار مكتبة الجيل، بالتعاون مع موقع صابرون، غزة، 2004م، ص4. بتصرف.

[4] لأجلك غزة، قصيدة أعدوا لغزة عرسا، ص 195.

لضحكتها الساحرةْ

وأما الأم الثكلى سميرة بعلوشة ومصابها الجلل فقد" ارتقت خمس شقيقات من عائلة بعلوشة إلى العلا إثر قصف صهيوني "[1].

ها هي طفلة شهيدة تناجي أمَّها وتطالبها بالصبر وعدم الجزع وتبوح لها بالشوق والحنين لأن تلف ضفائرها وتضمها إلى صدرها يقول الشاعر:[2]

يـــــا أمُّ لا تبكـــــي ولا تتعجبَّـــــي قتـــلَ الطُّغـــاةُ فـــؤاديَ الحـــرِّ الأبـــي
لمّـــا بـــدا مـــن غـــزة لا ينحنـــي غرســـوا سُـــيوفَ الغـــدرِ والإرهـــابِ بـــي
....
يـــا أم كـــم أشـــتاقُ لـــفَّ ضـــفائري بيـــديك ضـــمِّيني إليـــكِ وقرِّبـــي
يـــا أمُّ آنَ لـــيَ الرحيـــلُ تجلَّـــدي لا تيأســـي أو تجزعـــي أو تَشْـــجُبي

وتلك استشهد لها ثلاثة أولاد وزوجها وابنتها الوحيدة، إنها صباح أبو حليمة حيث قصف منزلهم بقذائف الفسفور الأبيض مما أدى إلى احتراق الجثث وتفحمها [3].

وقد صور الشاعر هذه المناظر، عن دموع الثكالى التي تنهمر على الخدين تحفر أخاديد، وعن الأشلاء المتناثرة، إذ يقول: [4]

في زمن الفسفورْ

هل تمسحُ دمعتها؟!

عيناها نهرا دمعٍ ودماء

وعلى الخدين أخاديد

حفرتها جوهرتان انطفأت خضرتها

في حمم الليل

---

[1] الاستهداف الصهيوني للعائلات الفلسطينية، ص 49. الشهيدات هن تحرير(18) عاما و إكرام (15) عاما و سمر (13) عاما ودنيا (8) أعوام وجواهر(4) أعوام.

[2] لأجلك غزة، محمد أبو الفتوح غنيم، قصيدة رسالة من طفلة شهيدة، ص400.

[3] الاستهداف الصهيوني للعائلات الفلسطينية، ص 99. بتصرف

[4] لأجلك غزة، خضر أبو جحجوح، قصيدة نقوش على قذيفة فسفورية، ص 170.

ومحمدُ أشلاءٌ فوق يديها

وأبوه بقايا أشلاء

وهذه ثكلى فقدت زوجها وأولادها الثلاثة، فقد أعدت طعام الفطور لعائلتها وخرج أبناؤها لقطع الأخشاب خارج المنزل؛ لتخبز لهم وودعها زوجها وذهب إلى العمل، فجأة سمعت صوت صاروخ نزع قلبها، وهرعت إلى الخارج فإذا بالناس يجرون نحوها، وقد تحوَّلَ أولاها أشلاء، فأخذت تصرخ أولادي، فالتفتت إلى الجهة الأخرى من المكان فإذا بها تفاجأ بأشلاء زوجها متناثرة في أرجاء المكان الذي أحاله الصاروخ الحاقد إلى برك دماء[1].

فالشهيد الذي خضبت دماؤه ثرى الوطن الغالي، يوصي أمه بألاَّ تبكي، بل تزغرد فهو حي فحياته ومماته ونسكه وصلاته لنيل الشهادة فداء لتراب فلسطين، يقول الشاعر:[2]

أماه قد يهدى إليك رفاتنا

غنيٍّ له..

.....

أماه لا تبكي عليَّ

بــل زغـردي

فالأرضُ تسقي نسغها من مقلتيَّ

.....

أماه قـوليها لهـم

(لمَّا هويتُ على ثراها زغرد

الزيتون و انفجرت تراتيل السحاب).

هذا وجودي والصلاةْ

هذا التراب له الحياةْ..!!

نسكي له.. وله المماتْ

---

[1] الاستهداف الصهيوني للعائلات الفلسطينية، ص 98. بتصرف. الزوج هو:عبد المحسن بربخ (44) عاما والأولاد هم مهدي (21) عاما ومحمد (19) عاما ويوسف (14) عاما.

[2] لأجلك غزة، هزار طباخ، قصيدة رسالة من غزة، ص 637.

يشعر الشاعر بالحزن على امرأة من غز{ة تلملم ما تناثر من تفاصيل ابنها المنشول من تحت الرُّكام حيث يقول: [1]

عينٌ على غزةْ
وعينٌ أبرقتْ
حزناً على امرأةِ
تلملمُ ما تناثر
من تفاصيل ابنها
المنشول من بحر الركام

إنها الجثث التي تتناثر في كل الأرجاء، صور مأساوية، جرحى بلا أيد والأم تضم صغارها القتلى هنا والأب لا يفقد الأمل فهو يبحث عن أبنائه لعلَّ بعضهم على قيد الحياة، فَذُهِلَ؛ لأنَّ جميعهم فقدوا الحياة، يقول الشاعر: [2]

جثثٌ مفحمةٌ هنا
جثثٌ مقطعةٌ هناك ،،
جرحى بلا أيدٍ هنا
جرحى مشوهةٌ هناك ،،
أم تضم صغارها القتلى هنا
وأبٌ يفتش في ركام البيت
عن أبنائه فلعلَّ بعضهم
على قيد الحياة فهالهُ
أنَّ الجميعَ بلا حراكْ ،،

أما الطفلة الثكلى، المتبقية من العائلة كلها، التي أدمت القلوب وأجَّجت المشاعر إنها الطفلة دلال عامر أبو عيشة، شاءت الأقدار ألا تكون في منزلها حين استهدفته الصواريخ الإسرائيلية، فساوته بالأرض على رؤوس ساكنيه[3].

---

[1] لأجلك غزه، جهاد الأحمدية، قصيدة غزة في القلب، ص 113.

[2] السابق، حسن التميمي، قصيدة غزة الكرامة والعزة، ص 136.

[3] ينظر: الاستهداف الصهيوني للعائلات الفلسطينية، ص 108 بتصرف. الشهداء هم والدها عامر أبو عيشة (40) عاما و والدتها نهيل أبو عيشة (32) عاما و أخويها سيد (12)عاما ومحمد (10) اعوام و أختها غيداء (8) أعوام.

وبقيت دلال وحيدة مع جدتها والدة أمها، وشاهد العالم دلال باكية مكلومة على أطلال منزلها الذي غدا مقبرة جماعية لعائلتها، وأحبتها فتمنت الموت معهم. يقول الشاعر في دلال:[1]

ولقـــد رأيتـــك يـــا دلال علـــى المـــلا ... بـــين الحطـــام بـــدمعك الهطَّـــالِ
ولقـــد ســـمعتُكِ يـــا دلالُ فصـــيحةً ... تـــروين ذكـــرى واقـــعٍ وخيـــالِ
وملابـــسِ الـــدارِ الكبيـــرةِ مُزِّقـــتْ ... بـــين الرُّكـــامِ علـــى امتـــداد ليـــالِ
ســـكنت بأنقـــاض الحـــوائج وحـــدها ... بصـــمودها فـــي ســـاعة الزلـــزالِ
والهـــرةُ الصـــفراءُ تفـــرحُ عنـــدما ... تقفـــز إليـــك وتنبـــري بســـؤالِ
مـــاذا جـــرى فـــي غـــزة لأحبَّـــةٍ ... قتلـــوا بغيـــر جريـــرةٍ وقتـــالِ؟!

وأمثال دلال من الثكالى يتكرر في المشهد الفلسطيني الذي ينهشه العدو بمخالبه الفتاكة، فنرى ونسمع قصصاً حقيقية أبطالها حقيقيون فلا يحتاج الأدباء ولا الشعراء لإعمال الفكر والغوص في الخيال للتأليف والإبداع.

وقد جادت قرائح الشعراء بقصائد انسابت كالسيل الجارف من هول الأسى الذي عايشوه لحظة بلحظة. فهذا هزار طباخ يعبر لنا عن تلك الأحداث الدامية معززاً دور الأم فهو يخاطبها (أماه) ويواسي الأم الثكلى بفقد طفلتها، الأم المصعوقة لدم الغزال، بقوله:[2]

أمَّاه أُرسلُ في البريد رسالتي

بحروفها.. ونقاطها

ستريْنَ غزةَ دمعةً

بغمامةِ الإعصار تغمسُ سرَّها

.....

وينوءُ قبرٌ للخليلْ

وبقربه أطلالُ جثَّةِ طفلةٍ ،

في الأرض تغرس نسغها

الأرضِ تحملُ بوحها صَوْبَ المدى ،

لتحوك من جثمانها

---

[1] لأجلك غزة، صبري أحمد الصبري، قصيدة: طيبي دلال، ص257.

[2] السابق، هزار طباخ، قصيدة: رسالة من غزة، ص631 و ص633.

أزهارَ نارٍ كالمحالِ !

يا أُمَّها..

يا دمعةً مسحوقةً بلظى العروقْ

مصعوقةً لدم الغزالِ

تنعى بقايا طفلةٍ

ما أورقتْ في غصنها قصصُ الرَّحيقْ..!!

أماه هل تبكي سمائي

أمْ أنها بعض احتراقات الشتاء..!!

ليس لدينا ما نقدمه للثكلى سوى أن نواسيها، ونشد على أياديها ونقدم تهانينا لمن صبروا على الشدائد وما وهنوا على الرغم من هول الأحداث وفداحتها، يقول الشاعر نجم رضوان: [1]

والثكلى نواسيها

نشدُّ على أياديها

وسُحْقاً للأُلى خانوا

.....

ومرحى للألى صمدوا

وما لانوا

برغم فداحة الأهوال

ما لانوا

برغم غزارة النيران

[1] ديوان الفرقان، قصيدة: تذكر أننا الأقوى، ص 395.

المبحث الثالث: صور أخرى للمرأة الثكلى

إن العذابات والهموم التي لازمت المرأة؛ جعلتها في صراع دائم في هذه الحياة، فليست الثكلى من فقدت بنيها فقط، إنما تعددت صور الثكل، وبرز بأوجه متغايرة. وأيُّ ثكلٍ يداني ثكل أمنا هاجر عليها السلام، لم تفقد ولداً ولا زوجاً إنما فقدت وطناً وأهلاً فوجدت نفسها في وادٍ غير ذي زرع؛ " فارتاعت هاجر من وحشة البرية، وتضرعت إلى إبراهيم ألا يدعها وولدها في ذاك القفر المرهوب، لكنه أشاح بوجهه عنها،لا يلتفت ولا يجيب كأنما كان يخشى أن تخونه عاطفته أمام الأم الوالهة الحيرى، أو تثور أبوته رحمه بابنه الوحيد الذي نبذه وأمه بالعراء".[1]

وقد دعا إبراهيم عليه السلام لزوجه الصابرة أن يؤنس الله وحدتها، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾[2].

وأيُّ ثكلٍ يعدلُ ثكل أفضل نساء الجنة، آسيا بنت مزاحم، كانت تحت طاغية ادعى أنه إله يعبد ولم تنجب للطاغية طفلاً، وعندما بعثَ موسى، ودخل نور الإيمان قلبها، " وعز على فرعون أن تخرج زوجته على عقيدته، وأن تؤمن بعدوه؛ فأنزل بها أشد ألوان العذاب؛ رجاء أن يرجعها إلى ما هو عليه، لكنها بقيت على العهد و استعذبت الآلام، وطلبت من الله تعالى أن يبعدها عن هذا الجو الموبوء من قصر فرعون الفاسد إلى قصر عنده في الجنة "[3].

قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[4].

وما دام الاحتلال قائما، وشبح الثكل يلازم الفلسطينية ويلاحقها، فقد هُجِّرت قسراً من بيتها، وتركت قريتها وجنتها الوارفة، وهامت على وجهها تحمل مفتاح دارها، وقد جسدت الأديبة الفلسطينية **سامية فارس** الخليلي في قصتها المفتاح ذلك المشهد، حيث الجدة لم تفرط يوماً بمفتاحها و ورَّثته لأحفادها بعد موتها.

---

[1] عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)،تراجم سيدات بيت النبوة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط/1: 1387هـ - 1967 م، ص 43.

[2] سورة إبراهيم، آية (37).

[3] رضوان دعبول، تراجم أعلام النساء، إعداد إدارة البحث والإعداد في مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط/1: 1419 هـ - 1998 م، ص7.

[4] سورة التحريم، آية 11.

"هكذا بدأت نكبة فلسطين، من الشهيد الأول والأرملة الأولى، واليتيم الأول، واللاجئ الأول، والخيمة الأولى، والسجين الأول، ثم تواصلت نكبة فلسطين تتعاظم بحجمها ككرة الثلج التي كلما تدحرجت فتعاظمت بحجمها" [1].

ومن صور الثكل الذي تعانيه المرأة الفلسطينية، وتعيشه مَرَاراً عندما ترى زوجها أو ابنها أو أخاها أسيراً خلف القضبان، بعد أن كان ينعم بالحرية ويصبو إلى تحرير الأوطان، فإذا به مكبلا كالطير المذبوح يعاني ظلمة السجن، وقهر السجان، حاضره بؤس ومستقبله ليس له معالم؛ فذرفت الفلسطينية دموع القهر والحرمان حتى حفرت على وجنتيها أخاديد سوداء، كأيام الأسير. فالأسير بلال أبو دقه كتب قصيدة (إلى أمي خلف القضبان) يقول فيها:[2]

أمـــاه مـــا نظـــمَ القـــريضُ لســـاني بـــل فاضـــت الأوزان مـــن وجـــداني

جســـدي أســـير فـــي ســـجون عـــدونا لله يشـــــكو قســـــوة الســـــجان

وهذا الشاعر يصف الظلم والقهر الذي تعانيه أم الأسير فيقول:[3]

باسم آلاف الأسرى

وحكاية أم قد سجنوا ابنيها تركت بين أنياب

الظلم والقهر تشكي أحزانها تترى

وابنة الأسير ثكلى تئن من سنين عجاف دون رؤية أبيها، وقلبها المسكين قد غابت عنه البسمة، تقول سماح المزين على لسان ابنة الأسير:

سبعٌ مررنَ يا أبي سوداً بلا رؤياك

سبعٌ عجافٌ يا أبي لقاؤنا الشباك

تقضي وحيداً يا أبي وصابراً هناك

أقضي أنا ليلي هنا أتوه في ذكراك

ثكلى الإجهاض، صورة من صور الثكل الذي عانت منه المرأة الفلسطينية بسبب الاحتلال، " وأشارت الحوادث إلى أن استخدامات الغاز المكثفة تؤثر بشكل سلبي سريع على وضع الأجنة في

---

[1] إبراهيم أبو جابر وآخرون، جرح النكبة، مركز الإعلام العربي، الجيزة، مصر، ط/1: 2007 م، ص9.

[2] مجلة اشراقات فلسطينية، ص44.

[3] زهير أبو قطام، الثلاثينية الحمراء، نشر بدعم من أمنة عمان، بمطابع الخبرة، عمان، الأردن، 2004م، ص110.

بطون الأمهات الحوامل، وتسبب لها الوفاة... وبالتالي فقد تعرض عدد كبير من الفلسطينيين للقتل قبل أن يخرجوا إلى الحياة ".[1]

العدو الذي قتل النساء ويَتَّم الأطفال في غزة خلال حرب (الفرقان) وترك نساءها ثكالى تستجير بربها، فلا طعام موفر ولا دواء والحصار مطبق، والأبواب أقفالها مؤصدة، يقول الشاعر:[2]

ونســـــاء غـــزة تســـتجير بربهـــا وعلـــى التخـــوم مـــراوغٌ ختَّـــالُ
قطـــع الطريـــق فـــلا الطعـــام ميســـر والبـــاب ســـد واتجّـــتْ أقفـــالُ
مـــن أيـــن يأتيـــكِ الـــدواء وجلُّهـــم تركـــوكِ نازفـــةٌ ولا أفعـــالُ
أعـــداؤك اتحـــدوا عليـــك وألبَّـــوا ذبـــح النســـاء ويُـــتِّمَ الأطفـــالُ

وأكثر الصور إيلاماً الثكلى التي تحمل الأشلاء نازفةً، وتفترش الرمال وتنخى الرجال، ولكنها لا تجد خلف المعابر من ينجدها فتتوقف عن إذلال نفسها بسؤالهم، يقول الشاعر:[3]

هذا الدخان يريبني

فصباح غزة موحش

.....

وبراغم الأشجار باكيةً

على كتف الجبالْ

وصراخ ثكلى تحمل الأشلاءَ

نازفةً

وتفترشُ الرمالْ

تنخي الرجالَ على تخومِ

حدودها

ولم تجد خلف المعابر

---

[1] عدنان عبد الرحمن أبو عامر، الانتفاضة الفلسطينية الكبرى، في قطاع غزة (1987-1993م)، المركز العربي للبحوث والدراسات، غزة، فلسطين، 1426 هـ-2005م، ص96.

[2] لأجلك غزة، حسان الصاري، قصيدة غزة هاشم لن تركع، ص 134.

[3] السابق، محمد حديفي، (قصيدة: رأيت الصبح في غزة)، ص 444.

من رجالْ

فتكُفَّ عن ذُلِّ السؤالْ

إن الرجال عندما يجبنون، ولا يهبون لنجدة نساء غزة فهم ثكالى مكبلون في قيود، أما أمهات الشهداء فهن حرائر، إنهن بركان الفداء الثائر كما وصفهن الشاعر بقوله:[1]

أمُّ الشـــــــــــهيد وأنـــــــــــتمُ أنـــــــتم حرائـــــــرُ لا إمـــــــاءْ

نحـــــن الثكـــــالى فـــــي القيـــــود البـــــاحثون عـــــن الشـــــفاءْ

....

أم الشـــــــــــهيد وأنـــــــــــتم والله بركـــــــــــان الفـــــــــــداءْ

أنـــــــتم صـــــمود الحـــــق فـــــي وجـــــه الضـــــلالة والغبـــــاءْ

أنـــــــتم منـــــارات العـــــلا أنـــــــتم كرامـــــات الإبـــــاءْ

ثكلى الأحلام، لقد نزح الناس عن الديار فما تجد فيها ديَّاراً، والعدو الصهيوني استحيا الدور فاتخذ منها مأوى له ونسف ما تبقى منها، فطال البكاء لكثرة الأشلاء والمناظر التي يشيب لها المولود، وأخرجت النساء إلى الشعاب فسلب العدو أحلامهن كما سلب أبناءهن، يقول الشاعر:[2]

آه يـــا قلـــب فمـــا يغنـــي البكـــا طـــال ليـــل الظلـــم والمولـــود شـــاب

مزقـــوا أشـــلاءهم لـــم يرحمـــوا طفلـــة تبكـــي ولا شـــيخا مصـــاب

....

واســـتباحوا دورنـــا عـــاثوا بهـــا أخرجونـــا حاســـرات فـــي الشِّـــعاب

بعثـــروا أحلامنـــا فـــي نزقـــة وزَّعـــوا المـــوتَ علـــى هـــذا التـــراب

فاســـتحالت أرضـــنا محمـــرَّةً ودمـــاء العـــزّ صـــارت كالخضـــاب

آه يـــا نـــوحَ الثكـــالى لـــن يطُـــلْ ليـــل هـــذا الظلـــم حتـــى يســـتتاب

كـــل دنيانـــا نعـــيم زائـــل كـــل دنيانـــا ســـراب فـــي ســـراب

لقد انتزع العدو أحلام العروس؛ إذ فرَّ منها عريسها ليلة الزفاف، ذاهباً لملاقاة العدو الصهيوني، يقول الشاعر:[3]

إنـــــي لأشـــــفق أن تنازعنـــــا عـــــن دار خولـــــة ســـــطوة الـــــدرسِ

---

[1] لأجلك غزة ، رأفت رجب عبيد، قصيدة (رسالة إلى أم شهيد)، ص 173.

[2] السابق، عبدالله بن صالح الخليوي، قصيدة: غزة الصمود، ص 323، 324.

[3] السابق، سمير العمري، قصيدة: القدس موعدنا، ص 229.

ونهـــونُ لا نبكـــي علـــى طلـــلٍ ونخـــون لا نحيـــا علـــى حَـــرْسِ

مـــا نفـــعُ دمـــعُ الـــرَّوع نســـكُبُهُ مـــن بعـــد وقـــع الفـــأس فـــي الـــرأسِ

ســـلوا الكواكـــب عـــن مواقعهـــا فـــي الأفـــق إن تَعْتَـــلَّ بـــالخنسِ

وســـلوا العـــروس عـــن ابتســـامتها إنْ فـــرَّ عنهـــا صـــاحبُ العـــرسِ

ثكلى اللجوء – طائرات ودبابات وكاسحات ألغام، وصواريخ، ومنشورات تتناثر في الفضاء محذرة السكان؛ فيهرول الناس في الشوارع لا يدرون أين السبيل؛ فتسترجع المرأة الفلسطينية مشهد النكبة متجسدا أمامها، إذ التشرد وبؤس المخيم فتشعر بالثكل المرير فتستأسد مستعدة للفداء، يقول الشاعر في هذا المشهد:[1]

ستزأرُ لوعةُ الأمِّ المضرَّجةِ الأسيل بالدُّموع

وتعتمرُ القلوب المستعدةَ للفداءْ

غزة الثكلى غلالاً تَكْسِرُ

إذ دماءُ التضحيةْ سالت على

صخرةِ التحريرِ من مُسْتدمِرْ

قل لي إذا هل لاجئٌ

حاك المنافي موطناً؟

يستبدل الأجداد

والبيت العتيق المشتهى

بالموت في بؤس المخيم

والتباكي في ثياب المجزرة

ثكلى تودع خطيبها – ما حدث في حرب الفرقان مع عذراء أتى خطيبها؛ ليسعد بمرآها، ولم يأبه لشبح الموت الذي يحوم حول الديار.

---

[1] لأجلك غزة، خالد كساب محاميد، قصيدة: غزة مليون لاجئ، ص153، ص154.

تقول[1]: " لم أكن أعلم أنها اللحظات الأخيرة له معي... كانت الطائرات قد بدأت بالقصف... خرج من المنزل فأمسكت بيده، وطلبت منه أن لا يخرج، لكنه لم يستجب لطلبي؛ فاستهدفته الزوارق البحرية، و ألقت به شهيدا ".[2]

ابن الأحداث ومعايشها لحظة بلحظة أبدع قصيدة فيها ليلى تلبس ثوب العرس في انتظار عريسها وسام، وعلى خديها الحنون الوسنان، لكن وساماً ما عاد على هيئته الآدمية، فقد حولته يد الغدر أشلاء متطايرة في الفضاء، فإذا برأسه شظية ويداه جناحان، يقول الشاعر:[3]

لبست ليلى ثوبَ العرسِ

ونما في هُدبيها النرجسُ والنسرين

وعلى خديها الحنُّون الوسنَان

ووسام يسابق خطواتِ الغيمِ إليها

وعلى شفتيه الفلُّ الحالم

لما صارت رأسُ وسام شظايا

ويداه جناحين

سألت ليلى سلوى أين وسام ؟

(فأجابتها الوردة:

خبأتُ وساماً برموشي

وتكحلت عليه

فاختطف الصاروخ عيوني)

والدمعة قالت:

أغفى في حقل اللوز مع الحورية

---

[1] هي: عدالة القرعان، من دير البلح، استشهد خطيبها و(8) أفراد من عائلتها وذلك يوم الجمعة الموافق 2009/1/9 م، الساعة الواحدة فجرا.

[2] الاستهداف الصهيوني للعائلات الفلسطينية، ص147.

[3] لأجلك غزة، خضر أبو جحجوح، قصيدة نقوش على قذيفة فسفورية، ص169.

ثكلى الشتات – تزخر الحياة الفلسطينية بأن يخطب الفلسطيني في الداخل فتاة فلسطينية من أقربائه في الشتات؛–وهذا من تبعات النكبة– فتتعرض العائلات إلى سلسلة من المعاناة لا يعلمها إلا الله، من أعباء السفر عبر الدول المجاورة، وعذابات الإسرائيليين من تصاريح وتفتيش وإذلال على المعابر، وانتهاء مدة الزيارة. ويبدو المشهد مظلما في غزة بسبب الحصار والحرب، فهذه إيمان عروس في الخارج ترتب أثوابها تريد السفر إلى عريسها الغزي وائل القابع في جحر التنين في غزة حيث النار والشظايا والقنابل والفسفور، والحصار، إذ لا سبيل للوصول إلا عبر الأنفاق المظلمة، يقول الشاعر:[1]

كانت إيمان تصلي

وترتب أثواب براءتها كل مساء

وتعدُّ سويعاتِ العمر، وتحلم بالفرحة

.....

وأبوها يمضغه الهم وتجرحه اللهفة

يخشى المجهول على زهرة قلبه !

أتسافرُ في جحر التنين بجوف الأرض؟

وأنا أخشى النسمة أن تلفحها

من عشرين ربيعاً

وسأنقلها بيديَّ!

فحبيبُ القلبِ وأهلهْ

في غزةُ يرتشفون كؤوسَ الحزنِ صباح مساء

وجماجمهم تتبخر في لهب الفسفور

وصباحاً سافر يحمل بيديه براءتها

وثياب العرس وأشواقاً ودموعاً

وانزلقا في بطن الحوت مع الشفق

وتلعثم إيقاع العمر بقاع النفق

---

[1] لأجلك غزة، خضر أبو جحجوح عرس على جمر الفسفور، ص160.

وبصيص الأمل تلفلف بالرهبة يتراقص في العتمةْ

وتسلَّل في هدبيها شلال دموع

وأبوها يمسك بيديها ويقبلها ويودِّعها

هؤلاء الثكالى أثخنتهن الجراح؛ فقد ارتكبت إسرائيل مجازر بحق أهل غزة، وخاصة النساء، " فقد احتجز أشخاص مدنيون من بينهم نساء وأطفال في أوضاع مزرية، حرموا فيها من الطعام والمياه، واستخدام المرافق الصحية وتعرضوا للعوامل الجوية في كانون ثاني يناير، دون وجود أي مأوى"[1].

ورغم ذلك فإن معاناة الثكالى في غزة تتحول إلى براكين تبيد الظالمين، فمن المعاناة التي عاشتها، صنعت جيل النصر، فأصبح الطفل يلعب بالمنايا، كأشبال يحيطون العرين، يقول الشاعر[2]:

ألا يـــــا أرض غـــــزة إزأرينـــــا ولا تُبْـــــقِ اليهـــــودَ الغاصـــــبينا

وصـــــبِّي مـــــن معانـــــاة الثكـــــالى براكينـــــا تُبيـــــد الظالمينـــــا

وذودي عـــن صـــغيرٍ صـــاح يبغـــي صـــــواريخاً تـــــدكُّ المعتـــــدينا

ومـــن ثـــدي البطـــولات ارضـــعيه دمـــاءً تـــروِ ريـــقَ الظامئينـــا

....

فصـــار الطفـــل يلعـــب بالمنايـــا كأشـــبالٍ يحيطـــون العرينـــا

لقد تعددت صور الثكلى في فلسطين، لكن الفلسطينية الأبية تجعل العدو باكياً، نائحاً بصمودها وتمسكها بحقها في الحياة الحرة.

---

[1] تقرير غولد ستون، ص13.

http://www.palpeople.org/atemplate.php?id=1599

[2] لأجلك غزة، طارق بن عبد الله، قصيدة: زئير غزة، ص265.

الفصل الثالث
المــرأة الـــرمز

- **المبحث الأول: التضحية والفداء**
- **المبحث الثاني: الأرض**
- **المبحث الثالث: السَّكن**

المبحث الأول: التضحية والفداء

إن البطولة والصبر وخوض ساحات الوغي، التي امتطى صهواتها الرجال، لم يغب مشهد المرأة فيها، فقد رأينا رموزاً في التضحية والفداء لنساء ماجدات خلدهن التاريخ، هذه الصابرة الرمز زوج نبي الله أيوب عليه السلام تتجلى فيها التضحية بأصفى وأبهى صورة، فقد مات الولد وحلّ الضعف واستشرى المرض في جسد النبي أيوب عليه السلام فلم تكن هي إلا ملاكاً ساهراً، مشت على الأشواك تستعذب الصعب وتلملم الجراح، حتى كانت رمزاً للتضحية والفداء والصبر إلى أن كشف الله الغم وأبدلهم بحالٍ غير حالهم أمنا واستقراراً، ومن عصر النبوة إلى عصر الخلفاء الراشدين، حيث نرى "ممن كانت لها شأن في سياسة الدم في عهد عثمان بن عفان زوجته نائلة بنت الفرافصة الكلبية، فكانت أحظى نسائه عنده بما امتازت به من الطاعة والوفاء والإخلاص"[1].

لقد ألقت بنفسها في مرمى السيوف تصدُّ عن عثمان (رضي الله عنه) ليلة اقتحم القتلة بيته، "ثم أهوى رجل إلى عثمان بالسيف فانكبت عليه واّتقتْ السيف بيدها، فقطع أناملها.. ثم دخل آخر معه سيف فقال: اخرجوا لي فوضع ذباب السيف في بطن عثمان فأمسكت نائلة السيف فحزّ أصابعها"[2].

لقد ضحت بنفسها للذود عن عثمان رضي الله عنه، وواصلت تضحياتها بعد مماته، فأرسلت قميصه المدرجة بالدماء مع شعر ذقنه مع أصابعها المقطوعة إلى معاوية بن أبي سفيان فعلقّه معاوية في المسجد.

ومثالاً على التضحية والفداء (جان دارك) الفرنسية التي أحرق جسدها قربانا لتنعم فرنسا بالحرية، وفي عالمنا العربي في الجزائر أرض المليون شهيد تراءى لنا صوت أنثوي أصبح رمزاً للتضحية والفداء إنها جميلة بوحيرد، تحدّت الاستعمار الفرنسي لبلادها، فعذبها الفرنسيون وحكموا عليها بالإعدام، فتحملت النفي والسجن والتعذيب وأوشك حبل المشنقة أن يلتف حول عنقها، وخفف حكم الإعدام بالسجن مدى الحياة بعد أن ضج العالم بأسره لحالها.

قال فيها الشاعر نزار قباني[3]:

الاسم جميلة بوحيرد

تاريخ تروية بلادي

---

[1] عمر كحالة، المرأة في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، دمشق سوريا، ط/1: (1398هـ- 1978م)، ص206.

[2] السابق، ص208.

[3] نزار قباني، الاعمال السياسية الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت، ط/5: (1993م)، ج/3، ص51.

يحفظه بعدي أولادي

تاريخ امرأة من وطني

جلدت مقصلة الجلاد

ما أصغر (جان درك) فرنسا

في جانب (جان درك) بلادي

والمرأة الفلسطينية رمز للتضحية والفداء فهي علم في رأسه نار، إنها صاحبة رسالة مقدسة، وقضية عالمية، كيف لا؟ وهي تناضل ضد المستعمر الوحيد على وجه البسيطة في العصر الحديث، إنه قدرها أن تواجه الصهيونية العالمية؛ لأن العدو وجد فيها بذور الثورة وميلاد الثوار، يقول الشاعر[1]:

سيدتي

في الأرض المحتلة

يا امرأة

أكبر من كل نساء الدنيا

تتحدي

إرهاب القتلة

المرأة الفلسطينية وبقوة فولاذية صمدت عبر مسارات متناقضة وذلك؛ لأن "حالات الثورة والنهوض كانت كثيرة وكذلك حالات الإحباط والسقوط كانت أيضاً كثيرة، وفي كل مرة يلمع فيها انتصار سرعان ما تتلوه حالة سقوط تعطله، ولكن بدل أن تتداعى الشخصية (الفلسطينية) وتسقط أمام الإحباط، تعود لتتماسك وتبدأ من جديد"[2].

ومن رموز المناضلات الفلسطينيات (سميحة يوسف مصطفى خليل) التي رضعت لبن الوطنية منذ طفولتها، وأخذت تتبلور شيئاً فشيئاً، فكانت تشارك في المظاهرات، وإلقاء الخطب التحريضية وتؤمن بقضية شعبها العادلة وحقوقه المشروعة، فهي تقول: "فإننا شعب حي لا يموت،

---

[1] هارون هاشم رشيد، ثورة الحجارة، دار العهد الجديد للنشر والتوزيع، تونس، ط/1: (1988م) ص38.

[2] محمد ابراهيم عسلية، دراسة لمسات الشخصية المميزة لدى طلبة الجامعة (بمحافظة قطاع غزة) وعلاقتها ببعض المتغيرات، (رسالة ماجستير) في التربية والصحة النفسية، إشراف: د. نبيل عبد الفتاح، حافظ ونظمي أبو مصطفى (غزة)، ص41.

ويرفضن أن يموت ولن يموت أبداً فالليل لابد أن ينجلي والقيد لابد أن ينكسر، وسنبقى نناضل، ونناضل بشتى الطرق والوسائل"[1].

ومن رموز التضحية الفلسطينية خنساء فلسطين (رحاب محمد حسين كنعان) "فقدت (51) شهيداً في مذبحة تل الزعتر إثر انهيار مبنى مكون من ثمانية طوابق، من بينهم الأب والأم والإخوة الخمسة والأخوات الثلاث وفي عام 1986م، فقدت ابنها ماهر (15) عاماً، واثنين من أبناء خالتها.[2]

إلا أنها نفضت غبار اليأس والإحباط وحملت على عاتقها شعلة الثورة، يقول أ.د. نبيل أبو علي: "أضحت رحاب كنعان رمزاً للمعاناة الإنسانية في العالم المعاصر، كما أضحت معاناتها إيجابية حينما تفجرت ينابيع الشعر في قلبها مع تفجر أشلاء أهلها وذويها"[3].

لقد ناضلت فحملت السلاح، وناضلت فحملت القلم مسطِّرة أعذب الأشعار التي تفوح من أحرفها رائحة فلسطين بزيتونها و زعترها وبساتينها الغناء ممتزجة بالدماء وتخضِّبُ الديار.

تقول الشاعرة (رحاب كنعان):

"من منا ينسى والتاريخ يشهد للمرأة الفلسطينية التي كانت وما زالت وستبقى مدرسة للثوار، ومعلمة للبشرية، فمنذ الأزل ولم تزل بعطائها، بصمودها تتحدى أنياب الحصار"[4].

ومن أروع ما جادت به قريحتها ما رسمته لنا عن الشهيدة رمز التضحية والفداء (فدوى حسن) التي تمنت أمها دوماً أن تراها بثوب الزفاف إلا أن صوت الحق نادها فلم يمهلها لتحقق أمنية والدتها واختارت طريق الشهادة فتصورت قبل العملية الاستشهادية بثوب الزفاف الأبيض وتركت الصورة مع وصيتها لتُهدَى إلى أمها لعلها تحقق لها أمنيتها، تقول رحاب كنعان[5]:

بالفدى تقدمتِ يا فدوى

وكنت رمزاً للعطاء والفداء

---

[1] شريف كناعنة وعبد اللطيف البرغوثي، مناضلة فلسطين (سميحة خليل) جمعية إنعاش الأسرة، البيرة، لجنة الأبحاث الاجتماعية والتراث الفلسطيني، 1992، ص447.

[2] رحاب كنعان، تل الزعتر (مملكة التنك وجمهورية الثوار)، المركز القومي للدراسات والتوثيق، غزة، ط/1: (2001م)، ص138.

[3] رحاب كنعان، تلال الفصول الثمانية، مطبعة الرسالة، غزة، ط/1، 2007م، المقدمة.

[4] مقابلة شخصية مع الشاعرة – رحاب كنعان في منزلها الساعة 10 صباح الأربعاء 2012/1/18.

[5] رحاب كنعان، شلال الفصول الثمانية، ص64، قصيدة (عناق الحدود)، عن عملية فدائية في الجنوب اللبناني 1990م، قامت بها الشهيدة فدوى حسن.

هنيئاً لثوبِ زفافك الذي

تناثر بجسدك أشلاء

أما (هنادي تيسير جرادات)[1] رمز من رموز التضحية والفداء:

اتخذت قراراً حاسماً في الانتقام من القتلة، فكانت عمليتها البطولية في مطعم (مكسيم) الإسرائيلي في حيفا فانفجر حزامها الناسف وانفجر معه غضبها المزلزل وانفجر المطعم بأسره مخلفةً (22) قتيلاً صهيونياً وعشرات الجرحى.

"رحلت هنادي" لكن روحها لم ترحل، فلا تزال في أزقة مخيماتنا وعلى أسوار مدننا وقرانا.. رحلت هنادي إلا أن ذكراها ستبقى ماثلة في عقول وقلوب كل الفلسطينيين والعرب والمسلمين كمثال حي ونموذج رائع للالتزام والصدق والتدين الرفيع والشجاعة البالغة"[2].

يقول الشاعر في قصيدة: (هنادي)[3]

هنادي تدمر عمق اليهودْ

بخصر نحيلٍ وقلبٍ ودودْ

.....

وهبَّتْ هبوب العواصف تقلعُ

حلم الأعادي برغم السدودْ

وضمَّت عليها حزاماً عنيداً

توحَّد فيها ولبَّى الوعودْ

إن الصبر تعلم كيف يصبر من المرأة الفلسطينية التي داست على نفسها وهمومها وعاشت لهدف أسمى وأنبل جعلها تترفع عن الدنايا، " لقد انطلقت تواجه أعداء الخير والبر والمرحمة

---

[1] تم تصفية أخيها (فادي) وابن عمها وخطيبها (صالح) أمام أفراد العائلة بتاريخ 2003/6/14م.

[2] اسماعيل الاشقر ومؤمن بسيسو، المرأة في دائرة الاستهداف الصهيوني، ص159/سلسلة (4)، المركز العربي للبحوث والدراسات، ربيع الأول 1425هـ/مايو 2004م، غزة، فلسطين، ص159.

[3] عبد الهادي القادود، وطن ينزف، منشورات مركز الرحمن الثقافي، مكتبة بلدية النصيرات، ط/1: 2004م/1425هـ، ص43.

بالحجارة، تلطمُ بالكف المخرز، ولا تبالي أن يسيل دمها على الكف الطاهر والوجه الناصع"[1].

ومن السجن الحربي صرفند نعرف من هي الأم الفلسطينية رمز التضحية والفداء، في قصيدة (لستِ أمي)[2]:

لســـــتِ أمـــــي أنـــــت إنْ لـــــم تحملـــــي بعـــــدي ســـــلاحي
لســـــتِ أمـــــي أنـــــتِ إن لـــــم تكملـــــي دربَ كفـــــاحي
لســـــتِ أمـــــي أنـــــتِ إن لـــــم تصـــــبحي بعـــــض جراحـــــي

الأم تحب الأبناء، لكن هناك حبٌّ الله وحب الوطن يفوق هذا الحب، "هذه الأم التي ربَّت أبناءها منذ نعومة أظفارهم على الفداء والثأر من المعتدين، وجعلت المقلاع والسلاح هديتهم في يوم ميلادهم"[3].

وصمدت المرأة الفلسطينية عندما ارتكبت إسرائيل الهولوكوست الحديث في اجتياح لقطاع غزة، قتل فيه الأبرياء وعمّ الدمار، "انسحب العدو الصهيوني بدباباته مخلفةً محرقة حقيقية، حرقت الأخضر واليابس.. مَنْ قال إن إسرائيل ارتكبت محرقة، فقد جانب الصواب، فأمامنا محارق نيرانها لا تخمد"[4].

فقد تجلّت صورة المرأة بتضحياتها، فكانت في دجى النقع تطفئ لهيب الحقد الصهيوني وتوقد شعلة المقاومة.

أما حرب الفرقان التي تميزّت بسرعتها ونوعيتها في العنف، لم يكن سطح الأرض وحده متزلزلاً، بل ألقت الأرض ما فيها وتخلت؛ ليفزع كل من يعتليها، إلا المرأة الفلسطينية ظلت رمزاً للتضحية والفداء، لم يعرف الخوف إليها طريقاً، مدّت منْ حولها بدفء الصمود، مدّت ضفائرها كي يعبر الرجال، أدمت الأرضُ الملتهبة قدميها، حين مشت بجانب المجاهدين؛ ليصلوا إلى نقاط الرباط ويزُجُّوا بقذائفهم إلى الأعداء المتربصين على التخوم.

---

[1] يوسف العظم، الأعمال الشعرية الكاملة، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط/1: (2003م)، ص218.

[2] مؤيد عثمان البحش، الخيول تموت واقفة في ميادينها، اتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين، ديسمبر 1974، ص11.

[3] نسيبة بنت فيصل الحجي، الأمومة في الشعر السوري المعاصر، دار القلم للنشر، دمشق، ط/1: (1427هـ/2006م)، ص117.

[4] المحرقة الصهيونية، 27 فبراير وحتى 15 مارس 2008، المكتب الإعلامي لحركة المقاومة الإسلامية حماس، محافظة شمال غزة، جماد أول 1429هـ/2008م، ص29.

إنها الأم الفلسطينية التي عشقت التضحية فاتخذتها نهجاً لحياتها، لقد عانت ومع ذلك فهي تدير الدفء في كفٍ لطائرها فحار الضوء نجماً في مآقيها يقول الشاعر صقر أبو عيدة في قصيدة (هل تحزن؟):[1]

ويا لهفي علي أمٍّ وقد جفَّتْ دواليها

تُديرُ الدِّفء في كفٍّ لطائرها

وقد عدَّت لياليها

يحارُ الضوءُ نجماً في مآقيها

فلو هذي لك الأم

ولم تهجعْ

فهل تحزن؟

إنَّ الشاعر (باسل بزراوي) يعرف أنّ الفلسطينية رمزُ التضحية، فيخاطبها مباركاً هذه التضحية، بألاّ يهتز حتى نعلها من هدير البحر والإعصار الذي أطلقه العدو وأنّ الصهاينة المهاجمين أذلاء أمام نعلها، يقول[2]:

أيا أختاه لا يهتزُّ نعلك من هدير البحر والإعصار

ألا فليأتِ جلادوكِ إن هاجوا

أمام النعل يحتكموا!

فلتأتِ الأعاصير

ألا يا راجمات البؤس في وجهي

ألا يا قاذفات اللوعة المرة

ألا فلنأتِ إني ها هنا راسي

كما ترسو جذور النخل في غزة

---

[1] صقر أبو عيدة، لمن يبكي (مجموعة شعرية)، دار الضياء للنشر، غزة، فلسطين، ط/1: 2010م، ص84.

[2] لأجلك غزة، قصيدة: (سنعيش رغم الداء والأعداء)، ص91.

وهذا الشاعر (رضا رجب) رَمَزَ للمرأة الفلسطينية المضحية الصابرة بمن تبيع دماً وخبزاً، فجعلت المدن بأسرها تقاتل عن بنيها حيث يقول[1]:

أرى امـــــرأة تبيـــــعُ دمـــــاً وخبـــــزاً وهـــــذا اليـــــومُ موعـــــدها الأخيـــــرُ
أرى مـــــدناً تقاتـــــلُ عـــــن بنيهـــــا وأشـــــجاراً معاجمُهـــــا صـــــخورُ
أرى اللغـــــة التـــــي اتضـــــحت تمامـــــاً لتعـــــرفَ مـــــن يُجيـــــرُ ومَـــــنْ يجـــــورُ

وفي حرب غزة (الفرقان) ظلّت النسوة كما الرجال أسود المنايا في التضحية والقتال، الكل يصبو إلى النصر الفتيان و الغيد الملاح فالكل بقوة من الله طاب له الفداء ويقاتل لنيل الشهادة وهذا ما صوره الشاعر (رأفت رجب عبيد) [2]:

هنـــــا نســـــوةٌ أو رجـــــالٌ هنـــــا أُســـــودُ المنايـــــا قلـــــوبٌ صـــــحاحْ
نقاتـــــلُ كـــــلٌّ لـــــه مُنيـــــةٌ بنصـــــرٍ مـــــن الله فيـــــه الســـــماحْ
ويهـــوى الفتـــى فـــي الـــوغيِ ميتـــةً شـــهيداً كـــذا الغيـــدُ فينـــا المـــلاحْ
جميعـــــاً مِـــــنْ الله فـــــي قـــــوةٍ وطـــــاب الفـــــداءُ بمـــــا فـــــي المُتـــــاحْ

في الحرب تساوت البنات بالنساء فكن رمزاً للتضحية والصبر على المحن والدمار والألم يقاومن الطغيان والحصار مع الإعلان عن عدم الانحناء والركوع للصهاينة، يقول الشاعر[3]:

رأوا من الحياة ما يهول!

لم توهن العزيمة

ولم يغب الأمل!

بناتهم مثل النساء في المحن

صبراً على الثكل.. على الدمار والألم

على الطوى ينام.. يصحو على الحصار

يقول للأنام.. نجوع لا نركع

---

[1] لأجلك غزة، قصيدة: (أرى)، ص181.

[2] السابق، قصيدة: (أمجاد غزة)، ص171، ص172.

[3] السابق، عبد الجبار أبو دية، قصيدة: (غزة ركام وعزّة)، ص283.

لقد احترقت الضحايا وتناثرت الأشلاء ومع ذلك فالأم الفلسطينية صائمة على وجع الحقيقة إنها رمز البقاء والفداء، إنّ وجهها الكوني هو وجه الحياة، فإنها رمز التضحية، يقول الشاعر[1]:

النعشُ يعبر من هنا

والطفل يبزغ من هنا

والأمُّ صائمة على وجع الحقيقة

لا ريح تلوي نخلة وحمتْ بمجدِ

غلامها

الوقت أكرم من يعيش على

رغيف سلامها

يا وجهها الكوني

يا وجه الحياة

ماذا تبقى من شتات الأهل

يا فُلكَ النجاة؟

نعم، لقد كانت المرأة الفلسطينية رمزاً للتضحية والصبر، كما جداتها الأوائل، كما عائشة وأسماء وهند وفاطمة الزهراء، ولنا فيهن أسوة حسنة لذا فإن المرأة الفلسطينية تجود بالأبطال المجاهدين، فهم براكين ستبيد العدو الآثم وتحرز النصر، يقول الشاعر[2]:

و عائكـــــةً وأســـــماءً وهنـــــداً وزهـــــــــراءً وأم المؤمنينـــــــــا

فهـــذا الجيـــل جيـــل النصـــر حتمـــاً وهـــذا الـــبطش بطـــش الزائلينـــا

....

بهـــذا الجيـــل يـــا حســـناء جـــودي فهـــذا الجمـــع فخـــر العالمينـــا

غـــداً تأتيـــك بالأخبـــار عـــنهم بـــأنهمو جيـــوش الفاتحينـــا

الحرب دمار شامل، وبكاءٌ وكذا نوحٌ كثير ومع هذه الصورة السوداودية تتجلى التضحية، فالمرأة الفلسطينية المرابطة يخافها العدو فتساقط منه الرصاص عليها، لكنها ستظل رمز الحياة،

---

[1] لأجلك غزة، فايد إبراهيم، قصيدة: (أبناء غزة قادمون)، ص381.

[2] السابق، طارق بن عبد الله، (زئير غزة)، ص266.

يقول الشاعر[1]:

بكاءٌ كثيرٌ ونوحٌ كثيرْ

وأمٌّ تنادي بملء الفمِ

تهزُّ إليها بجزع الدمِ

تساقط منه عليها رصاصٌ كثيرْ

يخافون أمي

عصافيرُ آذار تشرب من ثدي أمي

وتشربُ من مقلتيها الخيول

يكركر بين يديها المطرْ

فتندى حقول وتبدا الفصول

ويواصل الشاعر تعظيم هذه المرأة التي برغم موتها ظلَّت مبعث قلق وخوف يهابها فتى الهمجية (الصهاينة)، حيث يقول[2]:

كفنْ.. كفنْ

أعدوا لأمي الكفنْ

فمن مزهرية أمي ومصحف أمي، وتنور أمي

يخاف فتى الهمجية

الفلسطينية امرأة شماء رمز للتضحية والفداء، تدوس على الأحزان وتحمل شعلة الغضب المقدس والفداء، تركل الظلم ولا ترضى الهوان، وإنها غراء تعانقها السماء؛ لأنها الشمس فلا تقبل الذل، يقول الشاعر[3]:

المرأةُ الشماءُ في وطني رموز للفضيلة والصفاء

داست على الأحزانْ

تحمل شعلة الغضب المقدس والفداءْ

---

[1] لأجلك غزة ، محمد أحمد دركوش، (قصيدة غزة العشق والتلاشي)، ص406.

[2] السابق القصيدة نفسها، ص407.

[3] عبد الفتاح أبو زايدة، دموع بلا عيون، قصيدة (بيت حانون)، ص37.

الشمس في وطني امرأةْ

تركل الظلم ولا ترضى الهوانْ

المرأة الغراء في وطني تعانقها السماءْ

ويواصل الشاعر تمجيده للمرأة الفلسطينية فلها وسام التضحية والصبر، حتى وإن استشهدت، ستظل هي نشوة الأرض، والبيت المبني من عرق البطولة والفداء، فالموت لم يُخفْ النساء حيث يقول[1]:

هذه الأم الشهيدة لم تمت

هي بسمة الأطفال

تنمو في روابيها الرجولة والنضالْ

هي نشوة الأرض التي ارتحلت إلى زمن قصيرْ

هي بيتنا المبني من عَرَق البطولة والفداءْ

هي طائر الفردوس ينعم بالخمائل والعبير

الموت لم يُخِفْ الرجالْ

الموت لم يخف النساءْ

يؤكد الشاعر حقيقة المرأة رمز التضحية حيث الثمار تبكي على صدرها في حين يجري دمعها هطالاً، ليسقي جذعاً بعيد الجذور، يقول[2]:

سأبكي إليكم ثماراً بكتْ

على صدر أمٍّ جرى دمعها

ليسقي جذعاً بعيد الجذور

وإذا بالجذور تسامُ الهوانْ

فمالت غصونٌ ونامت غصون

وماتت غصون

---

[1] عبد الفتاح أبو زايدة ، قصيدة (بيت حانون)، ص37.

[2] السابق، قصيدة (بكاء الصمت)، ص67.

سأبكي عليكم شجون الثكالى

وأبكي إليكم عيونِ اليتامى

وأيُّ تضحية أعظم من أن ترى المرأة الفلسطينية المصائب تنهال على رأسها كالمطر ويسومها العدو سوء العذاب، يُقَتِّل أبناءها؛ فلا تزداد إلا قوة. وفي مقابلة مع فلسطينية[1] أجرتها رايا بونامكي[2] قالت فيها: "أصبح أقوى بعد كل فاجعة يصيبني بها الدهر، كلما أتألم أكثر كلما يثبت موقفيْ أعتقد أن الاحتلال يحس بذلك في أعماق روحه. إنهم يخشونْ روحنا ومعنوياتنا؛ ولهذا السبب يستخدمون الأساليب الوحشية ضدنا، ولكنهم يدركون تماماً عدم جدوى ذلك"[3].

هذه هي المرأة الفلسطينية رمز التضحية والفداء في كل زمان وفي كل مكان.

---

[1] فلسطينية في السادسة والخمسين، نهب الإسرائيليون منزلها واعتقلوا اثنين من أبنائها فأقامت عرساً مع أصدقائها يوم نسف المنزل لتري اليهود صبرها.

[2] رايا لينا بونامكي، عالمة نفس فنلندية، زارت فلسطين في ربيع 1982م، وأجرت دراسة على النساء الفلسطينيات كنموذج للمرأة تحت نير الاحتلال، فرأت بأم عينها الصبر والتضحية لدى الفلسطينيات.

[3] رايا لينا بونامكي، الصحة النفسية للنساء الفلسطينيات تحت الاحتلال الإسرائيلي، ترجمة: د. أحمد بكر، جمعية الدراسات العربية، القدس، 1988م، ص93.

المبحث الثاني: الأرض

الوطن هو الأرض، وهو الحِّيز المكاني الذي تضمنا أرجاؤه المترامية الأطراف وتستوعبنا جنباته، نيطت قلوبنا به بأمراسٍ متينة؛ "وللأرض عدة مفاهيم، فهي ليست تراباً وسكاناً ومناخاً وأشجاراً، والأرض ليست تأريخاً وليست جغرافيا فقط، الأرض ذات مفهوم رمزي، وذات مفهوم حركي وذات مفهوم اقتصادي وكذلك سياسي"[1].

ولقد عشق الإنسان الأرض وأحبها وكانت له كما العشيقةُ يتيمَّ بحبها، وهي الأم الرؤوم تحنو على أبنائها، وهي الزوجة الصالحة البارة، وهي العروس مجلَّوة لفارسها الهمام لا تقبل به بديلا، "ومن الطريف أن الملك المظفّر تقي الدين (عمر بن شاهنشاه) ابن أخي صلاح الدين الأيوبي، والي حماة حثّ عمه صلاح الدين على فتح بيت المقدس، وحبَّبه إليه وصوره بعروس مجلوة جاءت تخطب صلاح الدين؛ لإنه خير كفءٍ لها، فينصحه بالاستجابة إلى طلبها دون تردد فيقول:

جاءتــك أرض القــدس تخطــب ناكحــاً ... يــا كفأهــا مــا العــذر عــن عــذرائها
زُفَّــتْ إليــك عــروس خِــدر تُجْتَلــى ... مــا بــين أعبــدها وبــين إمائهــا
إيــهٍ صــلاح الــدين خــذها غــادةً ... بكــراً ملــوك الارض مــن رقبائهــا"

وبعد الحرب العالمية الثانية عندما تفتَّتْ الدولة العثمانية وتقاسمها الغرب واحتلت بريطانيا أجزاءً من تركيا نفسها، "وكان مصطفى أتاتورك يقود أحد الجيوش التركية في أواسط البلاد التي لم تقع تحت الاحتلال، وذهب ذات ليلة لمشاهدة مسرحية تعرض في أنقرة وتناولت بالرمز موضوع الاحتلال، وكانت بطلة المسرحية التي يحيط بها جمع من الأشرار يودون اغتصابها وترمز إلى تركيا، فتوجهت إلى الجمهور صارخةً أليس بينكم رجلٌ يحميني من الاغتصاب؟ فنهض أتاتورك من مقعده مجيباً بأعلى صوته: أنا ذلك الرجل وغادر المسرح وقاد جيشه؛ ليحرر الأجزاء الغربية من تركيا ويوقع بالجيش البريطاني في اسطنبول أقسى هزيمة[2].

أما فلسطين فتتوق إليها قلوب العرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ويمتلك حبها النفوس، فطالما عانت عبر التاريخ ويلات المغتصبين، فتغنى بحبها الشعراء، يقول حلمي الزواتي[3]، مصوّراً إياها بالحبيبة

لقلبك تُشرعُ أبوابُ قلبي

---

[1] شاكر النابلس، مجنون التراب، دراسة في شعر وفكر محمود درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 244.

[2] عبد الله حوراني، لماذا نكتب ولمن؟، ص347.

[3] حلمي الزواتي، ترفض السّرج الجياد، مؤسسة السنابل الثقافية، ط/1: 1982م، ص91.

.....

وأنتِ تجيئين بحراً

تجيئين عشباً

ومع هذه الجراحات التي لم تتوقف إلا أن الشعب المرابط صمد في مواجهة الغاصبين متمسكاً بفلسطين، فهذا الشاعر كمال النجمي في قصيدة (صرخة فلسطين) يقول[1]:

لهـــا الله مـــن مهضـــومةٍ غيـــلَ أمنهـــا وحـــــال عـــــذاباً خفضـــــنها ونعيمُهـــــا

تقـــاعس عنهـــا حـــين ضـــيمت وليهـــاُ وأســـــــلمها للحادثـــــــات حميمُهـــــا

وبما أن المرأة ترمز لكل شيء جميل في الكون ولا تتم الحياة ولا تستقيم بدونها، فقد جعلت فدوى طوقان فلسطين امرأة؛ لأن سرَّ الخصب واحد، ففي قصيدة (حمزة) تقول[2]:

هذه الأرض امرأة

في الأخادير وفي الأرحام

سر الخصب واحد

وهذا هو الشاعر يوسف الخطيب يصف الجمال الحسي لمدينة غزة التي هام بحبها واصفاً مفاتن جسد المحبوبة، حيث يقول[3]:

وثغرِك حبتا كرزٍ

وعطرك غابتا حبقٍ

وصدرك جرتا عسلٍ

ويزداد حب الإنسان لوطنه إذا اغتصب من بين يديه أو وقع عليه الظلم، فيكتوي بنارين؛ نار العشق ونار الأسى والحرمان، فيجد نفسه طريح الفراش تمزقه لوعة الفراق فها هو مجنون

---

[1] عبد القدوس أبو صالح ومحمد رجب البيومي، من شعر الجهاد في العصر الحديث، مؤسسة الرسالة، ط/1: 1405هـ - 1985م، بيروت، لبنان، ص181.

[2] ديوان فدوى طوقان، (الليل والفرسان)، دار العودة، بيروت، لبنان، 1988م، ص543.

[3] يوسف الخطيب، رأيت الله في غزة، دار فلسطين للثقافة والاعلام والفنون، دمشق، دار الحياة للطباعة والنشر، ط/1: 1988م، ص11.

التراب محمود درويش يرى الأرض امرأة في الميناء، وهي مسافرة بلا أهل ولا زاد في جبال الشوك وهي راعية بلا أغنام، يقول[1]:

رأيتك أمس في الميناء

مسافرة بلا أهل.. بلا زاد

رأيتك في جبال الشوك

راعية بلا أغنام

إنها فلسطين الجريحة، "الأرض التي التبست بالحبيبة، هي البداية والشاعر تابعٌ لها، يستمد من جرحها ثورة، ويولِّد من أُغنيتها نشيده، فهي قوَّامةٌ عليه، يمشي وراءها، ويصف أقدارها في انتظار الفجر وتكاثر السنابل... ويعطف أحواله المبرأة من المرتبة على أحوال معشوقةٍ يقاسمها الاغتراب والفقد والوجود الناقص[2].

لقد اتخذ الشعراء من المرأة رمزاً لوطنهم وأرضهم، "وهنا تتحول المرأة إلى أداة فنية تتحول إلى رمز ملتحم بالعمل الشعري فنياً كل الالتحام حتى صار من الصعب في بعض الحالات على القارئ أن يتعرف بسهولة على الحبيبة المقصودة هل هي المرأة حقاً أمْ الأرض فعلاً"، فهذا (زهير كرّوم) الذي تناثرت أشلاء أمه أمامه طفلاً حين استشهدت في تل الزعتر، فاختار طريق النضال وحمل السلاح وأدمت قيود الأسر معصميه، امتزجت لديه صورة الأم بالوطن عند الحدود اللبنانية حيث اتجه إلى فلسطين المحتلة، فيقول[3]:

وأصلُ إليك يا وطني

أتقدَّمُ نحو الأرض أعانقها

وأصل إلى أمي

أصلُ إلى وطني، أصلُ إليكم

---

[1] ديوان محمود درويش، أوراق الزيتون، دار العودة، بيروت، لبنان، ط/14: 1996م، ص89. ومصدر آخر صفاء زيتون، عصافير على أغصان القلب، دار الفتى العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط/1: 1985م، ص105.

[2] عبد الاله بلقزيز، هكذا تكلم محمود درويش، دراسات في ذكرى رحيله، مركز الدراسات الوحدة، بيروت، لبنان، ط/1، نوفمبر 2009م، ص32.

[3] فايز أبو شمالة، رياحين بين مفاصل الضجر، ص407.

الأرض امرأة، جاءت تشكو وهي ممزقة الأثواب عارية، وتلطم الوجه قد قصت ضفائرها ودموعها على خديها يقول شوقي فلسطين[1]:

جـــاءت لـــي الأرض تشـــكو وهـــي عاتبـــة والوجـــه بـــادٍ عليـــه صـــورة الألـــمِ

....

جـــــاءت ممزقـــــة الأثـــــواب عاريـــــةً قـــد شـــقت الثـــوب مـــن رأس إلـــى القـــدمِ

وحرب الفرقان امتداد لحروب عديدة شنها الصهاينة على غزة، وذلكَ؛ لأن "غزة في أحقاد التوراة السوداء هي بيت الفلسطينيين المكين الذي تحطمت خلف أبوابه الغزوة اليهودية الأولى قبل ثلاثة آلاف سنة"[2].

وظلت المرأة الفلسطينية في شعر حرب الفرقان رمزاً للأرض المقدسة التي أثخنتها الجراح، "فالمرأة هذا المخلوق الساحر العجيب هي عالم مجهول مليء بالأسرار والخبايا، لا يخلو من ذكرها أي شعر في العالم وفي جميع الأزمنة والمراحل"[3]، فغزة فتاة تلهو في جدائلها، لا تدري بأن أمريكا وإسرائيل تطرزان لها ثوباً من النار والجمر والحمم، بحربها الهمجية، لكن غزة أقوى من الموت، فالشاعر يقول[4]:

فمـــا لغـــزة تلهـــو فـــي جـــدائلها أصـــابع الـــريح والإرهـــاب قـــد هجمـــا

وترتـــدي النـــار ثوبـــا طرزتـــه لهـــا (كونـــدي ولفنـــي) تصـــبُّ الجمـــر والحممـــا

ومـــال غـــزة فـــي ظـــلِّ الجحـــيم بـــدتْ أقـــوى مـــن المـــوت والطـــاغوت قـــد نـــدما

ومع اشتعال الحرب ازداد لهيب الحب، فقد ترك حب النساء بأسرهن واكتفى الشاعر يوسف محمد أبو عواد بحب غزة، فقد عشقها طفلا وهام بها كبيرا، ففي قصيدة غزة إلى أين يقول[5]:

تركـــتُ حـــبَّ النســـاء واكتفيـــت بهـــا حبيبتـــــي دُرَّة مبروكـــــةُ النســـــبِ

عشـــقتها طفـــلا وهممـــت فـــي كبـــري جعلتهـــا فـــي العـــين زينـــة الهـــدب

....

جعلـــت قلبـــي للتـــي يشـــاركني فـــي حبهـــا الكـــون مـــا فـــي الأمـــر مـــن عجـــبِ

---

[1] شوقي فلسطين (أبو زهير حسن محمد عبد الرحمن محمد سلامة) الملقب بحسن أفندي، أعده وقدم له: يحيى جبر، منشورات الدار الوطنية للترجمة والطباعة والنشر، 1420هـ/1999م، ص92.

[2] يوسف الخطيب، رأيت الله في غزة، ص9.

[3] نادي ساري الديك، جراحات حيف..، ص82.

[4] لأجلك غزة، هاجم العيازرة، قصيدة أيقونة الانتماء، ص541.

[5] السابق، ص590.

أغـــارُ؟ لا لـــن أغـــار ذاك يســـعدني حبيبتـــي للـــورى فـــي الســـهل والحـــدبِ

مـــن كـــل ناحيـــة يطـــل عاشـــقها يـــروي القصـــائد للســـمار والشـــهبِ

إنها تحنو علينا وتحضننا وتمنحنا وشاح الخلود، نقبل كفيها عند الصباح وقبل الهجود، هذه (مريم العموري) في قصيدتها إلى أن نعود، تقول[1]:

نأتيكِ كي تحضنينا

وكي تمنحينا وشاح الخلود

نُقبلُّ كفيكِ عند الصباح وقبل

الهجود

وبرغم الأشلاء المتناثرة والدَّمار والهلع إلا أن غزة فتاة دفنت خوفها وتلت آية الصبر إنها تجمع الأشلاء وتودع الشهداء وهي تغني أنشودة الانتصار، يقول بسام دعيس أبو شرخ[2]:

غزة

قد دفنت خوفها

وتلت

آية الصبر

وامتشقت حلماً

ويقيناً

عصياً عصياً

على الانكسار

وراحت تجمع أشلاء أطفالها

وتودّع أرواح أبطالها

وتغني

تغني

تغني

---

[1] لأجلك غزة، ص627.

[2] السابق، (أنشودة غزة)، ص94.

برغم المجازر

أنشودة الانتصار

غزة أُمٌّ تعرف أبناءها، تصرخ في وجه اليهود وتتنكر لهم فهم غرباء، إنها تميز أبناءها الفلسطينيين البررة حين ينادونها يا أماه، أما الصوت الناشز من اليهود فهو نباح لا ينفعهم، في قصيدة (حديث الأرض والتاريخ) يقول الشاعر[1]:

تصرخ من أين أتيتم؟

رحمي لم يعرفكم

.....

إني أعرف أبنائي

رحمي يعرف أبنائي

صدري يعرف أبنائي

وجهي يعرف أبنائي

إني أعرف ذاك الصوت

لأبنائي

أماه.. يا أماه.. يا أماه

أما الصوت الناشز منكم

إناه.. يا إناه.. يا إناه

نباحٌ ليس ينفعكم

إن اليهود لم يأبهوا بلفظ الأرض لهم ويريدونها رغماً عنها؛ فقتلوا ودمروا فها هي غزة.

فتاةٌ أبيّة من أمٍّ في يدها أزهار الشمس فأمُّها لا تبكي فهل الابنة تبكي؟ يقول عبد الفتاح أبو زايدة[2]:

من رحم العزّة ولدت غزة

---

[1] عبد الفتاح أبو زايدة، دموع بلا عيون، ص70.

[2] السابق، ص120 (قصيدة: غزة عرس فلسطين).

داست فوق سواد الصمت

يلدُ الفجرُ في عينيك يا غزة

أمكُّ يا غزة لا تبكي

فهل أنت تبكين؟

أمك يا غزة في يدها أزهار الشمس

منذ آلاف السنين

غزة ليست فتاة ولدت من رحم العزة فقط بل إنها ذات وجه أغبر القسمات، تأتزر وجه الشمس تخاف أن يراها من خلف الخدور من هو مجرد من الحياء، وثغرها مشرع البسمات، يقول الشاعر[1]:

ألأن وجهك أغبرُ القسماتِ

تأتزرين وجهَ الشمس

خوف يراك من خلف الخدورِ

مجرَّدٌ

من كل ما حملَ الإباءُ

من الحياءْ؟

ألأن ثغركِ مشرع البسماتِ

تنتظرينَ

عل يعود بعض من سناكِ

إلى ملاءات الضياء

ألأن قلبك ما يزال ملءَ هواك

تؤكدين بأنه

وسع الفضاء

إن غزة حسناء ساحرة، تشرق كالوردة، تفوح رائحة عطرها، يداعبها النور، وقد تلألأ وجهها بالنصر وهزمت بعزتها الحشود التي لا تُضاهي في القوة والبطر، في قصيدة (وتشرق غزة

---

[1] لأجلك غزة، جلال قضيماتي، قصيدة (غزة)، ص99.

كالوردة)، يقول (عمر طوافي البوسعادي) [1]:

وتشـــــرق غـــــزة كـــــالوردة فجـــــراً بطـــــلٌ جميـــــلٍ تقـــــاطر عطـــــرا
يـــــداعبها النـــــور مـــــلء الجفـــــون تمـــــايس بـــــالعز يختـــــال فخـــــرا
شـــــدتها الطيـــــور بأعـــــذب لحـــــنٍ يغـــــرِّد نصـــــراً يلـــــوِّح بِشـــــرا
أغـــــزة أيُّ انتصـــــارٍ جليـــــلٍ تـــــلألأ مـــــن وجهـــــك اليـــــوم دُرّا
هزمـــــتِ الحشـــــودَ التـــــي أظهـــــرتْ قِـــــويً لا تضـــــاهى زُهـــــاءً وبطـــــرا

وغزة حسناء يريد العدو اغتصابها جهراً وأمام بنيها وهي حزينة تطرق وتفكر وتريد التخلص من هذا العلج الذي يرميها بسطوته، تقول سماح المزين[2]في قصيدة (للجرح في روحي صهيل):

وأراه في جهرٍ، يحدقُ، يفتح العينين، يفغر فاه، إن بسمت بوجه الناس مكتحلة

أ تُراكَ ويحك تشتهيها؟

جهراً وقدام بنيها؟

يا حلوتي

أوَ تحزنين وتطرقين وتفكرين وتدمعين

أنا لا ألوم الساكنين هناك

ولا أروم العون إن (علج) بسطوته رماك

أنا لست إلا قارئاً وجهَ المليكة؛ قارئاً كلَّ التفاصيل

الحزينة للعراك

وصولة العدو لا ترحم، فقد عاثت أسلحته وضرباته دماراً، فصوَّر محمد أبو نصيرة غزة بأنها امرأة مكلومة تستنجد وتنادي على أمتها العربية، لكن صرختها لم تجد آذاناً مصغية فقد صور الأمة بتخاذلها بأنها امرأة مصابة بالصمم عن سماع الصراخ لما هي فيه من مجون وطرب فهي تبيح نهديها للراغبين، ففي قصيدة (على قبر معتصم) يقول[3]:

نادت ونادت ولما تسمع العربُ

قد صمَّ آذانها التطبيل والطربُ

---

[1] موقع الكتروني عمر طرافي البوسعادي .amartharrafi ayahoo.fr.

[2] سماح المزين، وطن تدفأ بالقصيد، قصيدة (للجرح في روحي صهيل)، ص110.

[3] محمد أبو نصيرة، في كل سنة، من إصدارات رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين، 2010م، ص109.

يا غزتي أمةً الأعراب نائمةٌ

تبيح عزة نهديها لمن رغبوا

ومع هذا الدور العربي الخجول إزاء ما جرى في غزة، إلا أن العالم الحر صرخ صرخة جريئة في وجه الظلم، فغزة أسيرة تنادي أحرار العالم ليكفوا عن معصمها قيد الأسر ويسعفوها بضخ الدم في شرايينها لتدب فيها الحياة وتشرق بالأمل، لقد صور لنا (مأمون فريز جرار) ذلك، بقوله[1]:

أحرارُ الأرض تنادَوْا في كلِّ

البلدان

ليكفَوا عن معصمك القيد

ويصدوا عاصفة العدوان

ويضخوا في الشريان دماً

ليعود لصبحك لون الضوء

وتشرق بالأمل العينان

لكن كل ذلك لم يوقف مجازر المعتدي بل واصل وبعنف أشد، وشراسة أعظم، فتصوَّر (هلال الفارع) غزة بأنها امرأة مفجوعة وقد عظم مصابها وهو يطلب منها الصبر مع علمه بأن صبرها قد سال في الحراب وجرحها واسعٌ دونه العذاب حيث يقول[2]:

صبراً على المصاب

يا مفجوعتي

صبرا على المصابْ

أدري بأن صبرك الطويلَ سالَ في الحراب

وأنني أمد هذه الأشعار

في موائد الخرابْ

وأن هذا الجرحَ واسعٌ

ودونه العذاب

---

[1] لأجلك غزة (قصيدة: رسائل إلى غزة)، ص392.

[2] السابق، قصيدة (دم غزة مختلف جدا)، ص556.

وأطبق الحصار واستشرى الجوع، وجفَّ الماء، فصور مأمون جرار غزة ومعاناتها بامرأة ينهشها الجوع، وعندما لا تجد طعاما تنوي صيام النفل حتى تحفظ ماء وجهها مِنْ ذل السؤال وحين يقهرها الظمأ ترتوي بدموعها، فهي امرأة تدوس على جراحها، حيث يقول[1]:

من خلف الأسوار تعلين

شموخاً يا غزة

ينهشك الجوع فتنوين صيام النفل

ولا تستجدين رغيفاً

يقهرك العطش فترورين العطش

بدمع العين

إن الأمعاء الخاوية هُراءٌ لا يفل من صبر غزة فهي تشبع من العلا والكبرياء وإذا عريت فهي ترتدي ثياب التُّقى، ومهما صبَّ الإسرائيليون حقدهم، فهي تتحلى بالصبر والشموخ كالبحر الثائر يبتلع النيران، يقول الشاعر[2]:

تجـــوعين لكـــن تشـــبعين مـــن العـــلا وتعـــرين لكـــن تلبســـين التقـــى أُزْرا
ونشـــــبعُ لكنَّـــــا جيـــــاع كرامـــــةٍ ونلـــبس لكـــن مـــن ثيـــابِ التُّقـــى نعـــرى
يصـــبُّ عليـــك الحقـــد نـــارا فتنطفـــى بجـــرحٍ يمـــورُ الصـــبرُ فـــي دمـــهِ كبْـــرا
فهـــا أنـــتِ ذي بحـــرُ البطولـــة ثـــائرٌ وأنـــى لنـــار الحقـــد أن تبلـــع البحْـــرا

وازداد لهيب الحب وهجا بزيادة معاناة غزة فكثر عشاقها، وها هي المطارحة الغرامية التي تكتب بوحاً جهوراً، وها هي الليالي بالشوق مفعمة وشذا الحب يفوح عطراً، فغزة الفاتنة بالوصل تغري، تقول (ينابيع السبيعي)[3]:

أحبـــك ضـــوءاً يـــذوب بشـــعري أحبـــك ورداً شـــذاه بعطـــري
ســـأكتبُ بوحـــاً جهـــوراً وأخفـــي مـــن العطـــر شـــوقاً يداريـــه ســـطري
أعيـــد الليـــالي خيـــالاً وشـــوقاً لصـــوتٍ حنـــونٍ يـــداعب عمـــري
لأنـــي أحبـــك بالسِّـــر قـــولي هروبـــاً مـــن الشـــوق يـــأوي لصـــدري
حبيبـــي تقـــدم إلـــى النصـــر ســـيفاً وهـــذا يكـــافئ أضـــاعفُ مهـــري

---

[1] لأجلك غزة، قصيدة (رسائل إلى غزة)، ص394.

[2] السابق، محمد سليم الغزال، ص449.

[3] السابق، (قصيدة حب تحت الحصار)، ص639.

بغـــــزة مـــــوتٌ وقهـــــرٌ وليـــــلٌ وأشـــبالُ عهـــد بهـــا الصـــدق يجـــري

....

فكـــــان اشـــــتياقي لغـــــزة أســـــمى كـــــذلك غـــــزة بالوصـــــل تغـــــري

وغزة عذراء مهرها ليس كبنات القوم دنانير أو درّ ثمين، فقد ساق الخطاب الشهداء مهرا لها، فنعم الخطيب ونعم المهر، ونعم الزواج، يقول (طارق عبد الله الساقي)[1]:

و يـــــا عـــــذراءَ غـــــزةَ لا تنـــــوحي وكُفِّـــــي العـــــينَ والـــــدمعَ الحزينـــــا

إذا ســـــيقتْ لبنـــــتِ القـــــوم مهـــــر دنـــــانيراً أو الـــــدرّ الثمينـــــا

فـــــإني أُبصْـــــرُ الخطَّـــــاب ســـــاقوا لـــــك الشـــــهداء مهـــــر الخاطبينـــــا

فـــــأنعم بالخطيـــــب غـــــلاء مهـــــره وأنعـــــم فـــــي زواج الصـــــالحينا

وذات الفكرة يجسدها (رأفت رجب عبيد)، حيث تصور غزة حسناء في ألقٍ غالية المهر؛ لأنها عروس في ذرا العلياء، حناؤها دماء الشهداء، وعاجل المهر جليل الفداء وآجل المهر سيول الدماء، يقول[2]:

هي الحسناء في ألقٍ..

وتُغْلي في الهوى مهرا..

هنا غزة..

عروسٌ في ذرا العلياءْ..

عروسٌ والدِّما حناءْ..

دما الشهداء..

وإن المهر عاجله جليلُ فداءْ..

وإن المهر آجله سيول دماءْ..

وغزة امرأة ترسم المجد بإقدام وشجاعة، تواجه العدو مدججاً بالسلاح وسلاحها الإسلام العزيز، فانتصرت عليه، وأراد الباغ إرغامها، فغلّق عليها الأبواب وحاصرها، لكن غزة عكست الوضع وحاصرته، وطرحته أرضاً تحت أقدامها، يقول الشاعر عبد الرحمن العشماوي[3]:

---

[1] لأجلك غزة ، (قصيدة: زئير غزة)، ص267.

[2] السابق، (هنا غزة)، ص179.

[3] موقع إلكتروني: أوفاز www.awfaz.com قصيدة على قمم النصر، الدكتور عبد الرحمن العشماوي.

غـــــــزة تشـــــــكو آلامهـــــــا وترســـــــمُ المجـــــــدَ بإقـــــــدامها

تواجـــــــه البـــــــاغي وآلاتـــــــه بمالهـــــا مـــــن عـــــزٍّ إســـــلامها

....

مـــــا حاصـــــروها حينمـــــا أغلقـــــوا أبوابهـــــا ســـــعياً لإرغامهـــــا

بـــــل حاصـــــرت غـــــزة أوهـــــامهم وطرحتهـــــا تحـــــت أقـــــدامها

فمـــــا رأت فـــــي الليـــــل إلا ضـــــحى يكشـــــف عنهـــــا جـــــور ظَلَّامهـــــا

المبحث الثالث: الســـكن

منذ أن خلق الله تعالى آدم عليه السلام، لم يتركه وحيداً بل خلق من ضلعه حواء عليها السلام، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[1].

فالسكن والطمأنينة تحتاج إلى كمٍّ هائلٍ من الحنان، "ولأن المرأة أكثر أفراد الجنس البشري حنواً وعطفاً سواء أكان لزوجها أو أطفالها أو جيرانها أو المجتمع الخارجي بأسره، فقد تملكت سمة العطف كسمة أساسية في شخصيتها"[2].

وأيُّ سكن أروعُ من حضنك أيتها السيدة الحانية، حليمة بنت ذؤيب (حليمة السعدية) الحصْن الذي ضم بين جنباته سيد البشر رضيعاً، تحكي السيدة حليمة السعدية: "فلقيني عبد المطلب فسألني من أنت؟ قلت حليمة من بني سعد، فقال: بخٍ بخٍ سعد وحلم، خصلتان فيهما الدهر وعزِّ الأبد يا حليمة، وأخذني وأدخلني بيت آمنة بنت وهب، فقالت لي: أهلاً وسهلاً، وأدخلتني البيت الذي فيه محمد، فإذا هو مدرجٌ في ثوبِ صوفٍ أبيض من اللبن، وتحته حريرة خضراء، راقد على قفاه يغطُّ، يفوح منه رائحة المسك فأشفقت عليه (خفت أن أوقظه من نومه)؛ لحسنه وجماله؛ فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكا، فتح عينيه إليّ فقبلته بين عينيه، ورجعت إلى رحلي فوضعته في حجري، قدمت إليه ثديي، فأعرض عن الأيسر وأقبل على الثدي الأيمن فشرب حتى روي"[3].

أعرضت المراضع عن اليتيم، فالأب هو الذي يجزلُ العطاء وهو بلا أبٍ وأم لا حول لها ولا قوة، لكن المرأة التي لم تحمله في أحشائها جنيناً حملته في أحضانها رضيعاً، فوجد السكن حيث تجلَّى لنا كيف تكون المرأة سكناً ودفئاً وحياة.

وفي الإسلام، "لم تعد المرأة مجرد متاع للرجل، بل أصبحت ركناً مهماً من أركان الأسرة، فليس للرجل سعادة ولا طمأنينة إلا إذا كان لزوجته مثل ذلك"[4]. قال تعالى: "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون"[5].

---

[1] سورة الأعراف: 189.

[2] محمد عسلية، دراسة لمسات الشخصية، ص138.

[3] عبد العزيز الشناوي، نساء الصحابة، مكتبة التراث الإسلامي (القاهرة)، 1988م، ص193.

[4] عادل أبو عمشة، قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث في مصر، دار الجيل، بيروت، ودار عمار، عمان، ط/1: (1047هـ/1987م)، ص210.

[5] سورة الروم: 21.

لقد ماهى الشاعر (حميد بن ثور الهلالي) منذ القدم بين الشجرة والمرأة من حيث الظلال والعطاء والوقاية من حر الصحراء، "فالمرأة ترتبط بالشجرة من حيث الخصوبة والجمال والسكن إليها، فالشجرة الوارفة الظلِّ التي تضرب جذورها في الماء، تستمد منه نضارتها وجمالها وسموقها تلك الشجرة هي المعادل الموضوعي للمرأة"[1].

الأم التي تواسي ابنها إذا وقع نهبة للقلق، فتسهر مع النجوم، وتقع فريسة للأرق، يقول الشاعر في قصيدة (أمي أرضعتني الرجولة)[2]:

أمـــــــاه كـــــــم واســـــــيتني مـــــا دمـــــتُ نهبـــــاً للقلـــــقْ

وســـــهرتِ مـــــع دنيـــــا النجـــــومِ فكنـــــــتِ نهبـــــاً لـــــلأرقْ

ولولا حنان الأم لعاش الإنسان طريداً، سقيماً فهي الظلُّ الدائم، يقول الشاعر[3]:

ولولا حنانك يا ظلنا

لعشت سقيماً وابناً طريدْ

فحبك يملأ نفسي طموحاً

وعندما يُقْهرُ الإنسان و تتقاذفه أمواج الحياة العاتية وذل التشرد والضياع في الغربة يشكو لأمه، يقول الشاعر[4]:

أُمي! طحنت الماء في المقهى

ومسحت كل موائد الملهى

والسكن هي الحبيبة التي تمنح كل الحب للجندي الرابض في عمق فؤادها الزاحف للأرض وللبيت والحقل مدافعاً عنها، ففي قصيدة (اخترت الخطر) تقول الشاعرة[5]:

أيها الجنديُّ

في جيش بلادي

---

[1] حسني عبد الجليل يوسف، المرأة عند شعراء صدر الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1: 1427هـ/2006م، ص89.

[2] محمد أحمد أبو غربية، مواكب النضال، مطبعة الاعتصام، ط/1: 1968م، ص100.

[3] حلمي الزواتي، عبير الدماء، مكتبة الخلود الكبرى، العباسية، ط/1: 1973، ط/2: 1976، ص48.

[4] ديوان سميح القاسم، دار العودة، بيروت، 1987م، ص456.

[5] حنان عواد، اخترت الخطر، اصدارات اتحاد الأدباء والكتاب الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، ط/1: 1988م، ص58.

أيها الرابضُ

في عمق فؤادي

وأنادي

يا حبيبي

إن الإسلام أراد المرأة حرة تفيضُ نُبلاً وتعرش لآدم بيته متألقاً؛ لتسود الحياة مودة وتعاطفاً ففي قصيدة (حرة في ظلال الإسلام) للشاعرة أمينة محمود إبراهيم المريني، تقول[1]:

وأرادنـــــي أمـــــا يـــــدرُّ حليبهـــــا نـــــبلاً وقلبـــــاً بالفضـــــيلة ســـــاجما

وحمامـــــةً عرشـــــتْ لآدم بيتَـــــهُ متألقـــــاً يـــــأتي ويـــــدبرُ باســـــما

والنساء منبع للسرور ومستقر للهناء، ففي قصيدة (أجل إننا في الحياة النساء) تقول الشاعرة (إنصاف علي بخاري) من السعودية تقول[2]:

أجل إننا في الحياة النساءْ

ولكننا منبع للسرور... ولكننا مستقرُ الهناءْ.

المرأة البلسم الشافي الذي يشجيك ويؤنسك، ويثبت خطاك "إنها الاستشعار الإنساني بالحياة سالمة، آمنة، مطمئنة، فهي الأم التي يلهث قلبها وراء خطوات ابنها وهي الابنة التي تنتظر أباها والزوجة التي تقاسمه حياته وهي الحبيبة وقد استوطن الحب قلبها وباعث شمس حياتها[3].

وفي أحلك اللحظات وأشدها قهراً في المحاكم العسكرية الإسرائيلية، حين القاضي هو الجلاد المهيمن بظلمه وجبروته تجد ضالتك في نظرة من نظرات الأم، "ولا ملجأ إلا حضن الأم الدافئ مصغياً لنبض قلبها الحنون الراجف، واستدرارا لأمومتها القافزة في وجه الخطر"[4].

وهذا ما كان مع د. كمال غنيم في الجلسة الأولى عند محاكمته، فرأى أمه ولسان حاله يقول[5]:

أمي ناديتُكِ يا أُمي

---

[1] حسني أدهم جرار، شاعرات معاصرات، مؤسسة الزيتونة للنشر، عمان، الأردن، ط/1: 1421هـ-2001م، ص55.

[2] السابق، ص77.

[3] فايز ابو شمالة، السجن في الشعر الفلسطيني، ص251.

[4] فايز أبو شمالة، رياحين بين مفاصل الصخر (سجن نفحة الصحراوي) مختارات من أدب المعتقلات، إصدار جمعية الأسرى والمحررين، 2001، ص82.

[5] السابق، ص286.

والسلكُ الشائكُ يجرحني

وفؤادك يقطر تَحناناً

وفؤادي يقتلهُ شجني

وفي حرب غزة (الفرقان 2008–2009) لم تكن المرأة الفلسطينية بأقل مما هي عليه من سكينة وقلب كبير يستوعب من حوله بالحب والعطاء فهي ذات قدرة هائلة على أن تمنح الجميع طمأنينة، فيتلاشى الفزع الذي أشاعته الحرب، إنها هاجر يتدفق زمزم بين راحتيها في صحراء جرداء قاحلة، الأم الفلسطينية في الحرب كما في السلم تغرس حبها، الأم قلب الوطن، الأم في فلسطين روافد للمحبة والعطاء، يقول الشاعر[1]:

الأم تحفر زمزماً حين المياهُ تعطلَّتْ

الأم تغرس حبَّها حين المياهُ تعزَّزتْ

قلب الوطن

الأم في بلدي عرينُ الأقوياءْ

الأم تصمد للمحنْ

الأم في بلدي روافد للمحبة والعطاءْ

إن القصف المجنون، لم يثنها أن تؤنس رضيعها، فقد غالبت النوم ووسدته ذارعها وهي تهدهده بكلمات الحب، هيّا حبيبي لم يعد وقت للصباح يقول الشاعر[2]:

كان قبل القصف يبكي

طالباً منها الرضَّاعةْ

غالبت نوماً عنيداً

واستدارتْ

أمسكت بالطفل تحضنه

ليرضعْ

وسَّدته ذراعها

---

[1] عبد الفتاح أبو زايدة، دموع بلا عيون، ص36.

[2] السابق، ص130.

لم تكن تدري بأن الموت

أسرع

هيا حبيبي لم يعدْ

وقتٌ للصباح

وتهاوت الجدرانُ بعد القصف

لم يتركْ سوى موت مباح

هذا في ليل الحرب أما في نهارها، فهي تجمع عائلتها وتفترش الأرض بالحصيرة حتى تدب الطمأنينة في نفوسهم وتطعمهم ببسمتها وحبها إلا أن صواريخ العدا كانت لهم بالمرصاد، يقول الشاعر[1]:

والأم تطعمهم ببسمتها وحبِّ غردا

وكبيرهم ما اجتاز خمس سنين غضاً قد بدا

و يئزُّ صاروخٌ فيه دم بيتهم متمردا

الحضن الدافئ هو الأم، قصائد الحب هي الأم، في حضنها يبيض الحجر، وفي حضنها نبني بيوتا وعليه للقمر، يقول الشاعر[2]:

وفي حضن أمي يبيض الحجرْ

بيوتاً و علِّية للقمرْ

قصائدَ للحب.. للأرض.. للنور

حتى إذا مرّ آذار في حيِّنا وانهمرْ

يُفَرِّخُ أحلى وطنْ

الأم الفلسطينية برغم هذا الحب، العظيم لأبنائها، فهي تفديهم بروحها، إنها ينبوع عطاء إلا أنها تؤمن أن حب الله ومجد الدين ترخص أمامه حتى الأبناء، يقول الشاعر[3]:

الأم تحب الأبناء وتفديهم

---

[1] لأجلك غزة، الشاعر مروان عرنوس، قصيدة (خنساء غزة)، ص518.

[2] السابق، الشاعر محمد دركوشي قصيدة (غزة العشق المتلاشي)، ص407.

[3] السابق، الشاعر مأمون فريز جرار قصيدة (رسائل إلى غزة)، ص394.

فالأم

ينبوع عطاء

لكنْ في حبِّ الله ومجد الدين

ترخص كلُّ الأشياء

إنها الحرب الملعونة التي حرمت الأطفال حضنهم الدافئ الكامن في حليب أمهاتهم، أين أمنهم واستقرارهم؟ أين الشقاوة والدعابة والحنين، لقد أرضعهم الإسرائيليون صواريخ غزيرة تقتلهم لا حليب يحيهم، يقول الشاعر[1]:

بصدى الطفولة وهي تحتضنُ

الأماني في ربوع الذكريات

في جمال الأمسيات

لم يرضعوا شهب الطفولة

والشقاوة والدعابة والحنين

لم يرضعوا الوطن الحبيب

ولا حليب الأمهات

لكنهم رضعوا صواريخ الصهاينة

اللئام بحقدهم ضد الحياة

إنها الأم التي أناجيها وتؤويني، وهي التي تبذل في البراري الزهور التي كنت أسقيها، لقد عملت الحرب عملها فعطلت البئر كما عُطِّلت فيها أوانيها، يقول الشاعر[2]:

إلى أمي أناجيها وتؤويني

لتُبكيني على خلٍّ مضى في الغُرمْ يكويني

وتذرفُ في برارينا زهوراً كنت أسقيها

على عطش وبئر عُطِّلت فيها أوانيها

---

[1] لأجلك غزة ، الشاعر محمد عبد الرازق أبو مصطفى (الصمت البريء)، ص459.

[2] صقر أبو عيدة، لمن يبكي؟، قصيدة: شُقي غيمة البلد، ص35.

بربِّك هل تنامين الليالي والصغار جثوا

ولم يدروا بأن الموت خاطبهم

وعندما يعتريك شعور عنيف يضطرب فيه الفؤاد، وأنت حائر تقول له يا قلب اتئد، وراودتك رغبة في البكاء، لتطهر غيوم قلبك الجريح، ليس لك إلا الدموع، فهي لجوءٌ حميم الى حضن الأم علك تجد الطمأنينة التي تفتقدها والسكينة المنشودة، فالشاعر سالم المساهلي يقول[1]:

تراودني رغبةٌ في البكاء

تطهرني من غيوم الفؤاد

ومن طول صمتي

لأن الدموع لجوءٌ حميم الى حضن أمي

وبوح شفيفٌ لوجه الحقيقة

وغيثٌ يُبدِّدُ لفحَ الوهيج

وليل الأرق

الأم امرأة، والطفلة أيضاً هي امرأة، برغم طفولتها فهي حين تبتسم تشرق الشمس، وعندما تتحدث، فحديثها ساحر، تشعر أمامها بطمأنينة عجيبة، وبذكائها تلمس الحزن في وجهك وتتساءل عن سببه وتبادلك حديث الغرام الذي لا يحصيه الكلام، وتستدرجك لتبوح لها بحزنك لما أصاب غزة، يقول الشاعر[2]:

أوّاه مـــن طفلـــةٍ فـــي أنفهـــا شـــممُ ... لا تشـــرقُ الشـــمسُ إلا حـــين تبتســـمُ

.....

نجـــلاء تعشـــقها الألحـــاظ إن نظـــرت ... تـــردي الكمـــاة وأعيـــا طرفهـــا ســـقمُ

خـــود تبـــزُّ محيّـــا البـــدر إن ســـفرت ... وفـــي غـــدائرها تســـتفحل الظلـــمُ

حـــديثها ســـاحرٌ فـــي صـــوتها صـــحل ... يســـقيك خمـــرةً وهـــم كأســـها الكِلَـــمُ

قالـــت وقلـــت كلامـــا لســـت أذكـــره ... والقلـــب يخفـــق والأحشـــاءُ تضـــطرمُ

قلنـــا وقلنـــا ولـــم نبلـــغ مقاصـــدنا ... مـــن الغـــرام وهـــل يحصـــي الغـــرامَ فـــمُ

نفســـي الفـــداء لظبـــيٍ بـــات يســـأل عـــن ... حزنـــي ومـــا عـــاد حزنـــي اليـــوم ينكـــتمُ

---

[1] لأجلك غزة، قصيدة (لا تطمئنوا.. نشيد غزة)، ص196.

[2] السابق، أبو زياد الانصاري (من شنقيط يا أهل غزة)، ص38، ص39.

قالـــت بوجهـــك حـــزنٌ كنـــتَ تكتمُـــهُ أَ خَانَـــكَ الصـــبرُ أم أودى بـــك الألـــمُ

نعـــم بقلبـــي همـــومٌ كـــم شـــقيتُ بهـــا دهـــري فمـــا عزبـــوا إلا وقـــد هجمـــوا

أنْكـــأتِ غـــزةَ جرحـــاً فـــي ضـــمائرنا عـــن فقـــد أنـــدلسٍ مـــا كـــاد يلتـــئمُ

المرأة السكن هي ابنةٌ يبث الأب إليها شكواه من ألم الجراح يشعر أنها تشاركه الهموم فيلوذ إليها يستمد منها القوة والهدوء، يقول الشاعر[1]:

شرعوا في قصف روحي

يا ابنتاه انكسر الجرح على الجرح و أُوثقتُ إلى قاع السفوح

وأنا أرفعُ منهم درجاتْ

كلُّ سقفٍ عندهم دون سطوحي

وذراهم في عيوني عتباتْ

ها أنا أرتق روحي بقروحي

.....

حاصروني يا ابنتي من كل صوبٍ

بنيوبٍ وخطومٍ ومناسمْ

وأنا الأعزل إلا من شروخي

ثابتٌ في الريح، كالعهد وقائمْ

قابضُ الف على جمرة روحي

وهي في كيفي تغني

لا تساوم

المرأة السكن هي الجدة التي طالما أتحفتنا بقصصها وكم هرعنا إليها مختبئين من صراخ الأمهات، عندما تثير شقاوتنا الضجة في المكان، الجدة رمز اللُّمة والجمعة، حولها يتحلق الأبناء والأحفاد، فهل ستترك لنا الحرب جدتنا وجلسة السمر بين البيادر في السهول؟ يقول الشاعر[2]:

أين السهول وجدتي تختال في كلماتها قصص السنابلِ والبيادر

---

[1] لأجلك غزة ، (آدم فتحي: لا تساوم)، ص 54، ص57.

[2] السابق، (محمد ابراهيم الحريري؛ ركام غزة)، ص418، ص419.

والعرائس والغناء؟

وأين يا كنت.. الرغيفَ ولقمةً عذراءْ

لم يلمس أصابعها الشراءْ؟؟

كُنّا إلى وديان غزة نمتطي أجياد أغنية ونسرحها بناي

لم يفارقها الإباء

نعدو وتأخذنا الحكاية حيث شاء أو توفر من سماء

وفجأة طار الحمام ولم تقم من بعد أبراج الغرام

المرأة السكن، هي الزوجة التي هي خير متاع هذه الدنيا تضم زوجها في كنفها، فينهل من نبع صاف حتى يرتوي، وعند استشهاده تظل السياج الواقي لأبنائه، حتى يعيشوا لا على ذكراه، بل كأنه حاضر بينهم لم يغب ولكنها في كثير من الأحيان تشفق على أبنائها أن يكسرهم الحزن فتخفي صور والدهم رأفة ورحمة منها، فيتساءل الابن.. هل قست يوما أمي؟؟ ويحدث أباه الشهيد؛ بأن معطرة الجدائل تخفي عن عيوني الصور حتى لا أرى وجه القمر. تقول الشاعرة[1]:

ماما

لماذا تقفلين الباب في وجه الصور

.....

أتكون أمي من قست يوماً

وساعدت القدر !!

تلك الحبيبة لم تكن يوماً كتمثالٍ

يُصفِّد فرحةً

تسري إلى قلبي فتفترش الحُجَرْ

أ رأيت يا بابا معطرة الجدائل

كيف تخفي عن عيوني هذه

الصورة

---

[1] لأجلك غزة، (سماح المزين: لوحدة الإعدام انتقاء)، ص611.

حتى لا أرى وجه القمرْ

لقد امتزجت عواطف المرأة الفلسطينية بقضيتها فهي عندما تكون أما رؤوماً وزوجة حانية، فهي تناضل، "الأمومة في فلسطين نضال، ولكن النضال مهما كان قد لا يرتقي إلى مستوى الأمومة!

إنها عبء الحياة الملقى على كاهل المرأة، وقد ناطح الرجل صخرة الواقع العنيدة، فعاد إليها يلقي بهمومه وأحزانه في حجرها"[1].

والمرأة السكن هي الحبيبة التي أدمت القلوب بعشقها، وما تنفك أن تكون أملاً تهفو إليه الروح، ولكن في غزة تعكَّر صفوُ الحياة، حيث لا ليلى التي جُنَّ بها قيس، إن ليلى في غزة، تقلِّب الطرف متسائلة من يطعم طفلاً جريحاً وهي تتوق للأمجاد تحضنها، تقول أغيد الطباع[2]:

قالوا رويدك ما..ذا الشعر تكتبه ... لا فيه ليلى ولا حبٌّ تؤججهُ
من أدمن الآه عاش العمر في كدرٍ ... فارفق بدهرك وانسَ ما يكدرهُ
يا قوم عذراً فأفراحي مهاجرةٌ ... والشعر يعكس دهري لا يُجمِّلهُ
ليلى بغزة تدعو وهي ضامرةٌ ... تقلبُ الطرف مَنْ للطفل يطعمهُ
ليلى تتوق لأمجاد تحصنها ... كيما تعود لصدر البيت تعمرهُ

وتظل ابنة غزة رمزاً للطهر والبراءة، ذات وجه موشي بالسنا، إنها طائر الفردوس بألحانه الموجعة، فعيناها يسافر نورها عبر الآفاق، وشفتاها تقطر بالأحلام عزة، تقول جميلة الرجوي[3]:

يا ذلك الوجه الموشى بالسنا ... يا كاشفاً حجم المآسي بيننا
يا طائر الفردوس لحنك موجع ... أرسى جبال الحزن فوق عيوننا
تركوكِ يا طُهر الجمال وعطره ... تلقين في ليل الردى حمم الفنا
تركوكِ يا بدرَ البراءة وردةً ... في ساحة الإعدام تحصدُ عجزنا
....
عيناكِ في الآفاق سافر نورها ... لمدائن الأطلال تبني صرحنا
شفتاكِ بالأحلام تقطر عزةً ... تمحو من الأيام صفحة بؤسنا

---

[1] فايز أبو شمالة، السجن في الشعر الفلسطيني، ص277.

[2] لأجلك غزة (قصيدة، ما..ذا؟)، ص598.

[3] السابق، قصيدة: يا بنت غزة، ص601، ص602.

الفصل الرابع

الدراسة الفنية

- المبحث الأول: الظواهر اللغوية
- المبحث الثاني: الصورة الشعرية

المبحث الأول: الظواهر اللغوية

خصائص الألفاظ

اللغة ألفاظ يعبر بها الناس عن احتياجاتهم ويتواصلون بها مع الآخرين، واللغة العربية كغيرها من اللغات، بل أشرفها وأجلها قدراً؛ لأنها لغة القرآن الكريم، وبه خلدت، فقد نزل معجزاً بألفاظه وبيانه، متحدياً أهل البلاغة والفصاحة، "واللفظ هو وعاء المعنى، ويجب أن يكون سمحاً، سهل مخارج الحروف من مواضعها، يمتاز برونق الفصاحة، ويخلو من البشاعة"[1].

وما الشعر إلا بناء، لبناته الأساسية الألفاظ الناهضة المنظومة كحبات اللؤلؤ في العقد المتماسك، "وعلى الشعراء الأفذاذ يقع عبء تجديد دم اللغة، وإمدادها بالحيوية"[2].

فهي تتولد من فكر الشاعر؛ لتخرج في أبهى صورها إلى أذهان المتلقين التي لا حدود لها؛ لأن "اللغة ليست رداء للفكر أو قالباً له أو إناء يحتويه، إنما هي الفكر نفسه مجسداً في ألفاظ لغوية"[3].

وليس من السهل أن نحصر معاني الألفاظ في الشعر أو نضع لها قالباً خاضعاً لتحليلنا، "فاللغة في الشعر تعتمد على شفاهية حدسية، وعلى لمعان خاطف يتموج خلف الكلمات ومن هنا ندرك أن القصيدة لا تحتمل معنى محدداً بل إن معانيها تتخلق في السياق العام"[4].

والشاعر صائغ حاذق يلائم اللفظ بالمعنى الذي سيقت لأجله ويوازن بينهما بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر، "وللمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها وتقبح في غيرها.. وكم من جوهرة نفسية قد شينت بقرينة لها بعيدة منها"[5].

لقد شاكلت الألفاظ المعاني والأحاسيس التي عايشها الفلسطيني عامة، إبان حرب الفرقان، وأحاسيس المرأة وما اشتعل في صدرها من آلام ومعاناة، وطفت على سطوح الأشعار ألفاظ عبرت عن هذه المعاناة وتلك الأحاسيس، ذلك ما نراه في قول الشاعر[6]:

---

(1) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص74.

(2) محمد حماسة عبد اللطيف، الجملة في الشعر العربي، مكتبة الخانجي القاهرة، ط/1: 1410هـ - 1990، ص22.

(3) رجاء عيد، لغة الشعر، (قراءة في الشعر الحديث)، الناشر: منشأة المعارف، الإسكندرية، 1985م، ص98.

(4) ابن الأثير، المثل السائر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القاهرة، عام 1992م، ص116.

(5) ابن طباطبا، عيار الشعر، تحقيق: محمد زغلول سلام، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، لبنان: 1988م، ص20.

(6) ديوان الفرقان، أحمد مفلح، قصيدة غزة تنتصر على المحرقة، ص56.

أمـــا لجـــراح غـــزة مـــن طبيـــب أمـــا لحصـــارها ذا مـــن مجيـــبِ؟
اذا أبصـــــرتها أبصـــــرت وجهـــا تلاشـــى بـــين ألســـنة اللهيـــبِ
قـــذائف لا نظيـــر لهـــا تهـــاوت لمئذنـــة تـــنخ علـــى الكثيـــبِ
لأم فارقـــت ولهـــا رضـــيع تشـــبث بـــالإزار ويـــالجيوبِ
لأيـــام خلـــت مـــا زال حيـــاً يلـــوب أســـىً علـــى الصـــدر الحبيـــبِ

لقد تشكل النص من ألفاظ تفوح رائحة الموت مثل: جراح – ألسنة اللهيب – قذائف – أم فارقت – يلوب أسى.

أما الشاعر حسن التميمي فيتخير من الألفاظ ما يعبر عن هول وقع المأساة على قلب الأم، يقول الشاعر[1]:

جثث مفحمة هنا

جثث مقطعة هناك،،

جرحى بلا أيد هنا

جرحى مشوهة هناك،،

أم تضم صغارها القتلى هنا

وأب يفتش في ركام البيت

عن أبنائه فلعل بعضهم

على قيد الحياة فها له

أن الجميع بلا حراك

إنها الحرب ورائحتها النتنة، وصورتها القبيحة، نلمسها في لفظة (جثث) بالجمع لتدل على كثرة القتلى، ومفحمة ومقطعة ومشوهة ولفظة: جرحى توحي بالكثرة فكأن أنينهم يؤز مسامعنا، ولم يغب مشهد المرأة التي استشهد أطفالها ومع ذلك هي تضمهم كأنهم أحياء لم يفارقوا الحياة.

ويأخذ الشاعر اتجاهاً آخر للتعبير عن أهوال الحرب وآثارها عن الأم المفجوعة بأعز ما

---

[1] لأجلك غزة، قصيدة: غزة الكرامة والعزة، حسن التميمي، ص136.

لديها، حيث ينثر الألفاظ المشحونة بمعاني الصبر والصمود، ذلك ما نراه في قوله [1]:

فتلـــك أم تهـــاوى ســـقف منزلهـــا تحتـــه نـــام مرجـــوٌّ ومحبـــوبُ

تفـــر مـــن حولهـــا النيـــران مفزعـــة كأنمـــا الغيـــث فـــوق النـــار مســـكوبُ

تمـــر عاتيـــة والكبـــر تـــاه بهـــا وحولهـــا جـــدل الشـــبان والشـــيبُ

وأشـــرعت ســـاعداً قـــال الصـــمود لـــه بـــك اقتـــداري وعزمـــي منـــك مجلـــوبُ

أما الألفاظ التي توحي بالدمار والهلاك مثل: المجازر – المذابح – الأهوال – المآسي – الفظائع. في جمع تكسير كما تتكسر المبادئ الإنسانية على أيدي الصهاينة وهم يمارسون همجيتهم ويعيثون في الأرض فساداً، يقول الشاعر[2]:

أهـــل المجـــازر والمـــذابح مـــذ أتـــوا فـــي الأرض عـــاثوا أشـــنع الأهـــوالِ

....

رغـــم المآســـي والفظـــائع أبشـــري يـــا ابنتـــي بمواهـــب المتعـــالِ

كذلك تغوي الشعراء بعض الألفاظ التي تعبر عن أسلحة الدمار التي استخدمتها إسرائيل في حربها على غزة، ويضحي بعضها عتبات نصية تتربع على صدر القصيد، من ذلك قصيدة "عرس على جمر الفسفور" و "نقوش على قذيفة فسفورية" لخضر أبو جحجوح و "تكفور وقذائف الفسفور" لمحمود الرنتيسي و"ديوان غزة.. من الفسفور إلى الزاجل" لعيسى الردمي، وتنتشر الدلالات التي تعبر عن آثار هذه الأسلحة، وها هو الشاعر يقول[3]:

والفسفور على عينيَّ غزة

يسكب موتا في عظم السرو المتفحم

عادت تحمل ولديها بيدها

جذوة فسفور متفحم

وهو يقول أيضاً[4]:

لمن أهدي دموعك يا دلال؟!

---

[1] ديوان الفرقان، قصيدة أطفال غزة، عبد الرحمن الأحدب، ص72.

[2] السابق، قصيدة طيبي دلال، صبري الصبري، ص245.

[3] لأجلك غزة، خضر أبو جحجوح، قصيدة: نقوش على قذيفة فسفورية، ص164.

[4] السابق، خضر أبو جحجوح، قصيدة: لآلئ العذاب، ص162 .

وفي هدبيك فسفور

وأشلاء

وفي كفيك طلقات

ورعب في شظايا الموت ينثال

ويقول آخر[1]:

إذا أبصـــــرتها أبصـــــرت وجهـــــا تلاشـــــي بـــــين ألســـــنة اللهيـــــب

قـــــذائف لا نظيـــــر لهـــــا تهـــــاوت مـــــن الفســـــفور فـــــي لـــــون الحليـــــب

وهو يصور الحزن كؤوساً يرتشفها الناس في الصباح وفي المساء، والجماجم تتبخر في لهيب الفسفور، إذ يقول[2]:

في غزة يرتشفون كؤوس الحزن صباح مساء

وجماجمهم تتبخر في لهب الفسفور

ومن الآثار الناجمة عن الحرب معاني الألم التي تحملها بعض الألفاظ مثل: "دمعتها – دمع – دماء" فيقول في قصيدة أخرى[3]:

في زمن الفسفور

هل تمسح دمعتها؟

عيناها نهرا دمعٍ ودماء

وعلى الخدين أخاديد

وكانت لغة النقمة والعتب معاً على الأمة العربية بارزة في حرب غزة فهي أمةٌ لا يُعوَّل عليها كثيراً فأين سالف مجدها ووحدتها، ومن الألفاظ التي تدل على وشائج القرابة التي توجب الهبة لنجدة غزة (عم – النسب – وفاء – عصارة – أهل)، يقول الشاعر[4]:

---

[1] ديوان الفرقان، أحمد حسين مفلح، قصيدة: غزة تنتصر على المحرقة، ص56.

[2] لأجلك غزة، خضر أبو جحجوح، قصيدة (عرس على جمر الفسفور)، ص160.

[3] السابق، قصيدة نقوش على قذيفة فسفورية، ص170.

[4] ديوان الفرقان، قصيدة: أيا عمّ، خالد الطبلاوي، ص619

أنا يا عمُّ إن صحّت فنون حسابكم طفلُ

ولكني بحبل الله رغم الجرح متصلُ

رضعت عصارة الإيمان من أمي

فليس بصدرها شيءٌ

سوى الإيمان ينتهلُ

قالت لي وفاء أنكم أهلُ

ورغم الحزن والأسى لم تخل أشعار حرب غزة –خاصة ما يتصل بالمرأة– من ألفاظ تشع بالأمل والنصر وزوال الاحتلال وانقشاعه، فقد وعد الشاعر الطفلة "دلال" بعودة دارها مشيَّدَة حيث الحديقة الغناء مستخدماً (مشيدا– حديقة – مخضرة – ظلال – ثمار – الندى – استقلال – تعمريه – تنجبي)، إذ يقول[1]:

سيعود بيتك يا دلال مشيداً بحديقة مخضرة بظلالِ

فيها ثمار التين يثمر بالندى والنخل والزيتون باستقلالِ

لتعمريه على الدوام وتنجبي أطفال طهر كلهم كرجالِ

إنها الآمال والأحلام تبرق، ويدون الأبطال خطوط المجد لتمحق الظلم وتكسره فيضيء فجر الحرية وتدل على ذلك الألفاظ (الآمال – الأحلام – المجد – الضياء – فجر – المصباح – الأنوار).

كما جاء في قول الشاعر[2]:

أُحَدِثُهُمْ عن الآمالِ والأحلامِ نصنعها

وعن أبطالنا رسموا خطوط المجدِ من دمهم

وأُقسم أخوض الليل أمحقهُ وأكسرهُ

وآتي بالضياءِ هنا على عجلٍ

وفجرٍ يحمل المصباح والأنوار

---

[1] لأجلك غزة، صبري الصبري، قصيدة (طيبي دلال)، ص258.

[2] ديوان الفرقان، رفعت زيتون، قصيدة (قسم شعري)، ص367.

التراكيب أو الجمل:

لا ينظر الدارس إلى اللغة الشعرية من خلال كونها ألفاظاً وتراكيب مرصوصةً تراعي النسق اللغوي السليم كما تعارف عليه العرب القدماء أو كما حدد شروطه علماء النحو، بل ينظر الدارس إلى طاقات هذه اللغة الإبداعية، مكنوناتها الفكرية والنفسية التي تحقق للشاعر البوح برؤاه وأحاسيسه تجاه الواقع الذي يعيشه أو الذي يتمنى العيش فيه.

ولما كانت الألفاظ والجمل هي لبنات هذه اللغة؛ فإن المعاني التي تعبر عنها الألفاظ أو المفردات خارج التراكيب الشعري تختلف حتماً عنها في داخل التراكيب، وذلك لأن الشعر "في جوهره يقوم على إيجاد علاقات نحوية بين أشياء لا علاقة بينها في العرف الاستعمالي المألوف مما يترتب عليه انحراف دلالي في سياقٍ خاص يعمل بالضرورة على توليد دلالات جديدة مبتكرة"[1].

والألفاظ في داخل التركيب إذا عزلت عن باقي المفردات تكون قاصرة عن البوح بكل ما يريد الشاعر البوح به.

إن المفردة بكل مخزوناتها التعبيرية وطاقاتها الفكرية والايحائية لا تستطيع البوح إذا عزلت عن الجمل والتراكيب التي تشاركها حمل التجربة والرسالة التي يعبر عنها الشاعر.

وإذا كانت الباحثة استنطقت دلالة بعض المفردات في الصفحات السابقة، ووقفت على ما تختزنه تلك المفردات من أوجه المعاناة، ومشاعر الألم بهدف تمثيل الألفاظ الطافية في شعر حرب الفرقان، فإن الغاية في هذا المقام الوقوف على أنواع الجمل والتراكيب في هذا الشعر ومحاولة استنطاق دلالاتها ومخزوناتها النفسية.

الجملة الاسمية:

قسم النحاة الجملة الى اسمية وفعلية وميزوا من الناحية الشكلية بين الجملتين، فجعلوا الجملة الاسمية هي التي تبدأ باسم، والفعلية هي التي تبدأ بفعل، ولأن هذا المبحث يستهدف الدلالة ودورها في الأداء الشعري فلا حاجة بنا إلى مسايرة النحاة في النظر في بناء الجملة من الناحية الشكلية، وإنما الحاجة إلى تعريف الجملة بناءً على ما وضعت للتعبير عنه، فهنا نرى أن الجملة الاسمية وضعت في الأصل للدلالة على ثبوت الوصف لموصوفه، لأن الخبر في حقيقته وصف، فجملة "الهواء معتدل" –مثلاً– تفيد ثبوت صفة الاعتدال للهواء، بقطع النظر عن حدوث أو استمرار ودوام، لأنها تدل على المعنى من غير اختصاصٍ بزمان.

---

[1] محمد حماسة عبد اللطيف، ظواهر نحوية في الشعر الحر، طبعة مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م، ص17.

وقد تدل على الثبوت والاستمرار –أيضاً– إذا اكتنفتها قراءةٌ تدل على الاستمرار، فقول الله عز وجل في معرض المدح: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [1] وفي معرض الذم: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [2].

لقد عبر الشعراء بالجملة الاسمية عن مشاعرهم الثابتة تجاه غزة إبان حرب الفرقان، ودللوا على ثبات رؤاهم نحو أصالتها وعراقة صفاتها، من ذلك ما نراه في قول الشاعر[3]:

لنخيل غزة وحده جدلية الرؤيا.. ومعرفة

العدو من الصديق

لبرتقالها الكريمة.. برتقالة الشمس..

في العسل الجليل

سر ائتلاف السم في الدفلي

مع الورد الحنون

لمساء قهوتها.. الحضور

لي الأغاني تحت شرفتها.. جبال في البعيد

شجر.. ومفتاح الكتابة.. نور أمي

إن المرأة حاضرةٌ في أجواء هذه المعركة، فهي كما تجلت في الأنموذج السابق بأهم صفاتها: الحنان والنور الذي يضيء الدروب ويبعث الأمل في النفوس، تتجلى أيضاً في قول الشاعر[4]:

وغيدٌ تغرس الأمجاد للأمةْ

غراسٌ لابنة الأزورْ

جناها الموت للباغين قد أثمرْ

جناها أمة منحوتة من قدرة الأعلى

دم الفتيان حبر وثيقة كبرى

---

[1] الانفطار، آية 13.

[2] الانفطار، آية 14.

[3] ديوان الفرقان، قصيدة: معلقة غزة على أسوار القدس، خالد أبو خالد، ص606–607.

[4] السابق، قصيدة: صهلٌ وشلا، ابراهيم الفوزان، ص572.

وثيقة لعبة حبلى

وثيقة لحظة سكري

تتجلى بصفتها صانعة الصمود واستمرارية التصدي والنضال فصفة الثبات التي بدأ بها السطر الشعري تبعتها حركة واستمرارية انبعثت من الفعل المضارع في قول الشاعر: "وغيدٌ تغرس"، وكما هو معلوم فإن الجملة الاسمية التي تدل على الثبات والاستمرار إذا أتى خبرها جملة فعلية فإنها تدل على التجدد، وهذا ما ذهب إليه الشاعر في الأنموذج السابق.

وفي سياق الصمود الدائم، والهدف الراسخ الذي لا يتزعزع، واليقين الذي لا يعتوره الشك بحتمية الانتصار، تستخدم الشاعرة بهيجة إدلبي الجمل الاسمية؛ لتحقيق هذه الدلالات في قولها :[1]

أنـــا غـــزة وهـــذا دمـــي ووعيـــدي فـــدمي إلـــى ســـر الوجـــود وجـــودي
لـــي قبلـــة للنصـــر أســـعى نحوهـــا فتـــراب أرضـــي مـــن دمـــاء جـــدودي
أنـــا غـــزة وليشـــهد التـــاريخ لـــي أنـــي أحطـــم غاصـــبي وقيـــودي
وبـــأنني فجـــرٌ يعـــانق وعـــده بنزيـــف جـــرح مشـــرق وعنيـــدِ
هـــذي دمـــائي فاغســـلوا آثـــامكم لأُتِـــمَّ بالنصـــر الأكيـــد وعـــودي

وتبدأ الشاعرة جميلة الرجوي بوحها الشعري بضمير المتكلم (أنا) للتأكيد على اعتزازها وفخرها بصمودها الثابت بالرغم من أشكال المعاناة التي تكابدها غير آسفةٍ على عيشٍ بلا طوحٍ وإحساسٍ بالحرية، تقول: [2]

أنا المدعوة الخنساء في زمني

أنا المأزوم في وطني

فإن أبقى على سجني

فلا أسفٌ على عيشٍ

بلا حلمٌ وحرية

لقد استلهمت الشاعرة رمزاً من رموز التراث الأدبي اسم "الخنساء" لكي تختزل الحديث عن مرارة المعاناة والقدرة على التحمل، وكذلك تبدأ الشاعرة "بهيجة إدلبي" وقولها الشعري بضمير

---

[1] ديوان الفرقان، قصيدة أنا غزة هذا دمي، بهيجة مصري إدلبي، ص110 .

[2] السابق، قصيدة: قسمي وعهدي، ص280.

المتكلم "أنا" متماهيةً مع الوطن المستباح –كسابقتها– أو معبرة بلسانه عن الثبات والصمود في وجه المحتل وضرباته المميتة، وهي تحثُ الأمة العربية على نصرتها؛ لأنها منهم وهي حلمهم لو كانوا يعقلون، ذلك ما نراه في قولها:[1]

أنـــا أحتمـــي بـــدم الشـــهيد وطهـــره كونـــوا معـــي كـــي تنهلـــوا مـــن جـــودي
أنـــا مـــنكم لمّـــوا بقايـــا حلمكـــم وتمســـكوا بـــدمي وحبـــل وريـــدي
أنـــا حلمكـــم لا تقتلـــوه بغـــيِّكم كـــي لا أمـــوت بحلمـــي الموعـــودِ
هـــذي دمـــائي فاغســـلوا آثـــامكم لأتـــم بالنصـــر الأكيـــد وعـــودي

فالحب لغزة موصولٌ ثابتٌ بثبات وديمومة الجملة الاسمية والخجل دائمٌ من دموع الثكالى الذي لا ينضب بسبب الاحتلال، يقول الشاعر: [2]

فـــإن كـــان حبـــكِ نبـــع الحيـــاة فـــإني ودمـــع الثكـــالى خجـــولْ
....
ومـــا ذنـــب طفـــلٍ ســـليل الحـــروف وأنـــت الأغـــاني وشـــعري الهطـــولْ
فـــو الله إنـــي نشـــيدُ الشـــهيد وإنـــي أســـير ومـــاذا أقـــولْ؟
أقـــول أحبـــكِ زهـــر الوجـــود وأنـــت الربيـــع الـــذي ســـيطولْ
ومـــا ســـحر حبـــي إذا كـــان جهـــراً وأنـــت الرمـــوز وحبـــرٌ يجـــولْ

وستظل غزة كما كانت رغم ما تتجرعه من ظلم، وهي مدينة حالمة ككل المدن تحب الحياة، ف(غزة عروس)، و(حكاية فوق الرمال)، و(صبية كانت تفكر) وجملة الاستدراك (لكن غزة ذنبها) كل هذه الجمل الاسمية وردت في قول الشاعر[3]:

غزة عروس الكرنفال

وحكاية فوق الرمال

وصبية كانت تفكر كيف تبدأ يومها

ومدينة كانت ككل مدينة تهوى الحياة

لكن غزة ذنبها

---

[1] ديوان الفرقان، أنا غزة هذا دمي، ص110.

[2] السابق، قصيدة غزة البتول، محمد كمال السخيري، ص250.

[3] السابق، قصيدة: دمعة على رمال غزة، وليد دويكات، ص411.

وجه الهوية

وذات المعنى يتكرر فغزة عروس في ذرا المجد، وتتابع الجمل الاسمية: مثل عروس في ذرا العلياء و الدما حناء، والجملة الاسمية المؤكدة (إن المهر)، إذ يقول الشاعر[1]:

هنا غزة..

هي الحسناءُ في ألقٍ..

عروسُ في ذرا العلياءْ..

عروس والدما حناءْ..

دما الشهداءْ..

وإن المهر عاجلة جليل فداءْ..

وإن المهر آجله سيول دماءْ..

ومن خلال الجمل الأسمية وثباتها عبر الشاعر عن ثبات الفلسطينيين في أرضهم فهم الزيتون المنغرسة جذوره في أعماق التاريخ مثل: نحن الزيتون – والغازون هم العرقد، يقول الشاعر: [2]

يا غزة

نحن الزيتون الضارب في أعماق

الأرض جذوراً في التاريخ

والغازون هم العرقد

.....

وأذان بلال ما زال صداه

منذ الفتح العمري إلى يوم البعث

صداه يتردد

---

[1] لأجلك غزة، قصيدة: هنا غزة، رأفت عبيد، ص179-180.

[2] السابق، قصيدة: رسائل إلى غزة، مأمون جرار، ص396.

الجملة الفعلية:

تبدأ الجملة الفعلية بالفعل الذي يمثل صورة من صور التعبير عن الحركة، وهذا يتصل بما وضعت له الجملة الفعلية التي تفيد الحدوث والتجدد في زمنٍ معين، وقد تفيد استمرار الحدوث والتجدد إذا كان الفعل مضارعاً.

وقد استثمر الشعراء دلالات الجملة الفعلية لتصوير مشاهد الحرب على غزة، وإشراك المتلقي في تتبع مشاهد القصف الصهيوني، وما يخلفه من دمارٍ ودماء، وكذلك للبوح بما يعتمل في صدورهم إزاء غطرسة الباغي الصهيوني، وصمت المتخاذل العربي.

ان اقتران الفعل بالزمن دفع الشعراء الذين كتبوا قصائدهم في أثناء الحرب لاستخدام الفعل المضارع للتعبير عن استمرار الهجمات على غزة، وتواصل العدوان دونما توقف، من ذلك ما نراه في قول الشاعر: [1]

تــوالى عليهــا النــارُ مــن كــل وجهــةٍ فمــــا زادهـــــا الإحـــــراقُ إلا تـــــذهُّبا

....

تقاتـــلُ بـــالجوعِ المظفَّـــرِ جوعهـــا ولا تلعـــنُ الأســـبابَ أمـــن تســـببا

تمـــدُّ يـــدها للجميـــع ســـخيةً لمـــن آثـــر الإقـــدام أو مـــن تنكبـــا

أما الشاعر صبحي ياسين فقد راوح بين أزمنة أفعال الحركة والحدوث والاستمرارية، والأزمنة الثلاثة، وذلك في قوله: [2]

ابـــداً لـــذكرك أدمعـــي تترقـــقُ وجـــوىً يفـــيضُ وخـــافقٌ يتحـــرقُ

قـــد جـــفَّ عـــودي وانطـــوت أوراقـــهُ مَـــنْ ذا الـــذي يحنـــو عليـــه ويشـــفقُ

هـــل مـــن ســـبيل كـــي أضـــمَّكِ لحظـــةً فلعـــل عـــودي قـــرب عـــودكِ يـــورقُ

....

ولقـــد بكيـــتُ علـــى ذراعـــك ســـاعةً كالطفـــل يُجهـــشُ بالـــدموع فيشـــهقُ

....

يـــا غربتـــي قـــولي لغـــزة إننـــي شـــوقاً إليهـــا مهجتـــي تتمـــزقُ

قـــولي لهـــا إن الغريـــب مضـــيَّعٌ مـــن صـــدره نهـــر المـــرارة يـــدفقُ

---

[1] ديوان الفرقان، قصيدة لغزة قلبي، إبراهيم محمد إبراهيم، ص70.

[2] السابق، قصيدة: يا غزة، صبحي ياسين، ص206.

ولغزة تاريخ طويل من الصراخ والثكل والأشلاء، وبالجملة الفعلية رسم لنا الشاعر صورة المرأة الفلسطينية وهي تفترش الرمال وتنخي الرجال ولم تجد من يساعدها، فتكون النتيجة أن تكف عن سؤالهم والنهاية معروفة ومحققة يقين لا يحتمل الشك باستخدام قد مع الفعل الماضي: (قد مات) وتكرارها، يقول الشاعر[1]:

وصراخ ثكلى تحمل الأشلاءَ

نازفةً

وتفترش الرمال

تنحني الرجال على تخوم حدودها

ولم تجد خلف المعابر

من رجال

فتكف عن ذل السؤال

قد مات في فمها السؤال

قد مات في فهما السؤال

وبالجملة الفعلية يشرح لنا الشاعر كيف عم البلاء وازداد البغي ونسفت المنازل وأوقدت نار الحرب. يقول [2]:

عـــمّ الـــبلاءُ وســـاءت الأحـــوال وازداد بغـــي المفســـدين وطـــالوا
هـــدموا المنـــازل والحصـــون وأوقـــدوا للحـــرب نـــاراً مالهـــا أمثـــال
نســـفوا المســـاجد والشـــيوخ وحطمـــوا رأس النســـاء ومـــزق الأنجـــال
ذبحـــوا الرجـــال ويســـتغيث نســـاؤهم ودمـــاؤهم فـــوق الحطـــام تـــلال

وبالجملة الفعلية يسمعنا الشاعر آهات الثكالى فهي لغة يفقهها كل البشر فجاءوا لنصرة غزة، يقول الشاعر[3]:

أســـمعوني فـــإن آه الثكـــالى لا أراهـــا تحتـــاج للترجمـــان

---

[1] ديوان الفرقان ، قصيدة: رأيت الصبح في غزة، محمد حديفي، ص444.

[2] السابق، قصيدة: صبراً آل غزة، عمرو سعد عواد، ص243.

[3] السابق، قصيدة غزة الأبية، غالب محمد أصلان، ص326.

فهمتهـــا كـــل اللغـــات وجـــاءت قبـــل أهلـــي لنصـــرة الفرقـــان

وبالجملة الفعلية المتتالية يتحدث الشاعر عن حرب غزة وحصارها وما نجم عنه من جوع وعطش مستمر، مثل: ينهشك الجوع – تنوين صيام النفل – يقهرك العطش – تروين العطش – تعلين الصرخة، نجد ذلك في قول الشاعر[1]:

ينهشك الجوع، فتنوين صيام النفل

ولا تستجدين رغيفا

يقهرك العطش، فتروين العطش

بدمع العين

تعلين الصرخة

فيرد صداها: نحن معك

التقديم والتأخير:

التقديم والتأخير تكنيك لغوي استقطب أثره انتباه البلاغيين من ناحية والنجاة من ناحية ثانية، كما حظي بعناية كبيرة منهم، إلا أن هناك فرقاً واضحاً بين موقف كل منهما إزاء هذه الظاهرة. النحاة اهتموا بترتيب الجمل الثابت منها والمتغير، وما يجوز ان يتقدم على غيره ومالا يجوز، يعني رصد الظواهر فقط. أما البلاغيون فقد اهتموا بظاهرة التقديم والتأخير ليكشفوا قيمتها الدلالية والفنية في العمل الأدبي.

وسواء أكانت الجملة اسمية أم فعلية فقد قام الشعراء بتقديم وتأخير في بنائها؛ وهذا "لا يرد اعتباطا في نظم الكلام وتأليفه؛ إنما تكون عملاً مقصوداً، يقتضيه غرض بلاغي أو داعٍ من دواعيها"[2].

ومن أهم الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير[3]، التخصيص، وتقوية الحكم، وتقريره في نفس السامع، والعناية والاهتمام، وتقديم الكثير على ما هو دونه، والتدرج في العدد. قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ

---

[1] لأجلك غزة، قصيدة: رسائل إلى غزة، مأمون جرار، ص394.

[2] عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1974م، ص149.

[3] للاستزادة، ينظر: محمد علوان ونعمان علوان، من بلاغة القرآن الكريم، مطبعة الرنتيسي للنشر والتوزيع، ط/4: 1430هـ – 2009م، ص79.

﴿نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [1].

ومما جاء في شعر الفرقان عن المرأة، تقديم الجار والمجرور على المفعول به في قوله: (أريد لغزة شعراً)، وكذا تقديم شبه الجملة الجار والمجرور أيضاً على الاسم المعطوف كما في "يعيد البنين إلى أمهم والبنات"، وكذا تقديم الخبر شبه الجملة على المبتدأ المتصل بعائد يعود على بعض الخبر كما في " لغزة أطفالها" وتقديم المفعول به (خيوطَ) على الفاعل وهو "البوارجُ والطائرات" ذلك ما نراه في قول الشاعر[2]:

أريد لغزة شعراً

يعيد البنين إلى أمها والبناتْ

لغزة أطفالها

.....

لا لن تميل خيوط ردائي البوارج والطائراتْ

أنا من تُعِّدل بوصلة الأمة المائلةْ

لغزة أطفالها

وكذا تقديم الخبر للتخصيص مثل (لهم عدن من الغفار مأوى)، في قول الشاعر[3]:

لهم عدنٌ من الغفار مأوىً بجنات الخلود مع الأمين

وكذا تقديم غزة لمكانتها وأهميتها على الفاعل (أرملة) في قوله:

لم تبك – في غزة – أرملة، وكذلك تقديم "في أمتي" على معتصم وشبه الجملة "فينا" على "فتى" وذلك للتقدير، أليس في امتى العصماء معتصم كما في قول الشاعر[4]:

لـــم تبـــكِ فـــي غـــزةَ العصـــماء أرملـــةٌ ولا تضـــــرَّع طفـــــلٌ بـــــين أحضـــــاني

هـــــل للطفولـــــة إلا أن تهيـــــب بهـــــم فمـــا لأمثـــالهم فـــي الكـــون مـــن ثـــاني

أعـــــزةٌ خفقـــــتْ بـــــالعزم رأيـــــتهمْ رُغْـــــمَ الجـــــراح ولا تشـــــكو لإنســـــانِ

---

[1] سورة الفاتحة، آية 4.

[2] ديوان الفرقان، قصيدة: ديوان غزة.. من الفسفور إلى الزاجل، عيسى الرومي، ص416.

[3] السابق، قصيدة بشائر النصر الغزي، جميل الكنعاني، 314.

[4] السابق، قصيدة: غزة الأبية، غالب محمد أصلان، ص326.

ألـــيس فـــي أمتـــي العصـــماء معتصـــمٌ أم لـــيس فينـــا فتـــىً مـــن آل مـــروانِ

ومن تقديم شبه الجملة الظرفية (من حولها) لتخاذل الأمة العربية ودورها السلبي في الانقسام و تفكك أواصر الشعوب، يقول الشاعر[1]:

الله أكبـــر كـــم ســـيفٍ يخاصـــرها وكيـــف مـــن حولهـــا العربـــان تنقســـمُ

وكيـــف يبكـــون لا جـــرد يصـــدقهم لكـــنَّ غـــزةَ تـــرثيهم وتبتســـمُ

ومن تقديم المفعول به على الفاعل وذلك لإظهار عظم المفعول به وهو (طهر عذرتها) على الفاعل وهو (عديمو الأصل)، قول الشاعر[2]:

وهـــــذي غـــــزة العـــــذرا ء تـــــدفع مـــــن أذى جُنـــــبِ

أيهتـــــكُ طُهْـــــرَ عـــــذرتها عـــــديمو الأصـــــلِ والنســـــبِ؟

وتقديم المفعول به (مجدَ العرب) لإبراز أهمية هذا الهدف السامي وتخصيصه دون سواه، الذي تحرص الأمهات على إذكائه في النفوس ما يحمل قول الشاعر[3]:

فلسطينيةٌ أمي وربَّت

وبالإسلام قد شمخت وعلَّت

ومجد العرب للأبناء عَذَّت

ومن تقديم شبه الجملة الجار والمجرور وهو خبر مقدم على المبتدأ، لتخصيص حب غزة المتميز الذي يشعر به الشاعر، ولا يشبهه أحد في ذلك، تقديم (لي) على (شرعة) وذلك في قوله[4]:

لـــي شـــرعةٌ فـــي الحـــبِّ لـــيس يشـــبهها شـــيءٌ تخـــالف حتـــى شـــيمة العـــربِ

ومثلها تقديم (لهم) على المبتدأ (حياء) في قول الشاعر[5]:

وصـــــوتُ الحـــــق وضَّـــــاحٌ مبـــــينٌ لمـــــن لهـــــم إذا ســـــمعوا حيـــــاءُ

---

[1] ديوان الفرقان ، قصيدة: غزة تكللها النار، يوسف أبو سالم، ص308.

[2] السابق، قصيدة: ألا يا قادة العرب، عبد السلام كامل عبد السلام، ص78.

[3] السابق، قصيدة: دماء العزة في غزة، لطفي منصور، ص457.

[4] لأجلك غزة، قصيدة: غزة إلى أين، يوسف أبو عواد، ص590.

[5] ديوان الفرقان، قصيدة: بغزة عزة الإسلام ترمى، حسن عزيز بوشو، ص44.

ومنه أيضاً تقديم (حولي) على (متسع) لإحكام الحصار من حول أهل غزة رغم اتساع الكون وذلك في قوله[1]:

تضـــيق بـــي الـــدنا فـــي ضـــيق أمـــري وحـــــولي الكـــــونُ متســـــعٌ رحيـــــبُ

التكرار:

هو الإلحاح على معنى يراد توضيحه وإبرازه، "وكرر الشيء أعاده مرة بعد مرة، وكررت عليه الحديث إذا رددته عليه"[2].

ومما يدل على شرف منزلته، أنه من الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في غير موضع، قال تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [3].

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [4]، ومن فوائده الزيادة في كل شيء كالزيادة في إظهار التشويق أو التحسر أو التنبيه أو التهويل.

وللتكرار في الشعر فوائد معنوية؛ "إذ أن إعادة ألفاظ بعينها في بنية القصيدة، يدل على أهمية ما تتضمنه تلك الألفاظ من دلالات"[5].

وللتكرار أيضاً أهمية موسيقية في الشعر، "وكيف لا يكون هكذا؟ والقصيدة قائمة في الأصل على تكرار تفعيلة واحدة من بدايتها وحتى النهاية"[6]

والتكرار من الأساليب التي اعتمد عليها الشعراء في الشعر الذي يمثل المرأة في حرب الفرقان؛ وذلك لما كانت عليه الحرب من زيادة في الإرهاب وزيادة في الدماء مما لا تطيقه النفس

---

[1] ديوان الفرقان ، قصيدة: للقاصيات ذيب، عبد الرحمن أقرع، ص54.

[2] أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، ط/2: 14 ربيع ثاني، 1414هـ، بيروت، لبنان، ص410/وينظر: حاتم الصكر، كتابة الذات، دراسات في وقائعية الشعر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط/1: 1994م، ص86.

[3] سورة القارعة، الآيات: 1-3.

[4] سورة التكاثر، الآيتان: 3-4.

[5] محمد أحمد ومولاي حفيظ بابوي وبشرى عليطي، البنية الإيقاعية في شعر عز الدين المناصرة، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، ط/1: 1998م، ص56.

[6] فهد ناصر عاشور، التكرار في شعر محمود درويش، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط/1: 2004، ص30.

البشرية نجده من ذلك ما في تكرار حرف الجر (اللام) وهو حرف انفجاري مجهور للدلالة على زيادة الغضب، إذ يقول الشاعر[1]:

قســـماً لمســـرى (أحمـــد) يـــا قدســـنا قســـــماً لأرضٍ تســـــتغيث وتجـــــأرُ
للميـــــت المـــــذبوح يســـــلخ جلـــــده للعـــــين تفقـــــأ بالعظـــــام تكســـــرُ
للشـــيخ يســـحل فـــي الشـــوارع ضـــارعاُ لـــــدم الصـــــبايا صـــــارخا يتفجـــــرُ

ومنه تكرار الحرف "رُبَّ" في قول الشاعر [2]:

تعلَّم فَرُبَّ غدٍ جاء أظلم

تعلَّم فَرُبَّ غدٍ كان علقم

ورُبَّ صديق يصير عدواً

ورُبَ أخٍ في حصارك أحكم

فتكرار الشاعر حرف "رُبَّ" يدلل على حيرته، وهو بتكراره يفتح باب الاحتمالات واسعاً لتكثيف الدلالات التي لا يستطيع البوح بها لكثرتها.

أما تكرار (الاسم) فقد تكررت كلمة (عذراً) للإظهار الزيادة في الأسف والعجز عن مساعدة أهل غزة ونساءها لإظهار الألم الممزوج بالحسرة تقول الشاعرة[3]:

عـــذراً دلال إن فقـــدت الأهـــل والـــد ار الجميلـــــة أو غـــــدوتي كالشـــــريدْ
عـــذراً لكـــل طفولـــة قـــد عُـــذِّبت أو حـــرّةٍ قتلـــوا لهـــا طفـــلا وحيـــدْ
عـــذراً فقـــد غـــاب النفيـــر وعزّنـــا طلـــب الجهـــاد أو انتســـابٌ للأســـودْ

تكرار الفعل:

ومنه ما جاء من تكرار الفعل الماضي المتصل بالضمير (ناديتها) أربع مرات في أربعة أبيات متتالية، والحديث عن غزة الفتاة الجريحة، أثناء الحرب وذلك لإظهار الزيادة في التحسر لما

---

[1] ديوان الفرقان، قصيدة (قسما)، للشاعر: صبحي ياسين، ص152.

[2] لأجلك غزة، للشاعر محمد عبدالمطلب جاد، ص467 .

[3] السابق، قصيدة (آهات غزة)، شيماء الحداد، ص617.

يحدثه التكرار: من جرس؛ "إذ أن تكرار الفعل أو الحرف يترك إيقاعاً موسيقياً جميلاً، فضلا عن تأثيره المضموني في نفس المتلقي، فاللغة طاقة تكمنُ فيها المشاعر والأفكار معاً"[1].

قال الشاعر[2]:

ناديتهـــا والـــريحُ تقصـــف زهرهـــا وغصـــونها تحـــت العواصـــف تُسْـــحقُ
ناديتهـــا والجـــرح ينـــزف عـــزةٌ بـــدمٍ يســـيل وعبـــرة تترقـــرقُ
ناديتهـــا والحـــزن يغشـــى صـــفحتي وجـــوانحي بلظـــى الأســـى تتحـــرقُ
ناديتهـــا والوجـــد يمـــلأ خـــافقي ودمـــي بحـــب حماتهـــا يتـــدفقُ

يكرر الشاعل الفعل (تخجل) بصورته المستقبلية أو الحاضرة ثلاث مرات في مساحة شعرية لا تتجاوز ثلاثة أبيات شعرية، وهذا التكرار المكثف لدال بعينة (تخجل) مقصود بإظهار الزيادة في التوبيخ للسكوت العربية تجاه الإبادة والقتل المتكرر التي يواجهها أصحاب الأرض الأصليين من الأعداء، حيث امتهان كرامة المرأة والتطاول على عرضها، يقول[3]:

ألا تخجـــلْ ! و أرضـــك فـــي يـــديهم يـــدوس عفافهـــا أحفادهـــا قـــردِ
ألا تخجـــلْ! وأنـــت تـــرى يـــديهم علـــى خـــد النســـاء وكـــل خـــدِ
ألا تخجـــلْ! وعرضـــك بـــات وقفـــاً ومرهونـــاً علـــى غضـــبٍ بجـــدِ

تكرار الجملة:

وقد تكرر السطر الشعري وذلك للتركيز على المعنى، وتحقيق ترابط بين الفكرة وباقي النص الشعري وكذا ترابط نفسي لدي القارئ بالموضوع المطروح، وأهمية المكرر حيث غزة تحترق بيد العدو كالنساء و الأرامل، يقول الشاعر[4]:

النار تحرقهم هناكْ

النار تحرقهم هناكْ

---

[1] محمود درابسة، تشكيل المعنى الشعري، قراءة نقدية في الشعر العربي، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ط/1: 1431هـ – 2010م، دار جرير للنشر والتوزيع، ص27.

[2] لأجلك غزة، القصيدة: بدون عنوان، تامر أحمد زكارنة، ص95.

[3] السابق، قصيدة: متى تغضب؟، لواسع السقاف، ص332.

[4] ديوان الفرقان، قصيدة: احترقي غزة، حسين مذكور، ص408.

النار تحرقهم هناكْ

آهٍ وآهٍ ألف آهٍ

غزة احترقي

.....

كالنساءْ

تيتمي.. كوني الأرامل

في البيوت

إن التكرار هنا ليس من قبيل التنغيم الموسيقي المحض، بل جاء نابضاً بإحساس الشاعر وعواطفه يريد أن يؤكد احتراق غزة، فارتفع صوته بما يبرهن على احتراق غزة، فكرر جملة "النار تحرقهم هناك" في ثلاثة أسطر شعرية متوالية، مضيفاً لها ملمحاً من ملامح الأدب والحسرة والتأوه. إن تكرار الجملة "النار تحرقهم هناك" لا يكتسب أهمية من القيمة العددية فحسب وإنما من ارتباطه بالحالة الشعورية المسيطرة على الصياغة أيضاً.

تكرار شطر من البيت وذلك للتركيز على الفكرة ولفت انتباه القارئ إلى المشهد الذي يُدمي قلب الشاعر، غزة فتاة تصرخ وهو يناشدها بأن تتوقف لأن أمر الأمة محيِّر مربك وهذا يجعلها أكثر حذراً وحيطة لما هو أت، وزيادة على ذلك قد كرر الشاعر الشطر الأول ثلاث مرات والبيت كاملاً مرتين، وفي ذات النص كرر الشاعر كلمة (بشراك) ثلاث مرات في قوله[1]:

لا تصـــرخي شـــأن الحمـــاة محيـــرٌ ... القـــوم قـــد ســـكروا وإن لـــم يســـكروا

بشـــراكِ قـــد طـــارت قـــذائف شـــجبهم ... بشـــــراكِ إن المـــــرتخين تـــــذمَّروا

بشـــراك قـــد عقـــدوا لأجلـــك قمـــة ... وهنـــاك مـــن شـــاي التريـــث أكثـــروا

لا تصـــرخي شـــأن الحمـــاة محيـــر ... إنـــي لأوشـــك بالعروبـــة أكفـــرُ

أبهـــؤلاء تـــراهنين وهـــل بهـــم ... إلا صـــموئيل الـــذي يتمضـــر؟؟

العـــولميُّ الفـــذُّ: معـــد يكـــربهم! ... والفقعســـي فـــذاك مايكـــل عنتـــرُ!

لا تصـــرخي أمـــر الحمـــاة محيِّـــرٌ ... القـــوم قـــد ســـكروا إن لـــم يســـكروا

---

[1] ديوان الفرقان ، قصيدة: غزة – حبيبتي، قتلك جعني أعلن الطلاق من أمتي، محمد طالب الاسدي، ص133-134.

لقد أفاد التكرار هنا تعميق الإحساس بالألم الذي تتحمله غزة، الذي يقابله اليأس من صحوة العرب، ولتعميق معاني السخرية نرى الشاعر يكرر "بشراك" ويقرنها مرة بالسخرية من تبلد أحاسيس العرب، وأخرى بالسخرية من اجتماعات القمم العربية وما يتمخض عنها، وقد يأتي الشاعر بالتكرار، "على طريقة البناء الدائري، بأن يعتمد الشاعر على جملة أو شطر يكرر بعد كل مرحلة أو بداية المقاطع أو نهايتها"[1]، كي تسير القصيدة على وتيرة واحدة من الإيقاع الذي يشد المتلقي ليعرف ما حدث في غزة من ضحايا ودمار، إذ يقول[2]:

غزةُ فتاةٌ حالمة

.....

هيا أفيقي يا صبيةُ وارفعي هذي الضفيرة

وكم الضحايا في القطاع!!!؟

يا حلمنا العربي

ارحل من دمي

ارحل من دمي

فالحلم ضاعْ

وكم الضحايا في القطاع!!!؟

وسفينة العرب التي

كنا انتظرناها هنا

قد مزقوا فيها الشراعْ

وكم الضحايا في القطاع!!!؟

---

[1] محمد اسماعيل عمار، صورة الحجر الفلسطيني في الشعر السعودي، مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط/1: 1424هـ – 2003م، ص269.

[2] الفرقان، قصيدة: دمعة على رمال غزة، وليد دويكات، ص411.

التناص:

إنه التلاحم والتشابك بين ما هو قديم والنص الحديث إذ يضفي المبدع على نصه لمسات من موروث التراث، باستخدام شيفرات يفهمها المتلقي ويفكها وهذا يثري النص ويجعله أكثر حيوية والتصاقاً بما سلف، "والتناص أحد المصطلحات الحداثية وهو سمة للمشهد الشعري المعاصر"[1].

ويحتاج هذا كله إلى إنسان واسع الأفق، عميق الفكر ذي حصيلة ثقافية مترامية الأطراف، و "قد يكون التناص قائماً على استخدام مفردات محددة تحيل القارئ إلى عصر معين وإلى حوادث ترتبط بها هاتيك المفردات"[2]. وللتناص دورٌ ليس بالهين في العمل الإبداعي ففيه "يغتني القديم بقراءة جديدة على ضوء المبدع ونظراته الساخرة المسلطة عليه، ويثري الجديد نفسه بأبعاد القديم التي يكسبها هذا المبدع"[3].

وقد تعددت صور التناص وتنوعت أساليبه، فقد يثري المبدع فكرته فيتخذ من القرآن الكريم بحراً ينهل منه سواء قصصه أم ألفاظه أم شخصيات ذكرها، وقد يتجه الشخص إلى السيرة النبوية المشرفة والموروث الديني مستويحاً منهما ما يريد، وكذا الحال مع التاريخ وأحداثه وأبرز شخصيات تركت بصماتها فخلدت على مر العصور، "وقد يتحدث عن واقعة بعينها أو شخص أو شعر سابق في عصور الأدب العربي، فيوظف التراث في إطار الإسقاطات السياسية"[4].

لقد زخرت الأشعار التي تتحدث عن المرأة في حرب غزة بالكثير من الشواهد التي استند فيها أصحابها على القرآن الكريم والموروث الثقافي والأدبي..

وظف بعض الشعراء أسماء سور من القرآن الكريم للتعبير عن الفكرة التي يريدون إبرازها، مثل السور التي تتحدث عن المعارك والحرب كما في قول الشاعر[5]:

---

[1] أ.د. نبيل أبو علي وآخرون، دراسات في أعمال الشاعر والروائي الفلسطيني عبد الكريم السبعاوي، منشورات وزارة الثقافة، عمان ومنشورات مطابع الجراح، غزة، وقد نشر في جامعة الزقازيق، 2000م، ص258.

[2] إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار المسيرة للنشر، عمان، الأردن، ط/1: 1424هـ – 2003م، ص347.

[3] كاظم جهاد، أدونيس منتحلاً، دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة، مكتبة مدبولي، ط/2: 1993م، ص39.

[4] عبد البديع عراق، صورة الشهيد في الشعر الفلسطيني المعاصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، كتابات نقدية شهرية، 153، ديسمبر: 2004م، ص613.

[5] ديوان الفرقان، قصيدة: شدي الحزان، فراس عمر حج محمد، ص91.

شـــدي الحـــزام فوعـــد الله مقتبـــلٌ فالـــذكر يتلـــى أعيـــدي بعـــضَ آيـــاتِ

فـــآلُ عمـــرانَ يـــا أنفـــالَ موعِـــدنا يـــا نصـــر خنـــدقَ يـــا نجـــوى القـــراءاتِ

وكما يقول آخر[1]:

حرقوا النساءَ من الدموع إلى الدعاءِ إلى السجود

حرقوا المساجد فاستحمت سورة الإخلاص بالرعد

المضّرج بالشهادة والشهود

واتخذ آخر من أسماء سور القرآن الكريم عنواناً لقصيدته مثل (الفرقان وفتية الكهف) لبسام المناصرة، يقول فيها[2]:

مـــذاقُ الشـــمس يهـــدينا الســـبيلا تبـــوح بـــه تباشـــير المســـيرِ

وتهـــواه الحرائـــرُ والحيـــاري وتمدحُـــهُ محاريـــبُ العصـــورِ

....

ولكـــن فتيـــة كـــالكهف تســـعى بفرقـــان وعـــدنان ونـــورِ

وغـــزة مـــن أوت أحقـــاب غـــيمٍ تعـــد النصـــر مـــن عـــرق الزهـــورِ

وعندما أراد الشاعر إبراز شدة الحرب وعنفها استقى فكرته من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ﴾ [3]، حيث يقول[4]:

إنَّ الـــزلازل لا تبقـــي ولا تـــذرُ لكنَّمـــا يقتفـــى مـــن غـــزة الأثـــرُ

مـــن غـــزة البكـــر تلهـــو فـــي أزقتهـــا أصـــابع الـــريح فـــي خطواتهـــا الخطـــرُ

....

غـــلال الـــورود فـــي ضـــاحي منابتهـــا قصـــفٌ مـــن الجـــو لا يبقـــي ولا يـــذرُ

---

[1] لأجلك غزة، قصيدة: إيقاعات الحرب، عصام ترشحاني، ص347.

[2] بسام المناصرة، نفير الملائكة، أصدرها ونشرها: بسام المناصرة، ط/1: 2011م، غزة، فلسطين، ص32، ص37.

[3] سورة المدثر: الآيتان 27-28.

[4] لأجلك غزة، قصيدة ملحمة غزة، محمد بكر سلمى، ص 441، ص 442.

وهناك تناص قرآني من قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [1].

نجد ذلك واضحا في قول الشاعر[2]:

لقد غيض فجر واستوى الموت والدجى ولا عاصم من قبل أو بعد حاصرهْ

لغزة أعطوا ما تيسر من دمٍ فإن المنايا حول غزة وافرةْ

وأراد آخر أن يبرز ضعف اليهود وجبنهم وهذا ما دفعهم إلى قتل النساء والأطفال، مستوحيا ذلك من قوله تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [3]، إذ يقول الشاعر[4]:

القـــابعين وراء جـــدرِ حصـــونهم القـــاتلين طفولـــةً ونســـاءَ

الســـاقطين ديانـــةً وخلائقـــاً الشـــاربين قـــذارة ودمـــاءَ

....

التـــائهين بكـــل أرض قـــد أبـــى ربـــي لهـــم أن يمكثـــوا قـــد شـــاءَ

وتناص قرآني آخر في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [5] التي تكررت إحدى وثلاثين مرة في سورة الرحمن، يقول الشاعر عن مقتل النساء في غزة ودماء الشهيدات[6]:

وإذا ربـــاب إليـــك غـــزة تنحنـــي وعيونهـــا بـــدم الشـــهادة تكتـــب

فبـــأي آلاء الشـــهور ســـأكتب همًـــا يخالطـــه دمـــي يـــا زينـــب؟

---

[1] سورة هود: أية 44.

[2] لأجلك غزة، قصيدة: لغزة أقلام، محمد ابراهيم الحريري، ص423.

[3] سورة الحشر: أية 14.

[4] لأجلك غزة، قصيدة: صمود غزة، سعد الغامدي، ص213.

[5] سورة الرحمن: أية 13.

[6] ديوان الفرقان، قصيدة: من تحت أنقاض الكلام، محمد إبراهيم الحريري، ص62.

إن صورة النساء وهن يزغردن للشهيد أيقظت حكامنا من سبات وهبت المشاعر الإنسانية من كل فج عميق تدعو غزة للصبر، واستقى الشاعر ذلك من قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [1]. في قوله[2]:

وظلـــــت نســـــاء لكـــــل شـــــهيد تزغـــــرد حـــــين يوسَّـــــد قبـــــرا
وأيقظـــــت حكامنـــــا مـــــن ســـــبات طويـــــل عســـــاهم ســـــيبدون أمـــــرا
وهبـــــت أناســـــيٌ مـــــن كـــــل فـــــج عميـــــق تنـــــادي: أغـــــزة صـــــبرا

وتتاص قرآني من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3]، ويبدو ذلك جلياً في قول الشاعرة[4]:

أماه قوليها لهم

(لما هويت على ثراها، زغرد

الزيتون وانفجرت تراتيل السحاب)

هذا وجودي.. والصلاةْ

هذا التراب له الحياةْ.. !!

نسكي له.. وله المماتْ

وبرغم موت الأمنياتْ

وفي ردود الأفعال إزاء موقف العرب من غزة وأهلها، وإظهار لسلاح الشجب الذي يمتلكونه، نجد الشاعر هنا استلهم النص القرآني في قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [5]، بقوله[6]:

---

[1] سورة الحج: أية 27.

[2] ديوان الفرقان، قصيدة: وتشرق غزة كالوردة، عمر طرافي البوسعادي، ص137.

[3] سورة: الأنعام: أية 162.

[4] لأجلك غزة، رسالة من غزة، اهزار طباخ، ص637.

[5] سورة إبراهيم: أية 43.

[6] ديوان الفرقان، دموع على ثرى غزة، محمد إسماعيل الرفاعي، ص506.

فثلة من اليهود قد تأهبت

ودقت الطبول

تقدمت بجرأة لسبيها

وتلكم الكريمة الأصول قد تمنعت

.....

ويكفي أن خرجنا مهرعين

ناكسي الرؤوس مهطعين قانعين

بالشجب والإدانة الخؤون

وهذا آخر يصف العرب بأنهم (خشب) مستوحياً ذلك من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾[1]. يقول الشاعر[2]:

يتكـــالبون فـــإن رأيـــت شخوصـــهم خُشُـــبٌ مُسَّـــندةٌ بـــدون توسُّـــم

ولتصوير دور المرأة العظيم في حرب غزة يعود الشاعر إلى القصة القرآنية ليستحضر مريم عليها السلام ونخلتها وقصة ولادتها مستوحيا ذلك من قوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [3]. يقول الشاعر[4]:

هزي جزع النخلة مريمْ

لن يطول الانتظارْ

من رحلته عاد الوطنْ

والأرض تنفض عن جدائلها الغبارْ

واستحضار مريم عليه السلام من عمق التراث الإسلامي وما عرف عنها من صبر وجلد وغباء، إنما يأتي من باب الحث على الصبر وعدم الجزع في مثل هذا المقام ويكاد يتطابق موقف

---

[1] سورة المنافقون: أية 4.

[2] ديوان الفرقان، قصيدة يا دار غزة، عبد الله الشريف، ص298.

[3] سورة مريم: أية 25.

[4] عبد الفتاح أبو زايدة، دموع بلا عيون، قصيدة بيت حانون، ص39.

السيدة مريم عليها السلام وصلابتها وشجاعتها مع موقف الشعب الفلسطيني المناهض لبطش الاحتلال فكلاهما رافض للواقع.

وقد تناص العديد من الشعراء مع قصة بلقيس التي تحدث عنها القرآن الكريم، واستوحوا منها أبياتاً مفعمة بالحماس وإذكاء روح الفكرة التي يطرقونها، وذلك من قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ [1]، وهذا التناص القرآني نجده في قول الشاعرة[2]:

أنا المدعوة الخنساء في زمني

.....

بأرض سبأ

أشاد الله في التنزيل

بطيب الأرض والإنسان

ببلقيس التي حكمت

بحكم الشعب والشورى

وأجدادي بناة المجد

ومن التناص من الموروث الديني ما نراه من تناص الشاعر مع قصة سعد بن أبي وقاص وأبي محجن الثقفي عندما قيدوه في السلاسل، وذهب سعد بالجيش فتألم أبو محجن وأبى إلا الجهاد وبكى ففكت (سلمى) زوجة سعد قيوده فانطلق إلى المعركة يصول ويجول، قال الشاعر متحدثاً مع ابنته[3]:

بكائي يا ابنتي

أسفٌ لأني لم أكن معهم

أنا سعدٌ وقعقاعٌ

ومليارٌ جميعهم

---

[1] سورة النمل: أية 24.

[2] ديوان الفرقان، قصيدة قسمي وعهدي، جميلة الرجوي، ص380.

[3] السابق، قصيدة: دم الأحرار، عارف عاصي، ص399.

أسود في قيودهم

قيود الذل قد أبكت

لدى سعد أبا محجنْ

ففكت سلم أغلالهْ

فصال وجال في الميدان

مزدانا بغزته وباع اليوم أثقالهْ

فهل في أمتي سلمى

لتكسر قيد أمتنا تحررها

من التناص أيضاً استدعاء شخصيات تاريخية كان لها بصمة في تاريخ الأمة وجهادها إذ أن عملية التناص تزيد بطبيعتها عن تكثيف الدلالة وتعميق التجربة، حيث تعمل على استحضار رزم دلالية في آن واحد، منها ما يتصل بالنص الغائب، ومنها ما يتعلق به من هوامش وإيحاءات دلالية ساهمت في إنتاجها الأجيال المتعاقبة عبر التاريخ، ومنها ما يحمله النص الحاضر من دلالات تفرزها بنية الخطاب، وبتمازج الدلالتين التراثية والآنية تتسامى شعرية النص، يقول الشاعرة[1]:

لعينيك غزة

آت

صلاحٌ

وسعدٌ

وزيدٌ

وجند أسامة

سيأتون

لا تحزني يا حبيبة

---

[1] ديوان الفرقان، قصيدة: ألا ثم، هند سالم باخشوين، ص420

وأكثر شخصية تم استدعاؤها (المعتصم) وذلك لمناسبة الحال في حرب غزة حيث مئات النساء يستغثن ويصرخن يومياً، ويشاهد العالم بأسره تلك الصرخات لكنها يا ترى هل تلقي نخوة المعتصم؟، يقول الشاعر[1]:

لـــم تبـــكِ فـــي غـــزة العصـــماء أرملـــةٌ ولا تضـــــرع طفـــــل بـــــين أحضـــــانِ
ألـــيس فـــي أمتـــي العصـــماء معتصـــمٌ أم لـــيس فينـــا فتـــى مـــن آل مـــروانِ

ويقول آخر[2]:

فـــي كـــل يـــوم تضـــام المســـلمات فـــلا يهـــــب ينصـــــفهن الضـــــيم معتصـــــم

ويقول آخر[3]:

صـــاحت صـــبية لبَّـــى جنـــد معتصـــمٍ صـــاحت نســـاءُ ولا أجنـــاد معتصـــمِ
بـــيض الحمـــائم رمـــز الســـلم قـــد خجلـــتْ بـــيض الحمـــائم قـــد فـــرت مـــن الحمـــمِ

ويقول آخر[4]:

نـــادت فـــلا حـــيٌ أجـــاب نـــداءها لـــو كـــان حيـــاً لاستشـــاط بـــه الـــدمُ
قـــد كـــان معتصـــمٌ يؤمـــل زحفكـــم لكـــــن معتصـــــم الرشـــــيد خـــــذلتموا

ويقول آخر[5]:

أمـــــي بغـــــزة قالـــــت أيـــــن نخـــــتكم؟ أيـــن الرجـــال أمـــا فـــي الـــدار معتصـــمُ؟
صـــــبرا ل(غـــــزة) صـــــيحاتٌ تمزقنـــــي عنـــد الحصـــار تســـاوي البخـــل والكـــرمُ
أمـــاه: معتصـــمٌ قـــد مـــات مـــن زمـــنٍ ولـــن يعـــود إذا لـــم ترتـــق الهمـــمُ

وآخر يقول[6]:

الحلـــم عنـــدك قـــد صـــيغتْ روامـــزه وكـــم تكـــرر فـــي مأســـاتنا حلـــمُ
هـــذي ســـبيتك العـــذراء ضـــارعةً وأنـــت – إذ صِـــيحَ: واذلاه معتصـــمُ

---

[1] لأجلك غزة، قصيدة: نزيف من جراح غزة، محمد نادر فرج، ص494.

[2] السابق، قصيدة: من شنقيط يا أهل غزة، أبو زياد الأنصاري، ص39.

[3] ديوان الفرقان، قصيدة: اهنأ بنوم، أكرم صبحي خضر، ص300.

[4] السابق، قصيدة: بلغ الدم الزبى، هاشم صالح سلامة، ص281.

[5] السابق، قصيدة: غزة حدائق الوجع المذبوح، محمد علي الحايك، ص254.

[6] السابق، قصيدة: في موسم الصمت البذيء، عبد الله الرشيد، ص265.

وقد نظر الشعراء إلى الموروث الأدبي الشعري وما يحمله من دلالات، وحاولوا التناص معها واستلهام دلالاتها للبوح بما يعتمل في صدورهم جراء حرب غزة، وذلك ما نراه في قصيدة "يادار غزة" التي يتكئ الشاعر فيها على قول عنترة[1]:

هـــل غـــادر الشـــعراء مـــن مُتَـــرَّدم أم هـــل عرفـــت الـــدار بعـــد تـــوهُّمِ

ويقول فيها[2]:

إن كنـــت أزمعـــت المضـــي فـــذاك مـــا نرجـــوه فـــي ليـــل بهـــيم مظلـــمِ
مـــــا راعنـــــي إلا وغـــــزة كلهـــــا وســـط الـــدمار تســـف نـــار المنشـــمِ
....
وهنـــاك غـــزة والـــردى أنشـــودة مـــدت يـــديها للكفـــاح الأعظـــمِ
والكـــل يلعـــق مـــن دمائـــك نشـــوة لعـــق الـــذباب كشـــارب متـــرنمِ
تمســـي وتصـــبح والجـــراح تلوكهـــا وتبيـــت وهـــي تصـــول فـــوق الأدهـــمِ
وحشيشـــتي نـــار وغـــزة تمتطـــي صـــهو الجهـــاد بصـــارم متلـــثمِ
هـــل تخبرنـــي دارهـــا أنـــي هنـــا بصـــمودها مـــن كـــل عـــار أحتمـــي
....
يـــدعون غـــزة والرمـــاح كأنهـــا شـــهب علـــى هـــام الـــدخيل الأظلـــمِ

ومن القصائد التي تناص معها الشعراء إبان حرب غزة معلقة عمرو بن كلثوم التي يقول في مطلعها[3]:

ألا هبـــي بصـــحنك فاصـــبحينا وصـــبيِّ مـــن خمـــور الأنـــذرينا

وفي التناص مع معاني هذه القصيدة التي تعج بمعاني العزة والكرامة، يحاول الشاعر طارق الساعي أن يثير النخوة ويلهب الحماس في قوله[4]:

ألا يـــا أرض غـــزة إزئرينـــا ولا تبقـــي اليهـــود الغاصـــبينا
وصـــبي مـــن معانـــاة الثكـــالى براكينـــا تبيـــد الظالمينـــا

---

[1] الشنقيطي، شرح المعلقات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، ص110/وينظر: الحسين ابن أحمد الزوزوني، شرح المعلقات السبع، دار الجيل، بيروت، ومكتبة المحتسب، عمان، ط/2: 19772م، ص191.

[2] ديوان الفرقان، قصيدة: يا دار غزة، عبد الله إسحق الشريف، ص296، ص297.

[3] ينظر الحسين بن أحمد الزوزوني، شرح المعلقات السبع، الناشر، ص165.

[4] لأجلك غزة، قصيدة: زئير غزة، طارق عبد الله الساعي، ص265، ص266.

بهـــذا الجيـــل يـــا حســـناء جـــودي فهـــذا الجمـــع فخـــر العالمينـــا

غـــدا يأتيـــك بالإخبـــار عـــنهم بـــأنهمُ جيـــوش الفاتحينـــا

فغنـــي بعـــدها طربـــاً وشـــدواً فقـــد صـــدقت فعـــل القائلينـــا

إذا بلـــغ الفطـــام لنـــا رضـــيع تخـــرُّ لله الجبـــابر ســـاجدينا

أما التناص مع بيت من قصيدة النابغة الذبياني، وهو قوله[1]:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتّقتنا باليد

فتمثله في قول الشاعرة[2]:

الله من هذا النصيف لقد سقط

أنا لم أرد إسقاطه

لكن كفي في الحديد ولا أرى غير اليباب

.....

حزني على خلخال رملة لن يجول

بلقيسُ أهدتنيه من سبأ ومأرب

قبل آلاف الفصول

وغداًستسألني

فقل لي صاحبي ماذا أقول

سقط النصيف ولم أرد إسقاطه

أنا لم أرد إسقاطه

لكن كفي في الحديد

الله من هذا النصيف لقد سقط

إنها قصيدة غنية بالدلالات المستوحاة من قصيدة النابغة الذبياني، وقد برعت الشاعرة في إزاحة دلالات النص المستوحى حين جعلت القيد الذي في كفها سبباً لسقوط النصيف، وأكدت على

---

[1] النابغة الذبياني، الديوان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1977م، بدون طبعة، ص93.

[2] ديوان الفرقان، قصيدة: بلاغ من امرأة عربية، روضة الحاج، ص498.

سقوط النصيف رغماً عنها من خلال تكرار العبارة –سقط النصيف.. لم أرد إسقاطه– لتفرغ ما في صدرها من أحاسيس القهر التي نتجت عن الممارسات الصهيونية والعدوان على غزة.

وقد لجأ الشعراء إلى الحكمة والمثل العربي حيث اتخذوا منه ركيزة لتوضيح فكرتهم وإبراز دور المرأة في الحرب على غزة ومنها ما استخدمه الشاعر عنوانا لقصيدته أيضاً مثل (للقاصيات ديب) وهو يشير إلى ما سيلحق باقي الأمة العربية لتفريطها في فلسطين وصمتها عن صرخات الثكالى في غزة، يقول الشاعر[1]:

وأم تســـــــتغيث فمـــــــن يلبـــــــي ومـــــن لنـــــداء ثكلانـــــا يجيـــــبُ
هـــي الحـــرب الضـــروس فـــلا تطيلـــوا الجـــدال فـــإن أمـــركم عجيـــبُ
فـــإن صُـــمَّتْ عـــن الصـــرخات أذنٌ لكـــم فالقاصـــيات لهـــن ذيـــبُ

والمثل العربي: (بلغ السيل الزبى) [2] استخدمه الشاعر ليبين ما آلت إليه حال الأمة نتيجة للأحقاد والفرقة وأنه بعد حرب غزة وصبر الأمهات فقد طفح الكيل كما يقولون؟، يقول الشاعر:[3]

وصـــــبرُ أمِّـــك موصـــــول بعزتهـــا حتـــى تســـاوت مـــع الخنســـاء فـــي الجلـــدِ
يـــا حســـبها الله فـــي ضـــيمٍ تغالبـــه لـــم تحتمـــل مثلهـــا أم ولـــم تلـــدِ
يـــا أمتـــي بلـــغ الســـيل الزبـــى وطغـــى دوســـي علـــى جمـــرة الأحقـــاد واتحـــدي

والمثل العربي: (وعند جهينة الخبر اليقين) [4] استحضره الشاعر متسائلاً عن نهاية المهزلة والاعتداءات الصهيونية يقول[5]:

أريد لغزة شعراً

يعيد البنين إلى أمهم والبنات

.....

أريد جواباً، جهينة، يختتم الأسئلةْ

---

[1] ديوان الفرقان، قصيدة: للقاصيات ذيب، عبد الرحمن أقرع، ص54.

[2] ينظر أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط/2: 1407هـ– 1987م، ج/1، ص158. وهي جمع زُبية، وهي حفرة تحفر للأسد إذا أرادوا صيده، يصرب بما جاوز الحد.

[3] ديوان الفرقان، قصيدة: يا شاهق العزم، يونس ناصر، ص121.

[4] أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، ج/2، ص319.

[5] السابق، قصيدة: ديوان غزة من الفسفور إلى الزاجل، ص414.

ويختتم المهزلةْ

ووصلت درجة اليأس من الأمة العربية وحكامها ذروتها فاستغاث الشاعر ببيت الشعر القائل:

أنـــت لـــو ناديـــت حيـــاً لاســـتجاب ولكـــــن لا حيـــــاة لمـــــن تنـــــادي

وذلك بقوله[1]:

وصـــــوت الحـــــق وضـــــاح مبـــــين لمـــــن لهـــــم – إذا ســـــمعوا – حيـــــاةُ

(ولكـــــن لا حيـــــاة لمـــــن تنـــــادي) وذاك الـــــرأس يطمســـــه العمـــــاءُ

فيـــــا حكامنـــــا الأبـــــرار أنـــــتم لأمتنـــــا المعذبـــــة الرجـــــاءُ

وصـــــهيون الرذيلـــــة والمخـــــازي تعربـــــد والســـــماء لهـــــم وقـــــاءُ

فتفتـــــكُ بالنســـــاء وبالصـــــبايا وبالصـــــبيان مـــــا لهـــــم غطـــــاءُ

---

[1] الفرقان، قصيدة: بغزة غزة الإسلام ترمي، حسن عزيز بوشو، ص44.

المبحث الثاني: الصورة الشعرية

الصورة الشعرية

الشعر عالم ساحر، مليء بالمعاني السامية ونتصفح عبره تاريخ الشعوب وأيامها، ونتذوق ما فيه من خيال يسلب العقول، "والشعر خاصته لا يلائمه إلا التصوير البياني، أي التعبير عن طريق الصورة"[1]، وهي تجعل له طلاوة ورونقاً وتخرج ألفاظه من الجدب إلى الخصب، "فالصورة الفنية هي هذا الجانب من العالم الخالي من جفاف الواقع وصلابته وهموم الأرض ومشكلاتها"[2].

فالصورة للشعر كالروح للجسد لا يمكن انتزاع أحدهما من الآخر إلا في حالة الموت الذي هو أفول نجم الشعر وخباء ضوئه، وهي "تجسيد لأحاسيس الشاعر وأفكاره المجردة بشكل حسي وأن الخيال عنصر هام من عناصر إنتاجها"[3].

وهذا يعتمد على شاعر ذواقة لا يرى الأشياء كما هي، بل يراها كما يجب أن تكون، فهو "يعبر عن أفكاره تعبيراً متميزاً عن طريق ما يحدثه في هذه الأفكار من صياغة خاصة، تتجاوز مرتبة الإفهام إلى مرتبة التأثير"[4].

وتتبلور لدى القارئ بعد أن ينعم النظر في الشعر رؤى جديدة تقوده إلى تبني أفكار عن قناعة، والذود عنها بكل ما أوتي من قوة، لذا "فإن تأثير الصورة يتعدى حدود هذه المتعة الشكلية، فيثير انفعالات المتلقي إثارة خاصة، تدفعه إلى موقف أو سلوك بعينه"[5].

والصورة الفنية هي الدم الذي يسري في شرايين القصيدة فيجعلها متوردة الخدود تشع نضارة، و "تصبح القصيدة القائمة على هذه الصورة أشبه بالبرق الذي يضيء جوهر العالم ودخيلاءه"[6]. وهي تجعل الذهن في شغل شاغل للسعي وراءها وتحليل جوانبها، فهو دائم اليقظة

---

[1] محمد مندور، الأدب وفنونه، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996م، ص38.

[2] صالح أبو أصبع، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة منذ 1948، 1975، دراسة نقدية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط/1: 1979م، ص32.

[3] أ.د. نبيل أبو علي، عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غربية، ص97.

[4] جابر عصفور، النقد الأدبي، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط/1: 1424هـ – 2003م، ص321.

[5] السابق، ص328.

[6] أدونيس، زمن الشعر، دار العودة، بيروت، ط/1: 1972م، ط/2: 1978م، ص154 .

والانتباه، بالإضافة إلى الامتاع "وهي متعة ناتجة عن ذلك القدرة من المعاناة التي يعيشها المتلقي من أجل الوصول إلى جوهر الصورة والتحليق في عوالمها"[1].

والصورة الفنية ملازمة للشعر منذ وجوده إلا أنها تختلف باختلاف البيئة والشاعر نفسه، فيجب أن يجعل صورة جديدة أولاً ناقلة للتأثير، مترابطة في مجموعها"[2].

إن الصورة الفنية تعتمد إعتماداً مباشراً على التجربة الشعرية التي يعيشها الشاعر، "ويمكن بلورة مفهوم الصورة الفنية الشعرية من خلال القول إنها جزء مهم من التجربة الشعرية، وتجسيد لأحاسيس الشاعر وأفكاره المجردة بشكلٍ حسي"[3].

والصورة تغدو أكثر بهاء وتأثيراً في النفوس إنْ صاحَبَها عاطفة صادقة فما خرج من القلب يصل إلى القلب وما خرج من اللسان لا يتعدى الآذان فالعاطفة "هي مصدر خصب للخيال والإبداع الشعري وتشكل ألوانا ضرورية للصور المنتزعة من الواقع الذي يعيشه الشاعر وتلعب دوراً مهماً في نجاح الشاعر أو فشله"[4].

وبناء الصورة الشعرية يعتمد على طرق شتى منها "التجسيد وهو إعطاء المعنويات صفات محسوسة، والتشخيص الذي يتم بإعطاء صفات الأشخاص لكل من المحسوسات، والتجريد ويتم بإضفاء صفات معنوية على المحسوسات فتزول الفوارق بينهما"[5].

فيجب أن تكون الصورة الفنية طبيعية غير متكلفة أو مصطنعة يجهد الشاعر نفسه في إقحامها في شعره فتؤثر فيه سلباً لا إيجاباً.

وتنقسم الصورة الفنية إلى قسمين، صورة جزئية وصورة كلية.

---

[1] عاطف أبو حمادة، الصورة الفنية في شعر محمود درويش، دراسة نقدية، إصدار الاتحاد العام للمراكز الثقافية، غزة، 1998م، دون طبعة، ص172.

[2] إحسان عباس، فن الشعر، دار صامد، بيروت، ودار الشرق، عمان، ط/1: 1996م، ص195.

[3] ناهض محسن، الشخصية الإسلامية في الشعر الفلسطيني، مكتبة اليازجي، غزة، فلسطين، ط/1: 1429هـ – 2008م، ص363.

[4] محمد عبد عبد الله عطوات، الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر من 1918م الى 1968م، منشورات دار الآفاق الجديدة.

[5] أسامة يوسف شهاب، الحركة الشعرية النسوية في فلسطين والأردن، 1948م –1988م، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط/1: 2000م، ص325.

الصورة الجزئية:

وهي ما يندرج تحته التشبيه والاستعارة والكناية وغير ذلك من ضروب البيان، المتعددة وسأتناول التشبيه والاستعارة كمثلين على الصورة الجزئية.

أولاً: التشبيه:

التشبيه هو "عبارة عن العقد على أن أحد الشيئين يسد سد الآخر في حال أو عقد، هكذا عرفه الرُّماني وهذا هو التشبيه العام الذي يدخل تحته التشبيه البليغ وغيره"[1].

وقد عرفه السكاكي بقوله: "ولا يخفى عليك أن التشبيه مستدع طرفين مشبهاً ومشبهاً به، واشتراكاً بينهما من وجه وافترقاً من آخر"[2].

أما القزويني فقد عرفه بأنه "الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى، والمراد بالتشبيه ههنا: ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ولا الاستعارة بالكناية ولا تجريد"[3].

وقد أفرغ له المبرد باباً كاملاً في كتابه الكامل في اللغة والأدب لعظم شأنه في البلاغة[4].

وتختلف التشبيهات باختلاف العصر والبيئة، "واعلم أن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها وأدركه عيانها، ومرَّت به تجاربها وهم أهل وبر، صحونهم البوادي وسقوفهم السماء، فليست تعدو أوصافهم ما رأوه منها وفيها"[5].

---

[1] ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير، تحقيق: حنفي محمد شرف، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، د.ط: 1416هـ - 1995م، ص159.

[2] محمد بن علي السكاكي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط/2: 1411هـ - 1990م، ص183.

[3] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، ط/4: 1395هـ - 1975م، ج/1، ص328.

[4] للاستزادة ينظر:

- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار المعرفة للنشر، بيروت، لبنان، د.ط: 1401هـ -1981م، ص70.
- علي بن ظافر الأزدي، غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات، تحقيق: محمد زغلول سلام ومصطفى الصاوي الجويني، دار المعارف بمصر، د.ط: 1983م، ص13.
- محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي، مكتبة وهبة، ط/2: 1418هـ - 1997م، ص98.

[5] ابن طباطبا، عيار الشعر، ص23.

وللتشبيه فوائد بلاغية تخدم المعنى وتجلو الصورة، "فإنما تقصد به تقرير المشبه في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه، فيستفاد من ذلك البلاغة فيما قصد به من التشبيه على جميع وجوهه من مدح أو ذم أو ترغيب أو ترهيب أو كبر او صغر أو غير ذلك من الوجوه التي يقصد بها التشبيه"[1].

ومن قيمه البلاغية التي تجعله ركناً أساساً من أركان البلاغة؛ " لإخراجه الخفي إلى الجلي وإدائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحاً، ويكسبها توكيداً وفضلاً ويكسوها شرفاً ونبلاً"[2].

أما الخفاجي فقد بيَّن حُسن التشبيه بقوله: "يمثل الغائب الخفي الذي لا يعتاد بالظاهر المحسوس المعتاد فيكون حسن هذا لأجل إيضاح المعنى وبيان المراد"[3].

وقد عكست التشبيهات صورة الحرب الضارية على غزة، ونقلت لنا الصورة المشرِّفة للمرأة في جرأتها وشجاعتها وصبرها، وكذا وصفت لنا الأحداث الدامية، وبينت المواقف وردود الأفعال العربية والعالمية. فالموت في غزة يشبه القابلة العجوز التي تتردد على القوم من حين لآخر، وهو يجعل الموت للأشراف أماً، وأما الضحايا فهم رماديون شعث يشبهون الأنقاض التي انهالت عليهم فتناولتهم الأيدي، فكأن السماء تحمل بالأيدي، فهي تشبه معراج طويل يلوذ إلى الله الكريم عز وجل، يقول الشاعر[4]:

كـــأن المـــوت قابلـــةٌ عجـــوزٌ ... تـــزور القـــوم مـــن آن لآنِ
نمـــوت فيكثـــر الأشـــراف فينـــا ... وتخـــتلط التعـــازي بالتهـــاني
كـــأن المـــوت للأشـــراف أمٌّ ... مشـــبهة القســـاوة بالحنـــانِ
لـــذلك لـــيس يـــذكر فـــي المراثـــي ... كثيـــراً وهـــو يـــذكر فـــي الأغـــاني
ســـنغلب والـــذي رفـــع الضـــحايا ... مـــن الأنقـــاض رأســـاً للجنـــان
رمـــاديون كالأنقـــاض شـــعث ... تحـــددهم خيـــوط الأرجـــوانِ

---

[1] يحيى بن حمزة العلوي، الطراز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط: 1400هـ - 1980م، ج/1، ص273.

[2] السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، تدقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط: 1431هـ - 2010م.

[3] محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1: 1402هـ - 1982م، ص246.

[4] لأجلك غزة، قصيدة: بيان عسكري (سنغلبهم)، تميم البرغوثي، ص98.

يـــــد ليـــــد تســـــلمهم فتبـــــدو ســـــماء الله تحملهـــــا يـــــدانِ

يـــــد ليـــــد كمعـــــراج طويـــــل إلـــــى بـــــاب الكـــــريم المســـــتعانِ

وهذه الطفلة التي كانت تشبه القمر في جمالها وبراءتها قد أصبحت تشبه فارع الغضا بعد أن حولها العدو إلى جسد يابس بعد استشهادها، وإن ما حدث يشبه الزلزال الذي يجوب أرض غزة، يقول الشاعر[1]:

وطفلـــــــةٍ كفلقـــــــةِ القمـــــــر أضـــــنى عليهـــــا القـــــاهُر الشـــــموسْ

فأصـــــــبحت كفـــــــارعِ الغضـــــــا أحالهـــــــا الجحـــــــيم لليبـــــــوسْ

هنـــــاك زلـــــزال يجـــــوب الفضـــــا يبحـــــث عـــــن صـــــيد لـــــيملأ الرمـــــوسْ

إن النساء في الأرض المحتلة يشبهن الندى والأنوار التي تشع على الدنيا، ومنهن يهب الرجال الثوار يشبهون الأسود، وكذا الأطفال والنساء حمم تشبه الإعصار في وجه العدو، يقول الشاعر[2]:

يـــا ماجـــداتِ القـــدس أنـــتنَّ النـــدى مـــنكنَّ شـــعّث فـــي الـــدنا الأنـــوارُ

زأر الأســـود ألســـتَ تســـمعُ صـــوتهم؟ مـــنكن هـــبَّ رجالنـــا الثـــوارُ

أطفالنـــــا ونســـــاؤنا ودماؤنـــــا حمـــــمٌ تثـــــور كأنهـــــا الإعصـــــارُ

وهذه العروس يوم زفافها مخضبة بالدماء التي تشبه الوشاح الأحمر وشاحٌ من الدماء، وأهل غزة نذروا حياتهم للكفاح فهم يشبهون الرياح في ثورتهم التي يتصدون بها للعدو بكل خفة ورضا نفس، وقد جعلهم الحصار شواظا ملتهبة، يشبهون الأشباح في وجه العدو، يقول الشاعر[3]:

وعـــروسُ تُـــزَّفُ فـــي موكـــب المجـــد عليهـــا مـــن الـــدماء وشـــاحُ

نـــذروا للكفـــاح كـــل ليـــاليهم وثـــاروا كمـــا تثـــور الريـــاحُ

يتصـــــدون للعـــــدو خفافـــــاً وبأعمـــــاقهم رضـــــاً وارتيـــــاحُ

فـــإذا حوصـــروا اســـتحالوا شُـــواظا وتـــداعوا كـــأنهم أشـــباحُ

---

[1] لأجلك غزة، قصيدة: إلى متى؟، نعيم عودة، ص541.

[2] السابق، قصيدة: نصر غزة زغردي، محمد براح، ص440.

[3] ديوان الفرقان، قصيدة: هذه غزة، راشد الزبير السنوسي، ص98.

المرأة الفلسطينية ربَّت أطفالها على نهج الإسلام الجهادي، فهم يشبهون الكهول وهم في أتون المعركة، لا يهابون الموت، قلب الأم يشبه السياج الواقي لأبنائها وهم يتحدون الإعصار فتراهم يشبهون البحر الهائج المائج، يقول الشاعر[1]:

إذا مـــا الطفـــل فـــي الهيجـــاء كهـــل أفـــاخر يـــا عروبـــة بانتمـــائي

فلسطينية أمي وربَّتْ

وبالإسلام قد شمخت وعلت

ومجد العرب للأبناء غذت

وللأعداء في الهيجا تحدت

وذا قلبـــي لأبنـــائي ســـياجٌ وأنـــتم للعـــلا نـــورٌ وتـــاجُ

إذا الإعصـــار يـــأتيني تـــراهم كمثـــل البحـــر قـــد هـــاجوا ومـــاجوا

إن غزة تشبه الوردة في البستان، وهي تشبه الأم في حنوها على الشاعر محبوبها إذا أضنته الوحدة، يقول الشاعر[2]:

أنســـاها كيـــف وقـــد كبـــرت كـــالوردة عبـــر البســـتان

تحنـــو كـــالأم علـــيَّ متـــى نـــاقوسُ الوحـــدة أضـــناني

ومن جميل التشبيهات المتعلقة بالشهيد تشبيه رفاة الشهيد بالهدية التي تهدى لأمه، ويطلب منها أن تزغرد وتغني وتقول لمن حولها إن ولدها هو كالغد المشرق، وهو كالنبوءة التي تقذف العدو بالشرر، وهو مثل بقعة النور، وهو كالكعبة، وهو كسدرة المنتهى، وهو مثل جهنم يصلاها العدو، وهو كطير الأبابيل بحجارتها النارية، وهو كالغيمة التي تبعث الأمل في الغابات، وجذورها وهو كأكليل الغار العريق، تقول الشاعرة[3]:

أماه قد يُهدى إليك رفاتي

غنِّي له

.....

---

[1] ديوان الفرقان ، قصيدة: دماء العزة في غزة، لطفي منصور، ص457.

[2] لأجلك غزة، قصيدة: رسالة حب إلى غزة، لطفي الياسيني، ص390.

[3] السابق، قصيدة: رسالة من غزة، هزار طباخ، ص636.

قولي لهم

ولدي غدٌ.. ونبوءةٌ ترمي الشررْ

ولدي هنالك بقعة للنور ينقشها القمرْ

ولدي هنالك كعبة للملتقى

تنمو عليها كرنفالات الحجرْ

ولدي هنالك سدرةٌ للمنتهى

والله يجدل غصنها بدم الدرْر

ولدي هناك جهنمٌ من نارها تصلى سقرْ

ولدي أبابيل السما بأكفِّها جمرُ القدرْ

ولدي همي من غيمة الأمل الوريقْ

بجذوره تمتدُّ غابات الحنين

منسوجةً من غزةٍ بعوالمٍ من ياسمينْ

ولدي أكاليلٌ من الغار العريقْ

فله المدى.. وله الطريقْ

ويهيم الشاعر بحب غزة فيشبه حبها بنبع الحياة برغم خجله من دموع الثكالى، ويشبه نفسه في حبه لها بأنه نشيد الشهيد، وهو كالأسير لا يعرف ماذا يقول لأن غزة مثل زهر الوجود، وغزة كالربيع الدائم، وهو يجهر بحبه هذا رغم أن غزة مثل الرموز المجهولة، يقول الشاعر[1]:

فـــإنْ كـــان حبـــك نبـــعَ الحيـــاةِ ... فـــإني ودمـــع الثكـــالى خجـــولْ

....

فـــوالله إنـــي نشـــيد الشـــهيد ... وإنـــي أســـير ومـــاذا أقـــولْ؟

أقـــول أحبـــك زهـــر الوجـــود ... وأنـــت الربيـــع الـــذي ســـيطولْ

ومـــا ســـحر حبـــي إذا كـــان جهـــراً ... وأنـــتِ الرمـــوز وحبـــر يجـــولْ

---

[1] ديوان الفرقان، قصيدة: غزة البتول، محمد كمال السخيري، ص250.

وشاعر آخر يشبه دم الشهيد بالشهاب الذي ينير طريق الحرية والشهيد يشبه مصباح النور الذي لا ينطفئ ضوؤه، وأم الشهيد راضية لأنها تعلم أن ابنها يرقى إلى جنات النعيم، يقول الشاعر[1]:

دم الشـــهيد شـــهابٌ نســـتنير بـــه مصـباح نـورٍ فمـا أوكـى ومـا وجفـا
أمُّ الشـــهيد نراهـــا جِـــدَّ راضـــيةٍ مـــا دام يرقـــى إلـــى الجنـــات معتكفـــا

ورغم أن المصائب لياليها مظلمة إلا أن الشاعر شبهها بالإشراق في عمره المظلم، وهذه الصورة تمثلها بصورة الفجر الذي يرتسم بعد ظلام الليل فهو من التشبيه التمثيلي، ويعود الشاعر لفلسطين فيشبهها بالفجر وبالمقام الذي لا تزل فيه قدم، وهي الإرادة وهي السيف الذي يوحد الأمة، يقول الشاعر[2]:

أمـــاه معتصـــمٌ قـــد مـــات مـــن زمـــنٍ ولـــن يعـــود إذا لـــم ترتـــق الهمـــمُ
ليـــلُ الفجيعـــة إشـــراقٌ بـــأزمنتي كـــالفجر بعـــد ظـــلام الليـــل يرتســـمُ
ويـــا فلســـطين أنـــت الفجـــر رائعتـــي أنـــت المقـــأم مـــا زلـــت بـــه قـــدمُ
أنـــت الإرادة أنـــت الســـيف فـــي وطنـــي بـــك اتحـــدنا وبعـــد الله نعتصـــمُ

وصمود الثكلى على مصابهم يشبه النهر الذي يروي زروع الجهاد، الحجارة في قبضات الغزيين تشبه الخناجر والشموع، وهذا في قول الشاعر[3]:

مـــن علـــم الثكلـــى بـــأن صـــمودها نهـــر يـــروي للجهـــاد زروعـــا
يـــا أهـــل غـــزة والزمـــان كتابُـــهُ بكـــمُ يمـــدُّ إلـــى الســـماء فروعـــا
مـــن علَّـــم الأحجـــارَ فـــي قبضـــاتكم أن تســـتحيل خنـــاجراً وشـــموعا

ثانياً: الاستـــعارة:

"هي فن من فنون البلاغة، مأخوذة من العارية أي النقل، وهي رفع الشيء وتحويله من مكان إلى آخر، يقال استعار فلان سهماً من كنانته، رفعه وحوله منها إلى يده"[4].

---

[1] ديوان الفرقان، قصيدة هذا فضاؤك، بشير ضيف الله، ص194.

[2] السابق، قصيدة: غزة وحدائق الوجع المذبوح، محمد علي الحايك، ص254.

[3] لأجلك غزة، قصيدة: يا أهل غزة، أحمد عثمان التويجري، ص47.

[4] عبد العزيز عتيق، علم البيان، ص166.

ومن ذلك ما أورده عبد القاهر الجرجاني، "فمن ذلك قولهم: إن الاستعارة تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على سبيل النقل"[1].

وقد شرفت الاستعارة وعلا شأنها لورودها في كثير من آيات القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾[3]، "والاستعارة تشبيه خسر أحد ركنيه الرئيسيين (المشبه أو المشبه به) لعلة جمالية أو دلالية واحتفظ بإشارة تمنع إرادة المعنى الظاهر"[4].

وهذا الخسران يجعلها تكسب دقة وبهاء، "وكلما ازداد التشبيه خفاء ازدادت حسناً ورشاقة" وكانت متضمنة للبلاغة مع الإيجاز وجودة النظم وحسن السياق"[5].

والاستعارة هي المرآة التي تعكس نفسية الشاعر وخباياه لذا فإنها تنم عن شخصيته وفكره، إنها "وسيلة اكتشاف العالم الداخلي للشاعر بكل ما فيه من خصوصية وتفرد وتميز لا تستطيع اللغة العادية التجريدية أن تعبر عنه أو توصله إلى القارئ"[6].

وذات المعنى عبر عنه محمد أبو موسى بقوله: "والاستعارة من الفنون التي تشف عن طبيعة الشاعر وحسه، وكيف تستحيل في وجدانه إلى حالة جديدة ليست هي الأحوال الأليفة التي تراها عيون الناس"[7].

ولا تقتصر القيمة البلاغية للاستعارة على اللفظ فحسب بل إنها تثري المعنى، "فإن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلا الظنون"[8].

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، شرحه وعلق عليه، محمد ألتنجي، دار الكتاب العربي، ط/3: د.ت، ص318.

[2] سورة الكهف، أية 99.

[3] سورة البقرة: أية 81 .

[4] عبد الإله الصائغ، الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنية، الناشر المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط/1: 1999م، ص235.

[5] يحيى العلوي، الطراز، ص239.

[6] أحمد عبد السيد الصاوي، فن الاستعارة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، 1979ذ ص344

[7] محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي، ص115.

[8] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص33.

وقد تعددت صور الاستعارة فمنها المكنية والتصريحية والتمثيلية والترشيحية والتجريدية كل منها له خصائصه وميزاته.

وقد رأينا هذه الصور جميعاً في شعر حرب الفرقان، رأيناها متلألئة تسكب من جمالها على المعاني إيضاحاً، ومن دقتها على الألفاظ سحراً وجمالاً، فمن باب الاستعارة نجد الحرب ناراً يوقد جمرها الشعب، والنسوة أسود تزأر، وها هي المساجد والآذن والحجارة والمنابر كلها أشخاص أقسمت اليمين على الجهاد، وحذف المشبه به وأبقي على شيء من لوازمه وهو القسم، إذ يقول الشاعر[1]:

الشـــعب أوقـــد جمرهـــا يـــا معشـــرُ والنســـوة انطلقـــت أســـوداً تـــزأرُ
قـــد أقســـم الشـــعب اليمـــين مجاهـــداً الله فـــوق الظـــالمين وأكبـــرُ
كـــل المســـاجد والمـــآذن أقســـمت حتـــى الحجـــارة رددت والمنبـــرُ

وفي القصيدة أيضاً جعل الشاعر الثورة سيلاً جارفاً يجرف كيد المعتدين، وهذا من باب الاستعارة التصريحية، أما الأمل فقد جعله نباتاً ينبت ويزهر، وذلك في قوله[2]:

وســـيجرف الســـيل العرمـــرم كيـــدهم وســـينبت الأمـــل الجميـــل ويزهـــرُ

الشاعر ينادي على غزة والعدو محيط بها ومطبق عليها كما الفتاة المحاصرة، وهذا من باب الاستعارة، وقد جعل الموت حيوانا مفترساً ينهش لحمها ويمزقه إرباً، أما الغدر فهو شخص يقذف بضغائنه السوداء في الصدور، فيحرقها، وصوت القنابل أشخاص تجيب وتصرخ، وتقول: إن الأسى كاد ينطق من شدة الأهوال في غزة وكل هذا من باب الاستعارة، في قول الشاعر[3]:.

ناديـــتُ غـــزة والعـــدو يلفُّهـــا والمـــوتُ يـــنهشُ لحمهـــا ويمـــزقُ
والغـــدر يقـــذفها بكـــل ضـــغينةٍ ســـوداءَ تنخـــر فـــي الصـــدور وتحـــرقُ
فأجـــابني صـــوت القنابـــل صـــارخاً كـــاد الأســـى بربـــوع غـــزة ينطـــقُ

ومن الاستعارات المتتابعة جعل غزة امرأة تتحدى وتهز عروش الخنوع، أما روحها فهي أيضا تتصدى للعدو، والاستعارة في الخوف الذي تقوم غزة بدفنه وهي تتلو آية الصبر، يقول الشاعر[4]:

---

[1] ديوان الفرقان، قصيدة: قسماً، صبحي ياسين، ص152.

[2] السباق، ص 152.

[3] لأجلك غزة، قصيدة: بدون عنوان، تامر أحمد زكارنة، ص95.

[4] السابق، قصيدة: أنشودة غزة، بسام دعيس أبو شرخ، ص94.

فإن لغزة روحاً تصدتْ

تحدتْ

وهزت عروش الخنوع

ولم تكترث للدمار

وها هي غزة

غزة

قد دفنت خوفها

وتلت

آية الصبر

أما الشاعر أحمد اليوسف فيجعل القصف إنساناً ينشر الموت المحموم في الأحياء في غزة، ويجعل الدماء ماءً يغلي لمنظر الطفل الذي يصيح من الآلام وكذا صراخ الثكلى على أطفالها الممزقين تحت الأنقاض وبين الركام، والاستعارة أيضا في جعل النيران في غزة أشخاصا تشتكي من نيران الشعب المتقدة، يقول [1]:

فالقصف ينشر موته المحموم في أحيائها بزؤامه وحمامه

يا غزة الشماء إن دماءنا تغلي لطفل ضجَّ من آلامه

ولصرخة الثكلى على أطفالها يقضون تحت الهدم بين ركامه

فالشعب نارٌ لو أتى نيران غز ة لاشتكت من وقده وضرامه

وقد عبر شاعر آخر بالاستعارة في قوله (الذنب مزقني) عن مدى تأنيب الضمير الذي يعانيه لما يحدث في غزة واعتذاره عن التخلف عن النجدة، لكن غزة ضربت أعظم مثال في العز والصمود، والاستعارة أيضاً في قوله (قلب ماج) فقد شبه القلب بالبحر المائج المضطرب وحذف المشبه به وهذا من باب الاستعارة المكنية إذ يقول:

يا غزة الخير: جئتُ اليوم معتذراً والذنب مزَّقني يا روحنا إربا

أتيت أركض نحو الباب في شغف تحت الجوانح قلبٌ ماج مضطربا

يا مَنْ ضربت لنا في العز أمثلةً وفي الصمود بلغت الأوج والسحبا

---

[1] ديوان الفرقان، قصيدة: جرح العروبة نازف، أحمد اليوسف، ص284.

وشاعر آخر يستثمر الاستعارة وهو يصور غزة حينما تواجه العدو بكل شراسة وترميه (بسهم تقواها)، إذ يجعل التقوى سهماً نافذاً ترمي به غزة العدو فيعود أدراجه لما رآه من العزم، والاستعارة أيضا في (تخفي له أنياب ضرغامها) إذ شبه تصدي المجاهدين بالأسد الذي لا يدري العدو حدة أنيابه وفتكها. واستعارة ثالثة في وصف الحرب في لفظة (زمجرت)، وكذا الحرب تسخر من أفعال أقزامها وهو العدو الجبان فهو قزم في أفعاله وخنوعه وقلة حيلته، يقول الشاعر[1]:

لمّـــا رأى غـــزة ترمـــي لـــه بســـهم تقواهـــــــــا وصَمْصَـــــــــامِها
عـــــاد إلـــــى أدراجـــــه خائفـــــاً ممـــــا رأى مـــــن عـــــزم صُـــــوّامها
يـــا ويلـــه مـــا كـــان يـــدري بمـــا تخفـــي لـــه أنيـــاب ضـــرغامها
كـــــذلك الحـــــرب إذا زمجـــــرت تســـــخر مـــــن أفعـــــال أقزامهـــــا

وفي رسم الملحمة البطولية لغزة وأهلها ويجعل الشاعر غزة مجد العروبة القادم وذلها المنتهي، بسبب فرسانها الصيد وقلبها الشجاع، فقد زخرت الأبيات بالاستعارات مثل: (تعطري بدماء فرسان الحمى) فقد جعل دم الشهداء عطراً تتعطر به غزة لتتطهر من رجس الاحتلال، وكذا قوله (يرجع المجد) فالمجد شخص يعود للأمة، أما قوله (رضعوا الفدا) فقد جعل الفداء حليباً يرضع من قلب غزة الشجاع، وكذا الاستعارة في (كأس الصبر) فجعل الصبر مشروباً في كأس يعطي النشوة والعزم، يقول الشاعر[2]:

بـــك يرجـــع المجـــد القـــديم فينتهـــي ذلُّ العروبـــــة فاصـــــبري واستبشـــــري
فرســـانك الصـــيد الألـــي رضـــعوا الفـــدا مـــن قلبـــك النهـــر الشـــجاع القســـورِ
يســـقون كـــأس الصـــبر طـــول صـــمودهم فيعـــــود منتشـــــياً بعـــــزم مســـــكرِ

ومن الشعراء مَنْ استثمر الاستعارة في جعل غزة طائرا جارحاً له مخالب (مخالب غزة)، والاستعارة أيضا في (أدمت أقدام الدبابة) إذ جعل الدبابة حيواناً أدمت غزة أقدامه، والاستعارة في (واقتلعت من وجه الممسوخ عيونه)، وكذا في قوله (جاءت الشمس) إذ جعل الشمس فتاة تسأل عن الجراحات وتواسي غزة ليعود إليها عزمها وقوتها، يقول الشاعر[3]:

غزة صارت مَضرِبَ مثل

مخالب غزة أدمت أقدام الدبابةْ

---

[1] موقع أوفاز الأدبي، قصيدة على قمم النصر، www.afaz.com، عبد الرحمن العشماوي.

[2] الفرقان: قصيدة: يا غزة الأحرار هاك تعطري، صالح أحمد، ص161.

[3] عبد الفتاح أبو زايدة، دموع بلا عيون، قصيدة: النبع، ص45.

واقتلعت من وجه الممسوخ عيونهْ

جاءت الشمس تسأل عن جراحاتي

قالت ستشفى أيها الجرح

ويرجع مرة أخرى

إليك العزم والقوةْ

الصورة الكلية:

إن القالب الشعري بما فيه من لفظ وخيال وتجربة وصورة وعاطفة يخرج القصيدة ببهائها ورونقها في ألق ونضارة، كل هذا متآزر مع بعضه البعض، "وعلى هذا الأساس فالقصيدة ربما تكون مكونة من مقطوعات وكل مقطوعة تمثل صورة جزئية، وبالتالي مجموع هذه المقطوعات أو الجزئيات يمثل الصورة الكلية"[1].

وقد تكون الصورة الكلية في القصيدة على شكل أسلوب قصصي أو حواري بشخصياته وأحداثه، "ولعل أهم ما تتميز به الصورة التي في هذا النوع من القصائد هو أنها تكون صوراً ممتدة ومتلاحقة يتولد بعضها من بعض"[2].

وتتميز الصورة الكلية باكتمال أجزائها بحيث يتمتع القارئ بألوانها الزاهية وحركتها المتتابعة وأصواتها التي يتردد صداها في الآذان "فتلمع الصورة وتسطع في الوجدان، ويتم من خلالها استنطاق الجماد، وتحويل القبح إلى جمال على أن تكون الصورة مترابطة متصلة ببعضها البعض لإظهار العمل الفني فيه مكتملاً وهو الصورة الكلية"[3].

ومن البدهي أن تختلف الصورة من شخص لآخر وذلك لأنها تعتمد على نفسية الشاعر والحالة التي يمر فيها "ولهذا فإن جميع الصور لا تسير في مستوى واحد ولكنها تصب في خانة الإبداع"[4].

---

[1] يحيى الأغا، الصورة الفنية والوجدان الإسلامي في شعر فدوى طوقان، دار الحكمة للنشر، غزة، ط/1: 1418هـ – 1998م، ص150.

[2] عاطف أبو حمادة، الصورة الفنية في شعر محمود درويش، ص185.

[3] يحيى الأغا، الصورة الفنية والوجدان الاسلامي في شعر فدوى طوقان، ص118.

[4] السابق، ص117.

ومن الصور الكلية ما يتكون نتيجة تكرار الصور الجزئية من تشبيه واستعارة وكناية، وتآلفها وامتدادها في جسد القصيدة حتى نهايتها، فتتغلغل كما العروق التي ينساب فيها الدم باثا الحياة والحيوية والنشاط خلالها.

ومن الصور الكلية التي وردت في شعر حرب الفرقان وما يخص المرأة فيه ما نجده في قصيدة (غزة حورية الأرض) فهي تحكي قصة الحرب على غزة، وقد صورها الشاعر بأنها فتاة حسناء نائمة، طاهرة لكنها استفاقت على بحر من الدماء.

وقد استخدم الصور الجزئية مثل: نامت الحسناء، وبحر من دموع ودماء، و فاح الشهداء، والصبح آت، والتضاد بين نامت واستفاقت وبيع وشراء، والمقابلة وحسن التقسيم في إن للموت ابتداء ليس للخلد انتهاء، وأما الموسيقى الداخلية من تناسق الألفاظ ودقتها وما جاء من جناس بين (دموع ودماء) والروح والأرواح، وبين يهمي وهم، وبين شاءوا و شاء، والموسيقى الخارجية فالبحر واحد، واستخدام القافية الموحدة للقصيدة وهي الهمزة المسبوقة بمد الألف وهي ساكنة توحي بسكون الحال وجمود الاحتلال وجثومه على فلسطين، ونجد اللون في الأحمر والأخضر، وكذا الرائحة في رائحة العطر ورائحة الشهداء الزكية وما ينطلق من رائحة احتراق الجثث في كلمة (شواء)، أما الصوت والحركة فنجدها في القصف وحركة البيع والشراء وحركة حفر الخندق وأصواتهم أثناء ذلك، يقول الشاعر[1]:

نامـــــت الحنســـــاء غرثـــــي ... مـــــن لحـــــوم الأبريـــــاءْ
واســـــتفاقت فـــــوق بحـــــرٍ ... مـــــن دمـــــوعٍ ودمـــــاءْ
واذا بـــــــــــالروح والأر ... واح حلّـــــــــت بالفنـــــــاءْ
قصـــــفت قـــــارورة العـــــط ... ر ففـــــــاح الشـــــــهداءْ
فضـــــــعي الأحمـــــــر والأخ ... ضـــــر وامشـــــي فـــــي بهـــــاءْ
....
احزمـــــي خصـــــرك وامضـــــي ... لا تعـــــــودي للـــــــوراءْ
خلفـــــك السمســـــار مشـــــغو ... لٌ ببيـــــــعٍ و شـــــــراءْ
خلفـــــك الخنـــــدق محفـــــو ... رٌ بأيـــــــدي الحكمـــــــاءْ
دمعهـــــم يهمـــــي وهـــــم مـــــن ... قـــــــدموك للشـــــــواءْ
غيـــــــر أن الصـــــــبح آتٍ ... دون شـــــــك أو مـــــــراءْ

---

[1] ديوان الفرقان، حسن يوسف كمال، ص34-35.

لـــــــــــيس إن شـــــــــــاؤوا فـــــإن الله رب البيـــــت شـــــاءْ
كلمـــــــا مـــــــات شـــــــهيدٌ عـــــاد حيـــــاً فـــــي المســـــاءْ
صـــــائحا فينـــــا: فـــــلا نـــــا مـــــــت أعـــــينُ الجبنـــــاءْ
إن للمـــــــــــوت ابتـــــــــداءً لـــــــيس للخلـــــــد انتهـــــاءْ

أما في اللوحة الفنية الشعرية (هي غزة هي صفعة كبرى لنا) وتحكي حال غزة وما آلت إليه من جوع وعري، وحال العرب من شبع وبذخ وترف في المقابل صورة الصمود لأهل غزة والمجد والعلو، نجد ذلك كله من خلال الصورة الجزئية التي أنتجتها التشبيهات والاستعارات والكناية، فمثلاً كتشبيه الولائم بجبال أطلس، وعن غزة (هي عرينا)، و(إنك نجمة)، و(هم كالليل)، وأما الاستعارة في قوله (جاعت) وكذا (الجوع ينهش لحمها) و (البحر يسجد) و (جناح عزك) و (المجد يحتمي)، أما الكناية عن الصمود في قوله (جبال غزة لا تنال بأسهم) وكناية عن المجد والعلو: منك النخيل تعلمت قاماته، بالإضافة إلى الصوت والحركة في صفعة كبرى (اللحم ينهش) و سهام ترشق، و (يسجد للجبين)، (يفيض كما السيول)، واللون في جبال أطلس و الآهة الحمراء، وبريق النجوم وسواد الليل وظلامه والبحر بلونه الأزرق الخلاب والنخيل بخضرته ونضارته، يقول الشاعر[1]:

هـــي غـــزة، هـــي صـــفعةٌ كبـــرى لنـــا هـــي عرينـــا المفضـــوح دون تحشـــمِ
جاعـــت وجاعـــت والـــولائم عنـــدنا كجبـــال أطلـــس مـــع شـــرابٍ عـــائمِ
والجـــوع يـــنهش لحمهـــا بضـــراوة واللحـــم يـــنهش عنـــدنا بـــولائمِ
بـــذخٌ يفـــيضُ كمـــا الســـيول بعيشـــنا وهـــم الســـيول دمـــوعهم فـــي مـــأتمِ
....
والآهـــة الحمـــراء تشـــعل أضـــلعي لمـــا مصـــابك يســـتفيض علـــى فمـــي
إن جوعـــوك فـــذاك أنـــك نجمـــةٌ عليـــت، وهـــم الليـــل حولـــك مظلـــمِ
هـــذي ســـهام الحقـــد ترشـــق غـــزة وجبـــال غـــزة لا تنـــال بأســـهمِ
كـــم مجـــرمٍ قـــد جاءهـــا لكنهـــا تبقـــى العصـــية ضـــد أعتـــى مجـــرمِ
أ أميـــرة البحـــر العريـــق تحيـــةً البحـــر يســـجد للجبـــين القـــائمِ
منـــك النخيـــل تعلمـــت قاماتـــه والمجـــد تحـــت جنـــاح عـــزك يحتمـــي

ولوحة فنية أخرى تتألق صورها الجزئية وتتكامل بألوانها وأصواتها وما فيها من حركة، قصيدة (وتشرق غزة كالوردة) إنها غزة الحسناء تشرق كالوردة، لها طل جميل يتقاطر عطراً، والنور

---

[1] ديوان الفرقان، مرتضى شرارة، ص303.

يداعبها وهي تختال فخراً بهذا النصر الذي تقهقر له الجيش ذو الخرافة التي يدعيها بأنه لا يقهر، وها نحن نسمع شدو الطيور بألحانها العذبة رغم ما خلفه العدو من دماء روت التراب كالبحر، ولا ننسى صورة النساء يزغردن لكل شهيد توسد في قبره قرير العين، في المقابل نرى غزة توقظ حكامنا العرب وهم يغطون في سباتهم الطويل فماذا يا ترى لديهم؟، يقول الشاعر[1]:

وتشـــــرق غـــــزة كـــــالوردة فجـــــرا ... بطـــــلٌ جميـــــلٍ تقـــــاطر عطـــــرا

يـــــداعبها النـــــورُ مـــــلءَ الجفـــــون ... تمـــــايس بـــــالعز يختـــــال فخـــــرا

شـــــدتها الطيـــــور بأعـــــذب لحـــــن ... يغـــــرد نصـــــراً يلِّـــــوح بشـــــرا

أغـــــزة أيُّ انتصـــــارٍ جليـــــلٍ ... تـــــلألأ مـــــن وجهـــــك اليـــــومَ دُرّا

هزمـــــت الحشـــــود التـــــي أظهـــــرت ... قـــــوى لا تضـــــاهى زهـــــاءً وبطـــــرا

وحطَّمـــــت أســـــطورةً دبجتهـــــا ... خرافـــــات صـــــهيونَ للنـــــاس قهـــــرا

رأت أعـــــين العـــــالمين صـــــموداً ... يجـــــرُّ الخيـــــالَ إلـــــى العقـــــل جـــــرّا

دمـــــارٌ تغلغـــــل فـــــي كـــــل تُـــــربْ ... ســـــقته الـــــدماء مـــــن الحـــــرب بحـــــرا

ومـــــا هـــــدَّ عـــــزمُ الاشـــــاوس مـــــوتٌ ... لألفيـــــة مـــــن ليوثـــــك جـــــزرا

ولكـــــنّ مـــــا اختيـــــر فصـــــل الخطـــــاب ... لـــــدى الحســـــنين يـــــؤرَّخ دهـــــرا

وظلّـــــت نســـــاءٌ لكـــــل شـــــهيد ... تزغـــــرد حـــــين يوسَّـــــد قبـــــرا

وأيقظـــــت حكامنـــــا مـــــن ســـــباتٍ ... طويـــــلٍ عســـــاهم ســـــيبدون أمـــــرا

---

[1] ديوان الفرقان، عمر طرافي البوسعادي، ص137.

الخاتمة:

بفضل الله ومَنَّهِ، فقد أنهت الباحثة هذه الدراسة عن صورة المرأة في شعر حرب غزة 2009/2008 وقد اشتملت الدراسة على تمهيد وأربعة فصول، تناولت فيها الباحثة الصور المشرقة للمرأة الفلسطينية خلال الحرب وقد توصلت إلى النتائج التالية:

- الفترة الزمنية للحرب قصيرة في عداد الزمن (23 يوما) إلا أن نجم المرأة الفلسطينية بزغ ساطعاً في سماء غزة فهي الأم ، والزوجة، والأخت، والابنة.. الصابرة المحتسبة والمناضلة الثائرة والمكلومة.
- هب الشعراء مستنكرين الحرب وبشاعتها وقد اختلفت جنسياتهم واتحدت رؤاهم لمكانة المرأة ودورها في حرب غزة، وإن كنا قد لاحظنا تعويلهم عليها في تحمل المصائب وتثوير الأبناء وإقالة العثرة، وبث روح الأمل والصمود.
- جاءت الأشعار مفعمة بالحماسة، فياضة بالحقد على العدو الصهيوني الذي قتل النساء ويتم الأطفال وهدم البيوت على رؤوس أهلها.
- لاحظت الباحثة شدة العتب على الأمة العربية لتخاذلها لما حدث في غزة، وخاصة الشعراء العرب الذين عبروا عن مواقفهم من الزعماء العرب، وتعاطفهم مع الفلسطينيين.
- امتازت الأشعار التي تناولتها بصدق العاطفة لأنها نابعة عن تجربة حقيقية عايشها الشعراء المسلمون فالموريتاني لا يختلف عن الحجازي أو الشامي في رصد الحدث والتأثر به.
- بشرت العديد من القصائد موضوع الدراسة بفجر الحرية العربية الذي سيبزغ من فلسطين كما ترون.
- أظهر البحث استهداف العدو المرأة الفلسطينية طفلة وفتاة وامرأة حامل وعجوز، وكأنه يؤكد على دورها في رفد المقاومة بالمقاتل المعد للصمود والشهادة في سبيل الله..
- أن المرأة الفلسطينية قادرة على الصمود ولم تسقط أبداً أمام حالات الاحباط بل تتماسك وتبدأ من جديد وأن ما ظهر من صور حزنها ومعاناتها كان للتأكيد على إنسانيتها وصلابة ايمانها بقضيتها.
- ستظل المرأة الفلسطينية رمزاً للوطن والأرض، رمزاً ملتحماً بالعمل الشعري فنياً كل الالتحام، هذا ما رأيناه في ثنايا البحث.

ملخص الدراسة:

العنوان: "صورة المرأة في شعر حرب غزة 2008–2009م"

وقد قسمت الباحثة الدراسة إلى تمهيد وأربعة فصول وخاتمة على النحو التالي:

التمهيد: نبذة عن تاريخ فلسطين وقد تناولت الباحثة خلالها ملابسات حرب الفرقان وعرَّجت على المرأة ونظرة المجتمع لها ودورها فيه.

الفصل الأول: المرأة المناضلة، تناولت الباحثة فيه دور المرأة في التعبئة والتثوير والصمود والمقاومة ومصابة وشهيدة.

الفصل الثاني: المرأة الثكلى، التي استشهد أحد أقاربها أو فقدت المأوى بنسف منزلها أو تجريف أرضها أو من حرمها الاحتلال أحلامها وسعادتها.

الفصل الثالث: المرأة الرمز، وقد تناولت الباحثة فيه المرأة رمز التضحية والفداء، والمرأة رمز الأرض، والمرأة رمز السكن والطمأنينة.

الفصل الرابع: الدراسة الفنية، تناولت فيها الباحثة بعض الظواهر اللغوية والصورة الشعرية التي برزت في شعر حرب غزة 2008–2009.

الخاتمة: وقد رصدت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

المصادر:

1. إحسان عباس: إبراهيم طوقان (الأعمال الشعرية الكاملة)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية: 1993م.
2. أسامة جمعة الأشقر: ديوان الفرقان، الطبعة الأولى، دمشق، 2009م.
3. بسام المناصرة: نفير الملائكة، أصدرها ونشرها: بسام المناصرة، الطبعة الأولى، غزة، فلسطين، 2011م.
4. الحسين بن أحمد الزوزوني: شرح المعلقات السبع، دار الجيل، بيروت، ومكتبة المحتسب، عمان، ط/2: 1972م.
5. حلمي الزواتي: ترفض السرج الجياد، الطبعة الأولى، مؤسسة السنابل الثقافية، 1982م.
6. حلمي الزواتي: عبير الدماء، مكتبة الخلود الكبرى، الطبعة الأولى: 1973م، الطبعة الثانية، 1976م.
7. حنان عواد: اخترت الخطر، إصدارات اتحاد الأدباء والكتاب الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، الطبعة الأولى، 1988م.
8. رحاب كنعان: شلال الفصول الثمانية، مطبعة الرسالة، غزة، الطبعة الأولى، 2007م.
9. زهير أبو قطام: الثلاثية الحمراء، نشر بدعم من أمنة عمان، بمطابع الخبرة، عمان، الأردن، 2004م.
10. سليم الزعنون: ديوان وهكذا نطق الحجر، الطبعة الأولى، عمان، الأردن 2001م.
11. سليم الزعنون: ديوان يا أمة القدس، المؤسسة العربية للدراسات، ، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان 1995.
12. سماح ضيف الله المزين: وطن تدفأ بالقصيد، الطبعة الأولى، رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين، فلسطين 2011م.
13. سميح القاسم: ديوان، د. ط، دار العودة، بيروت، 1987م.
14. صالح عمر فروانة: مفردات فلسطينية، إصدارات رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين، 2011، ج/2 (انتفاضة الأقصى).
15. صفاء زيتون: عصافير على أغصان القلب، الطبعة الأولى، دار الفتى العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1985م.
16. صقر أبو عيدة: لمن يبكي (مجموعة شعرية)، الطبعة الأولى، دار البيضاء للنشر، غزة، فلسطين، 2010م.

17. عبد الكريم السبعاوي: ديوان: متى ترك القطا، (قصيدة لا وقت للحزن)، دار النورس للنشر، غزة، فلسطين، الطبعة الأولى: 1969م.
18. عبد الهادي القادور: وطن ينزف، الطبعة الأولى، منشورات مركز الرحمن الثقافي، مكتبة بلدية النصيرات، 2004م.
19. عمر أبو ريشة: الديوان، دار العودة، بيروت، لبنان، د.ط، 1996م.
20. عمر خليل عمر: مرتبة الشرف العربي، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطيني، الطبعة الأولى: أغسطس، فلسطين 2001م.
21. فايز أبو شمالة: رياحين بين مفاصل الصخر، سجن نفحة إصدار جمعة الأسرى والمحررين، 2001م.
22. فدوى طوقان: الديوان، دار العودة، بيروت، لبنان، 1988م.
23. مؤيد عثمان البحش: الخيول تموتن واقفة في ميادينها، اتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين، ديسمبر 1974م.
24. محمد صيام: ملحمة الانتفاضة، مركز الراية العربية للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى: رمضان، 1990م.
25. محمود درويش: ديوان، دار العودة، الطبعة الرابعة، بيروت، لبنان، 1996م.
26. معين بسيسو: قصائد مختارة، منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية، بدعم من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم–اليكسور، مطبعة المنار الحديثة، (د. ط)، (د. ت).
27. موسى إبراهيم أبو دقة: جمع واعد ديوان الشعراء العرب في معركة الفرقان 2009: "ديوان لأجلك غزة"، منشورات منتدى أمجاد الثقافي، غزة، فلسطين، الطبعة الأولى: 2009م.
28. النابغة الذبياني: ديوان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، د. ط، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1977م.
29. نزار قباني: الأعمال السياسية الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت، الطبعة الخامسة، 1993م.
30. هارون هاشم رشيد: ثورة الحجارة، دار العهد الجديد للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، 1988م.
31. هارون هاشم رشيد: وردة على جبين القدس، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى: 1998م.
32. يحيى الدين الصفدي: من فلسطين وإليها، حلب، الطبعة الأولى: 1975م.

33. يوسف العظم: الأعمال الشعرية الكاملة، الطبعة الأولى، دار البيضاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 2003م.

المراجع:

34. إبراهيم أبو جابر وآخرون: جرح النكبة، مركز الإعلام العربي، الجيزة، مصر، الطبعة الأولى، 2007م.
35. إبراهيم الحصر القيرواني: زهر الآداب وتمر الألباب، دار الجيل للنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 1972، ج1.
36. إبراهيم خليل: مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر، عمان، الأردن، 1993م.
37. إبراهيم محمد الجمل: حياة المرأة المسلمة (منهاج شامل لحياة النساء في الدنيا والآخرة) الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1997هـ.
38. ابن أبي الإصبع: تحرير التجير، تحقيق محمد شرف، وزارة الأوقاف المصرية، د. ط، القاهرة، 1995م.
39. ابن الأثير: المثل السائر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبابة، القاهرة، 1992م.
40. ابن الهاشمي: تصدير محمد الغزالي، الداعية زينب الغزالي، مسيرة جهاد وحديث من الذكريات من خلال كتاباتها، دار الاعتصام، د.ط، القاهرة 1988م.
41. ابن طباطبا: عيار الشعر، تحقيق: محمد زغلول سلام، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، لبنان، 1998م.
42. أبو داود سليمان بن الأشفت السجستاني (202هـ-275هـ): سنن أبو داود، حكم على أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة دار المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط/1، 1988م.
43. الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية: صور من نضال المرأة الفلسطينية، بيروت، لبنان، 1975م.
44. إحسان عباس: فن الشعر، دار صامد بيروت ودار الشرق، عمان ط/1: 1996م.
45. أحمد سيد محمد: دراسات في الأدب العربي، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986م.
46. أحمد عبد السيد الصاوي: فن الاستعارة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، القاهرة، 1979م.

47. لأحمد محمد الميداني: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط/2، 1987م.
48. أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، ربيع ثاني 1414هـ.
49. أدونيس: زمن الشعر، دار العودة، بيروت الطبعة الأولى، 1972، الطبعة الثانية، 1978م.
50. أسامة محمد أبو نحل: تاريخ فلسطين القديم، الطبعة الثالثة، 2001م.
51. أسامة يوسف شهاب: الحركة النسوية في فلسطين، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط/1: 2000م.
52. أسماء محمد أحمد زيارة: دور المرأة السياسي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، دار السلم للطباعة، ط/1: 1412هـ- 2001م.
53. إسماعيل عبد اللطيف الأشقر ومؤمن محمد غازي بسيسو: المرأة الفلسطينية في دائرة الاستهداف الصهيوني، المركز العربي للبحوث والدراسات، 2004م.
54. أكرم أبو سمرة: المرأة الفلسطينية، درس في الانتفاضة، الطبعة الأولى، مطبوعات الإعلام الموحد، تونس، 1989م.
55. إمام عبد الفتاح إمام: أسطورة والمرأة، الطبعة الثالثة، مكتبة مدبولي، القاهرة 1996م.
56. إمام عبد الفتاح إمام: أفلاطون والمرأة، الطبعة الثالثة، مكتبة مدبولي، القاهرة 1996م.
57. الإمام عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: ت 256هـ، صحيح البخاري، المفتي به أبو صهيب الكرمي، د.ط ، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، 1998م.
58. أمين المبيض، جنين غراد: الاجتياح الإسرائيلي ومجزرة المخيم، د.ط، مكتبة مدرسة الرافعي، نيسان، 2002م.
59. أوراق عارف العارف: (المجموعة الثالثة) الدور التي هدفها الإسرائيليون، غزة نافذة على الجحيم، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية الدار العربية للموسوعات، د.ط بيروت، لبنان، 1973م.
60. أوراق عارف العارف: المجموعة الثانية، المعذبون في السجون الإسرائيلية من أبناء فلسطين 1967م- 1972م، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، الدار العربية للموسوعات، د. ط، بيروت، لبنان، 1973م.
61. بثينة شعبان: المرأة العربية في القرن العشرين، الطبعة الأولى، دار الثقافة للنشر، سوريا، دمشق، 2000م.

62. تقييم الأثر البيئي على قطاع غزة، 2008/12/27م- 2009/1/18م، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، قسم الأرشيف والمعلومات، بيروت، لبنان 2009م.
63. التوثيق الإحصائي لجرائم الحرب الإسرائيلية خلال عدوانها على غزة، 2008-2009م.
64. جابر عصفور: النقد الأدبي، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 2003م.
65. جهاد شعبان البطش: الاستيطان الصهيوني في قطاع غزة، الطبعة الأولى، مكتبة اليازجي، غزة، فلسطين، 2003م.
66. جواد محمد ومجموعة من المؤلفين: المدخل إلى القضية الفلسطينية، مركز دراسات الشرق الأوسط، الطبعة الأولى، عمان الأردن، 1997م.
67. حاتم أبو زايدة: الحرب على غزة (2008/12/27م- 2009/1/18م)، كانون ثاني، 2010م.
68. حاتم الصكر: كتابة الذات، دراسات في وقائعية الشعر، الطبعة الأولى، دار الشروق للنشر، عمان، الأردن، 1994م.
69. الحافظ بن حجر العسقلاني: فتح (البَاري) بشرح صحيح البخاري، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر، 2000م.
70. حسان رشاد الشامي: المرأة في الرواية الفلسطينية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، مكتبة الأسد الوطنية، دمشق، 1998م.
71. حسن عبد الرحمن سليم: الفصول اليانعة في أدب العصور المتتابعة، من بداية الحروب الصليبية حتى نهاية الدولة المملوكية، مطبوعات جامعة الولايات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 2005م.
72. حسن محمد سلامة: (شوقي فلسطين) (أبو زهير حسن محمد عبد الرحمن محمد سلامة) الملقب بحسن أفندي، أعده وقدم له: يحي جبر، منشورات الدار الوطنية للترجمة والطباعة والنشر، 1999م.
73. حسني أدهم جرار: شاعرات معاصرات، الطبعة الأولى، مؤسسة الزيتونة للنشر، عمان، الأردن، 2001م.
74. حسني عبد الجليل يوسف: المرأة عند شعراء صدر الإسلام، الطبعة الأولى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م.
75. الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم الخفاجي، الطبعة الرابعة، دار الكتاب اللبناني، 1975م.

76. خنساء دوعر: خنساء من فلسطين، الطبعة الأولى، الجزء الأول، مركز الإعلام العربي، الجيزة، مصر، 2008م.
77. دور المرأة في الانتفاضة، مطبوعات الإعلام الموحد، مطبعة تونس قرطاج، تونس، 1969م.
78. رايا لينا بونامكي: الصحة النفسية للنساء الفلسطينيات تحت الاحتلال الإسرائيلي، ترجمة: د. أحمد بكر، جمعية الدراسات العربية، القدس، 1988م.
79. رجا سمرين: شعر المرأة العربية المعاصر (1945- 1970م)، الطبعة الأولى، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 1990.
80. رجاء عيد: لغة الشعر، الناشر منشأة المعارف، الإسكندرية، 1985م.
81. رحاب كنعان: تل الزعتر (مملكة التنك وجمهورية الثوار)، الطبعة الأولى، المركز القومي للدراسات والتوثيق: غزة، 2001م.
82. رضوان دعبول: تراجم أعلام النساء، إعداد إدارة البحث والإعداد في مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1998م.
83. رواية البورنو: الحرب على غزة، الطبعة الأولى، دار فارس للنشر، عمان، 2009م.
84. رويدا عماد البربري: نساء في حياة الأنبياء والرسل، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، دمشق، سوريا، 1991م.
85. زكي العيلة: المرأة في الرواية الفلسطينية، مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة، الطبعة الأولى، رام الله ، فلسطين 2003م.
86. سعاد الدعالسة وأخريات: أسلحة الاحتلال الإسرائيلي خلال العدوان على غزة (2008- 2009م)، الطبعة الأولى، اللجنة المركزية للتوثيق "توثيق"، غزة، فلسطين، 2010م.
87. سلافة حجاوي: في التاريخ السياسي الفلسطيني، الطبعة الأولى، الناشر هو المؤلف، فلسطين 2000م.
88. سلمى الخضراء الجيوسي: موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان 1997م.
89. سليم المبيض: غزة وقطاعها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، القاهرة 1987م.
90. سهام عبد الوهاب الفريج: المرأة العربية والإبداع الشعري، دار جرير للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الاردن، 2010م.
91. شاكر النابلسي: مجنون التراب، دراسة وشعر وفكر محمد درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1987م.

92. شريف كناعنة وعبد اللطيف البرغوثي: مناضلة فلسطين (سميحة خليل) جمعية الفاش الأسرة، د. ط، البيرة لجنة الأبحاث الاجتماعية والتراث الفلسطيني، 1992.
93. الشنقيطي، أحمد بن الأمين: (اعتنى به وصححه)، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، دار الكتب العلمية، (د. ط)، (د. ت) بيروت، لبنان.
94. صالح أبو إصبع: الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة (منذ 1948م- 1975م دراسة نقدية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1979م.
95. صحيح البخاري: بعناية: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ.
96. الطبراني: المعجم الكبير، حققه: حمدي عبد الحميد السلفي، الطبعة الثانية، دار أحياء التراث العربي، 1984م.
97. عائشة عبد الرحمن: بنت الشاطئ، الطبعة الأولى، تراجم سيدات بنت النبوة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 1998م.
98. عادل أبو عمشة: قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث في مصر، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيرون، ودار عمار، عمان، 1987م.
99. عاطف أبو حمادة: الصورة الفنية، في شعر محمود درويش، الاتحاد العام للمراكز الثقافية، د. ط، غزة، 1998م.
100. عباس محمود العقاد: المرأة في القرآن، إشراف داليا محمد إبراهيم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط: أغسطس، القاهرة 2003م.
101. عبد الإله الصائغ: الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنية، الطبعة الأولى، الناشر المركز الثقافي العربي، بيروت 1999م.
102. عبد الإله بلقزيز: هكذا تكلم محمود درويش، دراسات في ذكرى رحيله، الطبعة الأولى، مركز الدراسات الوحدة، بيروت لبنان، نوفمبر، 2009م.
103. عبد البديع عراق: صورة الشهيد في الشعر الفلسطيني المعاصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، (كتابات نقدية شهرية) (153)، ديسمبر، عكا ، فلسطين 2004م.
104. عبد الرحمن حوطش: شعر الثورة في الأدب العربي المعاصر، (د. ط)، (د.ت)، مكتبة المعارف للنشر، الرباط، رقم الايداع، 1987م.
105. عبد العزيز الشناوي: نساء الصحابة، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة 1988م.
106. عبد العزيز عتيق: علم البيان، د. ط، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت 1974م.
107. عبد العزيز عتيق: علم المعاني، دار النهضة العربية في بيروت، 1974م.

108. عبد الفتاح أبو زايدة: دموع بلا عيون، من إصدارات رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين، 2010م.
109. عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، د. ط، دار المعرفة للنشر، بيروت، لبنان، 1981م.
110. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، شرحه وعلَّق عليه: محمد ألتُنجي، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة (د.ت).
111. عبد القدوس أبو صالح ومحمد رجب البيومي: من شعر الجياد في العصر الحديث، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان 1985م.
112. عبد الله حوراني: لماذا نكتب ولمن؟ (رؤية للوضع الفلسطيني)، الطبعة الأولى، منشورات المركز القومي للدراسات والتوثيق، غزة، 2000م.
113. عبد الله عبد الرزاق مسعود السعيد: الطب وارئداته المسلمات، الطبعة الأولى، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن 1985م.
114. عبد الوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث، الطبعة التاسعة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان 1985م.
115. عدنان عبد الرحمن أبو عامر: الانتفاضة الفلسطينية الكبرى في قطاع غزة (1987-1993م)، المركز العربي للبحوث والدراسات، غزة، فلسطين، 2005م.
116. علي بن ظافر الأزدي: غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات تحقي: محمد زغلول سلام ومصطفى الصاوي الجويني، د. ط، دار المعارف بمصر، 1983م.
117. عمر كحالة: المرأة في عالمي العرب والإسلام، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا، 1978م.
118. عوني محمد العلوي وعبد الحميد جمال الفراني: أعلام النساء الفلسطينيات، بحث غير منشور.
119. غازي الخليلي: المرأة الفلسطينية والثورة، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، حزيران 1977م.
120. غازي السعدي ونواف الزور وغسان كمال: توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة (1981م)، الطبعة الأولى، الكتاب السنوي، هيئة الرصد والتحرير، المؤسسة العربية، دار الجيل للنشر، عمان، 1982م.
121. فارس مشتهى: نبضات قلب من ارض الرباط، الطبعة الأولى، مكتبة ومطبعة دار الأرقم، غزة، فلسطين، 2004م.
122. فايز أبو شمالة: السجن في الشعر الفلسطيني، 1967- 2001م، الطبعة الأولى، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، رام الله، فلسطين، 2003م.

123. فتحي سلامة: المرأة والتنمية، بين الواقع المتاح والمستقبل المأمول، الطبعة الأولى، مكتبة الأسرة، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2001م.
124. فهد ناصر عاشور: التكرار في شعر محمود درويش، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للنشر، عمان، الأردن، 2004م.
125. قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، (د.ط) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
126. كاظم جهاد: أدونيس منتحلاً، (دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، 1993م.
127. لجنة شئون المرأة: الخنساء أم الشهداء، الطبعة الثانية، نقابة الصيادلة، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، الأردن، 1992م.
128. محمد إبراهيم حور: تربية الأبناء- في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي، الطبعة الأولى، مكتبة المكتبة، أبو ظبي، 1980م.
129. محمد أبو نصيرة: في كل سنة، من إصدارات رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين، غزة ، فلسطين 2010م.
130. محمد أحمد أبو غريبة: مواكب النضال، الطبعة الأولى، مطبعة الاعتصام، 1968م.
131. محمد أحمد ومولاي بابوي وبشرى عليطي: البيئة الإيقاعية في شعر عز الدين المناصرة، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، الطبعة الأولى، القدس 1998م.
132. محمد إسماعيل عمَّار: صورة الحجر الفلسطيني في الشعر السعودي، الطبعة الأولى، مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 2003م.
133. محمد بن سنان الخفاجي: سرُّ الفصاحة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت 1982م.
134. محمد بن علي السكاكي: الطبعة الثانية، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر، مصر 1990م.
135. محمد حماسة عبد اللطيف: الجملة في الشعر العربي، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة 1990م.
136. محمد حماسة عبد اللطيف: ظواهر نحوية في الشعر الحر، (د.ط)، طبعة مطبعة الخانجي، القاهرة 1990م.
137. محمد شحادة عليان: الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث، الطبعة الأولى، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1987م.

138. محمد عبد عبد الله عطوات: الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، الطبعة الأولى، من 1918م- 1968م منشورات دار الآفات الجديدة، فلسطين.
139. محمد محمد أبو موسى: الإعجاز البلاغي، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة، القاهرة ، مصر 1997م.
140. محمد ونعمان علوان: من بلاغة القرآن الكريم، الطبعة الرابعة، مطبعة الرنتيسي للنشر، غزة 2009م.
141. محمود دراجسة: تشكيل المعنى الشعري، (قراءة نقدية)، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، 2010م.
142. محمود منذور: الأدب وفنونه، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996م.
143. مصطفى حسني الصواف وآخرون: شهداء أيام الغضب، د. ط، إصدار مكتبة الجيل، بالتعاون مع موقع صابرون، غزة، فلسطين، 2004م.
144. معاناة قطاع غزة تحت الحصار الإسرائيلي، مركز الزيتونة للدراسات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2008م.
145. الموسوعة الفلسطيني: القسم العام في أربع مجلدات، المجلد الأول(1-ث)، إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية، الطبعة الأولى، دمشق، 1984م.
146. ميسون العطاونة الوحيدي: المرأة الفلسطينية والاحتلال الإسرائيلي، جمعية الدراسات العربية، القدس، فلسطين، 1989م.
147. نادي ساري الديك: جراحات حيفا- عذابات الكرمل، (الشكل والمضمون في شعر محمود درويش) مؤسسة الأسوار، عكا 2003م.
148. ناهض محسن: الشخصية الإسلامية في الشعر الفلسطيني، الطبعة الأولى، مكتبة اليازجي، غزة، فلسطين، 2008م.
149. نبيل أبو علي وآخرون: دراسات في أعمال الشاعر والروائي عبد الكريم السبعاوي، منشورات وزارة الثقافة، عمان ومنشورات مطابع الجراح، غزة، 2000م.
150. نبيل أبو علي: في نقد الأدب الفلسطيني، دار المقداد للطباعة، غزة، فلسطين 2001م.
151. نبيل أبو علي: شاعرات عصر الإسلام الأول، دار الحرم المتراث، القاهرة،2001م.
152. نخبة من الكتاب والباحثين: القضية الفلسطينية في قرن، الطبعة الأولى، منشورات فلسطين المسلمة، لندن، 1999م.
153. نسيبة بينت فيصل الحجي: الأمومة في الشعر السوري المعاصر، الطبعة الأولى، دار القلم للنشر، دمشق، 2006م.

154. هبة حمدان وأخريات: الاستهداف الصهيوني للعائلات الفلسطينية في حرب الفرقان 2009م، الطبعة الأولى، مركز نساء من أجل فلسطين، غزة، فلسطين 2010م.
155. هداية شمعون: النساء والمشاركة السياسية بين المعوقات والإمكانات المتاحة، مركز شؤون المرأة، غزة، فلسطين، (د.ط)، 2006م.
156. واجدة مجيد عبد الأطرقجي: المرأة في أدب العصر العباسي، مركز زيدان للتراث والتاريخ، الطبعة الأولى، 2002م.
157. وفيقة حمدي الشاعر: كفاح المرأة (على الصعيدين) العالمي والعربي الفلسطيني، منشورات إدارة الشئون العامة والتوجيه المعنوي لجيش التحرير الفلسطيني، دمشق سوريا، 1973م.
158. ويندي كيه كولمار وفرانسيس بارتكوفيسكي: النظرية السنوية، الطبعة الأولى، ترجمة: عماد إبراهيم، الأهلية للنشر، عمان، الأردن 2010م.
159. يحي بن حمزة العلوي: الطراز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م.
160. يحي زكريا الأغا: الصورة الفنية والوجدان الإسلامي في شعر فدوى طوقان، الطبعة الأولى، دار الحكمة للنشر، غزة، 1998م.
161. يوسف الخطيب: رأيت رام الله في غزة، الطبعة الأولى، دار فلسطين للثقافة والإعلام والفنون، دار الحياة للطباعة والنشر، دمشق 1988م.
162. يوسف رزقة وآخرون: العدوان على غزة، حرب الفرقان (2008- 2009م)، الطبعة الأولى، مركز رؤى للدراسات والأبحاث، غزة فلسطين، 2010م.

رسائل الماجستير:

1. محمد إبراهيم عسلية: دار لمسات الشخصية المميزة لدى الجامعة (بمحافظة قطاع غزة) وعلاقتها ببعض المتغيرات، (رسالة ماجستير) في التربية والصحة النفسية غزة.
2. محمد يوسف الحافي: المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة (1994م- 2006م) رسالة ماجستير إشراف د. مخيمر أبو سعدة، 2009م.

المجلات:

3. مجلة إشراقات فلسطينية: رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين، العدد: صفر، رمضان 1432هـ- أغسطس أب 2011م.
4. مركز الميزان لحقوق الإنسان: تقرير حول جرائم قوات الاحتلال الإسرائيلي بحق السكان المدنيين وممتلكاتهم في الأراضي الفلسطينية المحتلة، يغطي الفترة من 2003/1/1- 2003/3/13م، غزة، 2003م.

المواقع:

1- موقع شبكة فلسطين للحوار، بحث عن المعاني الواردة في شعر معركة الفرقان. مقال: م/محمود الرنتيسي.
www.palldf.net/showthread.php

2- موقع أدباء الشام. يحي بشير حاج يحيى.
عضو رابطة أدباء الشام.
Yahyahaj@hotmail.com

3- موقع www.palissu.com
عطا سليمان رموني، كيانُ تعود هدم البيوت.

4- موقع الكتروني عمر طرافي البوسعادي
Amartharraf: ayahoo.fr.

5- موقع: أوفاز
www.awfaz.com
قصيدة على قمم النصر، الدكتور عبد الرحمن العشماوي.

6- موقع حزب الشعب الفلسطيني:
تقرير (غولدستون) بشأن الحرب على غزة 2008/12/27م إلى 2009/1/18م.
http://www.palpeople.org/atemplate.php?id=1599

Abstract

Title: Woman as viewed in Gaza War Poetry, 2008-2009.

The study is divided in to preamble, 4 chapters and conclusion preamble:

A brief account about Palestine history, covering, the ware louts of AlFurkan War, in which, dealt with the role of the woman and the related society outlook.

The struggler woman.

Chapter 1: The researcher cleat with the role of the struggler woman in mobilization, revolutionizing stead fasting, resistance, interring and martyrdom.

Chapter 2: The bereaved woman in which she lost either one of her relatives, or her sheter-bulldozing her house or land leveling. Her land or that who lost her dreams or happiness due to occupation.

Chapter 3: The symbol woman she is the symbol of sacrifice, redemption, symbol of land i.e she is the peace and tranquility.

Chapter 4: Technical study.

In which, the researcher highlighted some heuristic phenomena and the poetic picture in GAZA War poetry dated 2008-2009.

The Conclusion: in which, the researcher outlined the concluded results.

فهرس المحتويات

العنوان	رقم الصحفة
الإهداء	ب
تقدير عالم	ج
الشكر والتقدير	د
المقدمة	1
التمهيد	4
الفصل الأول: المرأة المناضلة	16
المبحث الأول: التعبئة والتنوير	17
المبحث الثاني: الصمود والمقاومة	27
المبحث الثالث: مصابة وشهيدة	35
الفصل الثاني: المرأة الثكلى	43
المبحث الأول: هدم المنزل أو تجريف الأرض	43
المبحث الثاني: استشهاد الابن أو الزوج أو أحد الأقارب	55
المبحث الثالث: صور أخرى للمرأة الثكلى	61
الفصل الثالث: المرأة الرمز	69
المبحث الأول: التضحية والفداء	70
المبحث الثاني: الأرض	81
المبحث الثالث: السكن	93
الفصل الرابع: الدراسة الفنية	105
المبحث الأول: الظواهر اللغوية	104
- خصائص الألفاظ	104
- التراكيب أو الجمل	109

العنوان	رقم الصحفة
- التقديم والتأخير	116
- التكرار	119
- التناص	124
المبحث الثاني: الصورة الشعرية	136
- الصورة الشعرية	136
- الصورة الجزئية	138
- الصورة الكلية	148
- الخاتمة	152
- المراجع	154